الدكـــتور
سعد ابراهيم عبد المجيد

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٩٨

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

أبحاث في أصوات العربية

د . حسام سعيد النعيمي

بغداد / الطبعة الاولى / ١٩٩٨

٥ و ٤١١
ن ٦٩٨ النعيمي ، حسام سعيد
أبحاث في إصوات العربية / حسام
سعيد النعيمي . - بغداد : دار الشؤون
الثقافية العامة ، ١٩٩٨
ص ؛ ٢٤ سم
١ ـ اللغة العربية ـ الاصوات
م . و ٢ ـ اللغة العربية ـ بحوث أ. العنوان
٣٩٣ / ١٩٩٨

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٩٣ لسنة ١٩٩٨

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

عني علماء العربية بدراسة الصوت اللغوي فكانوا بذلك من السابقين الى الاهتمام بهذه الجزئية من الدرس اللساني ، بل كانوا متقدمين على كثير من أمم الأرض في ذلك .

وقد قدّر لي أن ادرّس مادة الدراسات الصوتية والصرفية في قسم الدكتوراه بكلية الآداب فوجدتني معنياً بالكشف عن شيء مما عني به علماؤنا القدماء ، ثم بمحاولة الافادة من الدرس الصوتي الحديث في معالجة عدد من المسائل التي عالجوها ، وهكذا كانت موضوعات الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم تجمع بين الدراسة التراثية والدراسة المعاصرة ، وتوزعت فصوله على دراسة صرفية صوتية ، أو صوتية محض ، أو بيان لجهد قديم في ضوء الدرس الصوتي الحديث . ذلك ان من مسلمات الدرس الصرفي القديم ما عاد انكاره من مسلّمات الدرس الصوتي الحديث كالقول بوجود حركة قبل حرف المدّ من جنسه ، وفي ضوء ذلك اختلف التوجيه لعدد من الظواهر اللغوية بين ما عند القدماء وما عند المعاصرين ، ومثل هذا يقال عن أثر وحدة الرسم للصائت ونصف الصائت كوحدة رسم الواو في نقول والواو في لون مما أدى الى اختلاف التوجيه في ظواهر لغوية درسها علماء التصريف العربي ومنها مثلًا ما سمّوه بالاعلال بالنقل أو بالاسكان حيث رأوا ان صياغة أَفْعَل يُفْعِل من الخَوْف مثلًا تأتي على أَخْوَف يُخْوِف ، ثم نقلت الحركة من المعتل الى الصحيح قبله وقلب المعتل الى مجانس للحركة المنقولة فقيل أَخَاف يُخِيف ، وهي في الدرس الحديث تنحصر في حذف قاعدة المزدوج واطالة الصوت بالقمة .

على اننا وجدنا في دراسة علمائنا من جانب آخر ما يمثل سبقاً في شيء مما عني به الدرس الصوتي الحديث ، ومنه ما ظنه المعاصرون مما لم يتقدم القول فيه ، كالمقطع الصوتي مثلًا ، فرأينا أن نثبت سبق القدماء وبيان دقة ما وُفّقوا اليه من الدراسة الصوتية في جوانب من البحث الصوتي عند الفارابي الفيلسوف (٣٣٩ هـ) والسيوطي اللغوي (٩١١ هـ) ، فجاءت ابحاث الكتاب دائرة بين

ترصين هذه الدراسات وتأصيلها ، وبين عرض القديم على المنهج الحديث وما توصل اليه الدارسون بعد أكثر من ألف عام ، ورحم الله الجاحظ إذ قال : واعلم انه مِن أضرّ ما هو عالق بالاذهان على العلم وأهله قول بعضهم ما ترك الأول للآخِر .

د . حسام سعيد النعيمي
بغداد في ٧ / ٨ / ١٤١٨ هـ
الموافق ٧ / ١٢ / ١٩٩٧ م

اتصال الفعل بضمائر الرفع

(دراسة صوتية صرفية)

بيان المصطلحات :

في البحث الصوتي مصطلحات منها ما هو مألوف لا خلاف فيه ، ومنها ما لم يستقر عليه الاستعمال ، نقدم بياناً موجزاً لها فيما يأتي :

١ ـ رموز الكتابة الصوتية :

الفتحة : / ـَ / ، الألف : / ـًـ / ، الكسرة : / ـِ / ، الياء المدّيّة / ـٍ / ، الضمة : / ـُ / ، الواو المديّة : / ـٌ / ، الياء غير المديّة : / ي / ، الواو غير المدية : / و / .

٢ ـ الصامت : ويراد به الصوت اللغوي الذي ينجم بتقارب في نقطة ما من جهاز النطق يؤدي الى احتكاك مسموع ، ويسمى الصوت احتكاكياً ، وهو الرخو عند القدماء كالفاء والذال ، أو ينجم باتطباق في نقطة ما من جهاز النطق ، فإذا تبعه انفصال مفاجىء سمي الصوت انفجارياً ، وهو الشديد عند القدماء ، كالباء والتاء ، وإذا ولد الصوت اللغوي مع بقاء الانطباق سمي متوسطاً كاللام والميم .

٣ ـ الصائت أو المصوّت : ويراد به الصوت اللغوي الذي ينجم بتكيف في جهاز النطق لا يؤدي الى انطباق ، أو الى حدوث احتكاك مسموع ، والزمن الذي يؤدّى فيه الصائت يقرر كونه قصيراً أو طويلًا ، والصوائت القصيرة في العربية هي : الفتحة ، والكسرة ، والضمة . والطويلة هي : الألف ، والياء المديّة ، والواو المديّة ، وصوت الامالة ، وصوت التفخيم .

٤ ـ نصف الصائت أو نصف المصوّت أو نصف الصامت : ويراد به الصوت اللغويّ الذي ينجم بارتفاع في اللسان فوق نقطة ولادة الصائت بحيث يؤدي الى حدوث احتكاك مسموع ، ويكون في موضع ولادة الكسرة والياء المديّة فيؤدي الاحتكاك الى ولادة الياء غير المديّة في نحو : ييبس ، وليت ، فهذه الياء نصف

صائت . ويكون في موضع ولادة الضمة والواو المديّة ، فيؤدي الاحتكاك الى ولادة الواو غير المديّة في نحو : وجد ، و : لون ، ولا يكون من موضع الفتحة والالف نصف صائت . والاحتكاك في هذين الصوتين يجعلهما صامتين ، وهما هكذا في القيمة المقطعية إلا ان دارسي الأصوات أطلقوا على كل منهما نصف صائت للتعبير عن العلاقة القائمة في الصفة والمخرج بينهما وبين ما هما منه من الصوائت .

٥ ـ المزدوج : وهو تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد ، فاذا تقدم الصائت سمي المزدوج هابطاً ، كالفتحة والياء في : ليت : / ل ـَـ ي / ت ـَـ / ، وإذا تأخر الصائت سمي المزدوج صاعداً ، كالياء والفتحة في يكتبُ : / ي ـَـ ك / ت ـُـ / ب ـُـ / .

٦ ـ الاتّحاد : وهي الحالة التي يتحول فيها الصائت القصير ونصف الصائت الى صائت طويل ، وهي عكس الانشطار ، وذلك كاتحاد لام يدعو مع الصائت الذي قبله مكونين صائتاً طويلًا ، فأصل الفعل : يدعُوُ بزنة ينصُرُ ، حذفت حركة الاعراب من اللام للثقل ، واعيد تشكيل البنية المقطعية بالحاق لام الكلمة بالمقطع السابق ثم اتحد الصائت ونصف الصائت مكونين صائتاً طويلًا ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـُـ / بزنة ينصُر

← / ي ـَـ د / ع ـُـ و / بزنة يَنْصُرْ ساكنة الراء ، اتحاد / ـُـ و / ← ـُـُـ ← / ي ـَـ د / ع ـُـُـ /

٧ ـ الانشطار : وهي الحالة التي يتحول فيها الصائت الطويل الى صائت قصير ونصف صائت وهي عكس الاتحاد ، وذلك كما في انشطار الصائت الطويل من : يدعو ، عند اظهار علامة النصب . إذ الفتحة صائت ، وواو يدعو صائت ، ولا يجوز تتابع صائتين ، فينظر الصائت الطويل الى ضمة ، وواو غير مديّة تتصل بالفتحة مكونة مقطعاً ، أي :

لَنْ / ي ـَـ د / ع ـُـُـ / + ـَـ

انشطار / ـُـُـ / ← / ـُـ و /

← لنْ / ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـَـ /

٨ ـ ١ ـ المقطع : وهو وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت ، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد .

ومقاطع العربية خمسة منها مقطع له صورتان فهي ستة على التفصيل خمسة اجمالاً وهي :

٨ ـ ٢ ـ المقطع القصير : ويتكون من صامت يتبعه صائت قصير ، مثل مقاطع كلمة : كُتِبَ : / ك ـُـ / ت ـِـ / ب ـَـ / ، ومعنى ذلك ان المقطع القصير لا يكون إلا مفتوحاً ، ذلك ان المقطع المنتهي بصائت يسمى مفتوحاً ، والذي ينتهي بصامت يسمى مغلقاً .

٨ ـ ٣ ـ المقطع الطويل : وله صورتان وفقاً لانفتاحه أو انغلاقه .

٨ ـ ٣ ـ أ : المقطع الطويل المفتوح : ويتكون من صامت يتبعه صائت طويل ، كمقاطع كلمة : نودينا : / ن ـُـُـ / د ـِـِـ / ن ـًـ /

٨ ـ ٣ ـ ب : المقطع الطويل المغلق : ويتكون من صامتين بينهما صائت قصير ، كمقاطع كلمة : عَلِّمْهُمْ / ع ـَـ ل / ل ـِـ م / هـ ـُـ م /

٨ ـ ٤ ـ أ ـ المقطع المديد : ويتكون من صامتين بينهما صائت طويل ، وهو من مقاطع الوقف ، ويكون في الدرج إذا ادغمت قاعدته في قاعدة المقطع التالي له ، ومثاله في الوقف والدرج كلمة ضالّين عند الوقف فالأول مديد في الدرج رخص به لادغام قاعدته في التي تليها ، والثاني مديد في الوقف ، وهو الاصل فيه : / ض ـًـ ل / ل ـٍـ ن /

٨ ـ ٤ ـ ب : تحول المديد :

المقطع المديد إذا تكون في الدرج بسبب التعامل الصوتي يتحول الى طويل مغلق وذلك بتحول الصائت الطويل فيه الى قصير ، كما في قولنا : أتى صديقنا وأتى الصديق :

/ ء ـَـ / ت ـً / ص ـَـ / د ـٍـ / ق ـُـ / ن ـً / و :

/ ء ـَـ / ت ـً ص / ص ـَـ / د ـٍـ / ق ـُـ /

/ ت ـً ص / ←

/ ت ـَـ ص / ← / ء ـَـ / ت ـَـ ص / ص ـَـ / د ـٍـ / ق ـُـ /

٨ ـ ٥ ـ أ : المقطع المزيد :

ويتكون من صائت قصير قبله صامت وبعده صامتان ، وهو من مقاطع الوقف . وذلك كتحول مقطعي كلمة « نَهْرٌ » الى مقطع مزيد في الوقف ، أي :

/ ن ـَـ هـ / ر ـُـ ن /

للوقف

/ ن ـَـ هـ ر / مقطع مزيد

٨ ـ ٥ ـ ب : انقسام المقطع المزيد

المقطع المزيد من مقاطع الوقف كما تقدم ، فإذا تكون في الدرج بسبب التعامل الصوتي انقسم الى مقطعين قصير ، وطويل مغلق باجتلاب صائت يكون قمة لأحدهما ، والغالب تقدم المقطع القصير فتكون القمة مجتلبة للطويل المغلق وذلك نحو رَدّ إذا وصل به تاء الفاعل حيث يحذف منه الفتحة التي بعد الدال لمجيء التاء فيتكون مقطع مزيد ، ينقسم الى قصير هو / د ـَـ / وطويل مغلق باجتلاب قمة هو / د ـَـ د / ، أي :

/ ر ـَـ د / د ـَـ / + ت ـُـ ، تحذف / ـَـ / لاجل التاء

/ ر ـَـ دد / ت ـُـ /

مزيد ينقسم

/ ر ـَـ / دد / ت ـُـ /

تجتلب قمة

د ـَـ د ← / ر ـَـ / د ـَـ د / ت ـُـ /

وقد يتقدم في الانقسام الطويل المغلق فتكون القمة مجتلبة للمقطع القصير نحو يردّ التي تصبح في الأمر رُدَّ ، أي :

/ ي ـَـ / ر ـُـ د / د ـُـ / ← / ي ـَـ / × و / ـُـ / ×

في الأمر يحذف حرف المضارعة وقمته ، والصائت من آخر الفعل .

/ ر ـُـ دد / مقطع مزيد

ينقسم

/ ر ـُـ د / د

تجتلب قمة

/ د ـَـ / ← / ر ـُـ د / د ـَـ /

٨ ـ ٦ : المقطع المتمادّ : ويتكون من صائت طويل قبله صامت وبعده صامتان ، وهو من مقاطع الوقف ، وذلك كتحول آخر مقطعين من كلمة « متمادّ » الى

مقطع واحد في الوقف ، وهما في الأصل مديد وطويل مغلق ، فالمقطع الحاصل منهما بالوقف بعد حذف التنوين والصائت الذي قبله واعادة التشكيل المقطعي ، مقطع متمادّ :

/ م ـُـ / ت ـَـ / م ـًـ د / د ـُـ ن /

× يحذف نون التنوين والصائت الذي قبله للوقف ، وتلتحق قاعدة المقطع بالمقطع السابق إذ لا تشكل القاعدة وحدها مقطعاً .

/ م ـًـ دد /

٨ ـ ٧ : انقسام المتمادّ : ينقسم في الدرج الى طويل مفتوح وطويل مغلق باجتلاب قمة للمغلق تكون فتحة : نحو :

احمّارٌ + نَ ← / ء ـِـ ح / م ـًـ ر / ر ـُـ / + ن ـَـ

×

/ ء ـِـ ح / م ـًـ رر /

م ـً ر ـَـ ر ← / ء ـِـ ح / م ـًـ / ر ـُـ ر / ن ـُـ /

مجتلبة

٨ ـ ٨ : قواعد المقاطع وقممها :

وجد الدرسون في التخطيط الطيفي للمقاطع[1] في السلسلة المنطوقة انها تشكل من تقعّر وتحدّب ، فأطلقوا على نقاط التقعر أو الوديان مصطلح قواعد المقاطع ، ولا تكون إلا من الصوامت ، ونصف الصائت قيمته قيمة صامت في البنية المقطعية ، وأطلقوا على التحدّب مصطلح قمم المقاطع ، ولا تكون إلا صوائت ، قصيرة أو طويلة ، وأقل ما يتألف منه المقطع قاعدة تليها قمة ، وقد تلي القمة قاعدة أو قاعدتان ، ولكن لا يكون في المقطع سوى قمة واحدة . فإذا أدى التعامل الصوتي الى وجود قاعدة من غير قمة أو قاعدتين من غير قمة ، أو قمة من غير قاعدة ، أو قمتين في مقطع واحد عولج ذلك باعادة التشكيل المقطعي للسلسلة المنطوقة ويتخلص مما لا يجوز في البنية المقطعية .

---

١ ـ انظر : دراسة الصوت اللغوي ، د . احمد مختار عمر ص ٢٤١ ، وعلم الاصوات العام ، د . بسام بركة ص ٩٦ .

اشكالية التفسير :

يقوم الدرس الصرفي العربي القديم على جملة أفكار يعنينا منها في موضوع اتصال الفعل بضمائر الرفع ثلاث فكر لا تجد الدراسة الصوتية اليوم مسوّغاً للقبول بها ، مما سبب المفارقة بين التفسيرين :

الاولى : ان الحركات (الصوائت القصيرة) اعراض في البنية ، محلها الحروف[٢] ، ومن هنا جعل الحرف متحركاً أو ساكناً ، على ان ابن جني جعل ذلك من قبيل المجاز إلا انه لا يغير من أصل المسألة قال : « واعلم ان الحروف في الحركة والسكون على ضربين : ساكن ومتحرك ، فالساكن ما أمكن تحميله الحركات الثلاث ... والمتحرك هو الذي لا يمكن تحميله أكثر من حركتين ... »[٣] . وقال : « وقول النحويين ان الحركة تحل الحرف مجاز لا حقيقة تحته ، وذلك لأن الحرف عرض والحركة عرض ، وقد قامت الدلالة عن طريق صحة النظر على ان الاعراض لا تحل الاعراض ، ولكنه لما كان الحرف أقوى من الحركة ، وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه ، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلّته ، وصار هو كأنه قد تضمنها تجوزاً لا حقيقة »[٤] . والدرس الصوتي يقرر ان الانسان يتكلم بمقاطع[٥] ، وأقل ما يتألف منه المقطع ، كما تقدم آنفاً ، ضامت وصائت ، يمثل الصامت القاعدة ، والصائت القمة ، ولا يكون المقطع من غير قاعدة كما لا يكون من غير قمة ، فليس في السلسلة المنطوقة حالّ ومحلّ ، بل سلسلة من الاصوات اللغوية الدالة وفقاً لتجزئتها . واذا كانت الكاف والتاء والباء ثابتة في كَتَبَ : / ك ـَـ / ت ـَـ / ب ـَـ / وفي كُتِبَ : / ك ـُـ / ت ـِـ / ب ـَـ / . وتغير المعنى بتغير الصوائت ، فإن الصوائت ثابتة في كَتَبَ ، وفي كَتَمَ : / ك ـَـ / ت ـَـ / ب ـَـ / و : / ك ـَـ / ت ـَـ / م ـَـ / وتغير المعنى بتغير الصامت ، ومن هنا عدّت الصوائت في

---

٢ ـ انظر العين للخليل ١ : ٤٨ ، وفي هذا يقول سيبويه : ٢ : ٣١٥ ، ط بولاق : « وزعم الخليل ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ... » .

٣ ـ سر الصناعة لابن جني ١ : ٢٧ .

٤ ـ م . ن : ٣٢ ، وانظر كلام هنري فلش في هذا الشأن في التفكير الصوتي عند العرب ص ٨١ .

٥ ـ انظر : علم اللغة العام لسوسير ص ٥٨ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٣٨ .

الدراسة الصويتية (الفونيمية) صويتات[٦] (فونيمات) ، بل الى شيء من هذا أشار الفارابي عندما تكلم على تقسيمات الصوت اللغوي ، وعبر عن الحركات بمصطلح الحرف مما يمكن أن يعد من البراعم الاولى لفكرة نظرية الصويتة (الفونيم)[٧] .

الفكرة الثانية التي يقوم عليها الدرس الصرفي القديم ولا يرتضيها الدرس الصوتي الحديث جعل الالف والواو المدية والياء المدية حروفاً كالكاف والتاء والباء من حيث الحركة والسكون فصنفوها في الحروف الساكنة فقالوا عن الالف : ولا تكون إلا ساكنة وقالوا عن الواو المديّة : الساكنة المضموم ما قبلها ، وعن الياء المديّة : الساكنة المكسور ما قبلها[٨] . وأصوات المد هذه في الدرس الصوتي الحديث صوائت طويلة لا تكون إلا قمماً للمقاطع وما يكون قمة مقطع لا يكون إلّا صائتاً .

الفكرة الثالثة : وهي مبنية على الثانية ، إذ لما كانت أصوات المد عندهم حروفاً ساكنة ، ولا يلتقي ساكنان ، كان لا بد من القول بوجود صائت (حركة) بينها وبين الحرف الذي قبلها ، فجاءت فكرة وجود حركة قبل حرف المدّ من جنسه . فالألف قبلها فتحة والواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة ، والدرس الحديث لا يقول بوجود حركة قبل حركة المد ، فالمقطع الصوتي لا تكون فيه قمتان ، والقول بوجود هذه الحركة يؤدي الى القول بوجود قمتين وهو أمر لا تقرّه الدراسة الصوتية الحديثة ، على اننا يمكن أن نجد فكرة انعدام الحركة قبل حرف المد فيما كتبه الفارابي قبل أكثر من الف عام[٩] .

في ضوء ما تقدم من أفكار يفسر علماء التصريف القدماء قول العربي مثلًا : قُلْتُ ، وطُلْتُ ، وبِعْتُ ، وخِفْتُ ، من : قال ، وطال ، وباع ، وخاف ، على الوجه الآتي : « أصل قلت وبعت : قوَلتُ ، وبَيَعت ، فنقلت قوَلت الى قَوُلت لأن الضمة من الواو

---

٦ ـ انظر : دراسة الصوت اللغوي ص ١٦٥ .

٧ ـ انظر : كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ص ١٠٧٢ ، وانظر بحثنا : جوانب من الدرس الصوتي عند الفارابي .

٨ ـ انظر المنصف لابن جني ١ : ٢٢١ .

٩ ـ انظر : كتاب الموسيقى الكبير ص ١٠٩٧ .

ونقلت بَيَعت الى بيِعت لأن الكسرة من الياء ، ثم قلبت العين لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت الفاً في التقدير وبعدها لام الفعل ساكنة لاتصالها بالضمير ، أعني التاء ، فسقطت العين فنقلت حركتها المجتلبة لها الى الفاء قبلها فصارت : قُلت وبِعت ... »[10] .

والكلام على نقل الحركة غير مقنع فالواو ، أو الياء ، ستنقلب الى الف لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم بعد أن تصير الفاً في التقدير ستحذف لالتقاء الساكنين فكيف تغلب حركة متصورة لم تظهر الى الوجود على حركة بني اصل التصريف عليها ؟

ولكي لا يقال لِمَ لم تتذكر كون الضمة من الواو وتغلبها على الكسرة في نحو : خاف ، فيقال : خُفتُ بالضم ، قال : « فأما خِفت وهِبت وطُلت ، فلم يحتاجوا الى أن ينقلوهما الى شيء لأن حركة العين في اصل تركيب الفعل جاءت مخالفة لحركة الفاءِ ، لأن أصل خِفتِ : خَوِفت ، وأصل هِبت : هَيِبْتُ ، وأصل طُلت : طَوُلت ، فنقلت الضمة والكسرة الأصليتان من العين الى فاء الفعل »[11] .

ومما يشكل أيضاً قولهم في نحو رمَوا ودعَوا ، إنّ الاصل رمَيُوا و دَعوُوا ، قلبت كل من الواو والياء الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين[12] ، والدرس الصوتي يسأل في مثل هذا عن الفتحة التي بعد عين الكلمة حين جعلت الفاً كيف بقيت ولا يتوالى صائتان ، كما يسأل عن الواو في دعَوا ورمَوا من أين جاءت إذ هي نصف صائت قيمتها قيمة صامت ، وواو الجماعة صائت طويل .

ولعدم التسليم بتفسيرات القدماء كان على الدرس الصوتي أن يقدم تفسيراً مقبولًا في ضوء مسلماتِه للتغييرات التي تصيب بنية الفعل إذا اتصل بضمائر الرفع[13] ، وينبغي أن يُعلم ان التفسير الحديث لا يقوم على المساس باللغة ذاتها بل بما قدمه القدماء من تفسير ، فابن اللغة يتكلم على سجيته بما يمتلك من قدرة

---

١٠ ـ المنصف ١ : ٢٣٤ .

١١ ـ م . ن ١ : ٢٣٥ .

١٢ ـ انظر : شرح الشافية للرضي ٣ : ١٥٩ .

١٣ ـ من الدراسات الرائدة في هذا المجال ما كتبه الطيب البكوش في : التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث ، وما كتبه عبدالصبور شاهين في المنهج الصوتي للبنية العربية .

لغوية[14]، والاصوات اللغويةيؤثر بعضهافي بعض في السلسلةالتي ينطقها ويظهر أثر ذلك في كلامه ، ومهمة الدرس الصرفي الصوتي أن يقدم الوصف والتفسير لما وقع للاصوات اللغوية في السلسلة المنطوقة ، وهذا فيه سعة للاجتهاد ، فكما قال القدماء وفقاً لتصوراتهم يمكن أن يقول المحدثون وفقاً لما يتصورون من غير أن يمس كلا الفريقين جوهر اللغة ، أو يفرض على ابن اللغة كيف يتكلم[15] .

مقطعية ضمائر الرفع المتصلة :

ضمائر الرفع المتصلة قسمان ، منها ما يكوّن مقطعاً مفتوحاً ، وهي : التاء مع الصائت القصير الذي يليها : (ت ـُـ ، ت ـَـ ، ت ـِـ) ، والنون مع الصائت القصير الذي يليها : (ن ـَـ) ، والنون مع الصائت الطويل الذي يليها : (ن ـًـ) ، وقد اصطلح على تسميتها بتاء الفاعل للمتكلم ، أو المخاطب ، أو المخاطبة ، ونون النسوة ، ونا المتكلمين ، ومنها ما يكون صائتاً طويلًا يمثل قمة مقطع لا تنطق مفردة فلا بد لها من الارتباط بصوت صامت قبلها وهي : الف الاثنين : (ـًـ) ، وواو الجماعة : (ـُـُـ) ، وياء المخاطبة : (ـِـ) .

مقطعية الفعل الماضي :

المقطع الاخير في الفعل الماضي إما أن يكون قصيراً ، وإما أن يكون طويلًا مفتوحاً ، وليس في العربية صورة ثالثة للمقطع الأخير في الفعل الماضي .

أ ـ فاذا كان المقطع الأخير قصيراً كان المقطع الذي قبله على أربع صوَر :

أ ـ ١ ـ أ : أن يكون قصيراً أيضاً ، وهذه الصورة هي الغالبة في العربية ، نحو : نَصرَ وعَلِمَ ونَبُلَ وأكرَمَ ، وجاهدَ ، وعلَّمَ ، وانطلَقَ ، واختَبَرَ ، وتقدَّمَ ، وتسابَقَ ، واستَخرَجَ ، واعشوشَبَ ، واجلوَّذَ ، ونحو : دحرَجَ ، وتدحرَجَ ، واحرنجَمَ .

أ ـ ١ ـ ب : ويتفرع من هذه الصورة أن يكون الأخير مزدوجاً صاعداً ، نحو : رضِيَ وسَرُوَ .

أ ـ ٢ : أن يكون طويلًا مفتوحاً ، وذلك نحو : قال ، وباع ، واستقال ، وابتاع .

---

١٤ ـ انظر : جوانب من نظرية النحو لتشومسكي ص ٧٧ ، وانظر كتابنا ابن جني عالم العربية ص ١٦٧ .

١٥ ـ انظر : علم اللغة لمحمود السعران ص ١٧ .

أ ـ ٣ : أن يكون طويلًا مغلقاً وذلك نحو : رَدّ وارتدّ ، واستردّ ، واحمرّ .
أ ـ ٤ : أن يكون مديداً نحو : احمارّ ، واشهابّ .
ب : واذا كان المقطع الاخير طويلًا مفتوحاً كان المقطع الذي قبله على ثلاث صور :
ب ـ ١ : أن يكون قصيراً ، نحو : دعا ، ورَمىٰ .
ب ـ ٢ : أن يكون طويلًا مفتوحاً نحو : تداعىٰ ، وترامى .
ب ـ ٣ : أن يكون طويلًا مغلقاً ، نحو : استدعىٰ وتردّى .
وليس في صور الفعل الماضي أن يكون المقطع الأخير طويلًا مفتوحاً والذي قبله مقطع مديد ، وليس فيه كما تقدم أن يكون المقطع الاخير مغلقاً .

قواعد الاتصال بالماضي :

القاعدة الأولى : ١ ـ أ ـ ١ : الماضي الذي ينتهي بمقطعين قصيرين اذا اتصل به ضمير رفع مقطعُ (تُ ، تَ ، تِ ، نَ ، نا) حذفت قمة المقطع الاخير من الفعل ، واعيد تشكيل البنية المقطعية وذلك نحو : كَتَبَ + تُ ← كَتبْتُ أي :

/ ك ـَـ / ت ـَـ / ب ـَـ / + ت ـُـ /

/ ـَـ / × ← / ك ـَـ / ت ـَـ ب / ت ـُـ /

/ ت ـَـ ب / حيث حذفت قمة المقطع الاخير وفقاً لـ : ق ١ ـ أ ـ ١ فبقيت قاعدته من غير قمة وهي لا تشكل مقطعاً ، ولا يمكن الحاقها بالمقطع التالي لها إذ ليس في مقاطع العربية ما يبدأ بصامتين فالحقت بالمقطع القصير السابق لها لتشكل معه مقطعاً طويلًا مغلقاً .

ومثل ذلك يقال في : أكرم + تَ ← اكرمتَ ، وعَلّمَ + نَ ← علّمنَ وتسابق + نا ← تَسابقنا

أيْ : / ء ـَـ ك / ر ـَـ / م ـَـ / + ت ـَـ /

/ ـَـ / × ← / ء ـَـ ك / ر ـَـ م / ت ـَـ /

/ ع ـَـ ل / ل ـَـ / م ـَـ / + / ن ـَـ /

/ ـَـ / × ← / ع ـَـ ل / ل ـَـ م / ن ـَـ /

/ ت ـَـ / س ـً / ب ـَـ / ق ـَـ / + / ن ـً / .

/ ـَـ / × ← / ت ـَـ / س ـً / ب ـَـ ق / ن ـً /

١ ـ أ ـ ٢ : واذا انتهى بمقطعين قصيرين وكان الأخير مزدوجاً ، أدى تطبيق ق ١ ـ أ ـ ١ واعادة التشكيل المقطعي الى وجود مزدوج هابط مؤلف من صائت قصير متبوع بنصف صائت من جنسه ، وهي صورة تتحول في نطق العربي بالاتحاد الى صائت طويل[١٦] ، فصوغ « فِعْلَةٍ » من « السَّيْرِ » يؤدي الى اتحاد ، ومثل ذلك « فُعْلَةٌ » من « النور » ، أي :

/ س ـِ ى / ر ـَـ / ت ـُـ ن / بزنة : فِعْلة

اتحاد / ـِ ي / ← ـِيـ

ـِيـ ← / س ـِيـ / ر ـَـ / ت ـُـ ن /

/ ن ـُـ و / ر ـَـ / ت ـُـ ن /

اتحاد / ـُـ و / ← ـُـُـ

ـُـُـ ← / ن ـُـُـ / ر ـَـ / ت ـُـ ن /

وبهذا تتفرع من القاعدة الأولى [١ ـ أ ـ ١] القاعدة (١ ـ أ ـ ب) وهي إذا أدّى تطبيق القاعدة الاولى الى تكون مزدوج هابط عولج وفقاً لقاعدة الاتحاد ، وذلك نحو :

رَضِيَ + تُ ← رَضِيتُ ، سَرُوَ + نا ← سَرونا أي :

/ ر ـَـ / ض ـِ / ي ـَـ / + ت ـُـ /

/ ـَـ / × ← / ر ـَـ / ض ـِ ي / ت ـُـ /

اتحاد / ـِ ي / ← ـِيـ

ـِيـ ← / ر ـَـ / ض ـِيـ / ت ـُـ /

/ س ـَـ / ر ـُـ / و ـَـ / + ن ـً /

/ ـَـ / × ← / س ـَـ / ر ـُـ و / ن ـً /

---

١٦ ـ انظر : التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر ص ٤٧ ، ودروس في علم اصوات العربية لكانتينو ص ١٣٨ .

اتحاد / ـُـ و / ← ـُّـ

ـُّـ ← / سِ ـَـ / رِ ـُّـ / نِ ـَـ /

هذا على اننا يمكن أن نستغني عن ايراد هذا التفريع بما ورد في القاعدة الاولى ١ ـ أ ـ ١ من قولنا : واعيد تشكيل البنية المقطعية ، فالاتحاد جزء من اعادة التشكيل .

كما يمكن أن تخص هذه الصورة ، اعني حين يكون المقطع الأخير مزدوجاً ، بقاعدة منفصلة ، وذلك بأن يقال : يحذف المزدوج ويمد الصوت بالصائت الذي قبله ، أي :

/ ر ـَـ / ض ـِـ / ي ـَـ / + ت ـُـ / ، يحذف / ي ـَـ / وتمد / ـِـ / ← ـِـ ← / ر ـَـ / ض ـِـ / ت ـُـ /

ولكنّ اطراد القاعدة وحفظ المراتب(١٧) ، جعلنا نميل الى ما قدمنا .

القاعدة الاولى ـ ب

١ ـ ب ـ ١ : الماضي الذي ينتهي بمقطعين قصيرين اذا اتصل به ضمير رفع صائت ، حذفت قمة مقطعه الأخير ، وحلّ الضمير الصائت محلها في اعادة التشكيل المقطعي ، نحو :

كَتَبَ + ا ← كتبا ، عَلِمَ + وا ← علموا ، أي :

/ ك ـَـ / ت ـَـ / ب ـَـ / + ـًّـ /

/ ـَـ / × ← / ك ـَـ / ت ـَـ / ب ـًّـ /

/ ع ـَـ / ل ـِـ / م ـَـ / + ـُّـ /

/ ـَـ / × ← / ع ـَـ / ل ـِـ / م ـُّـ /

١ ـ ب ـ ٢ : الماضي الذي ينتهي بمقطعين قصيرين الاخير منهما مزدوج اذا اتصل به الضمير الصائت الالف طبقت بحقه القاعدة (١ ـ ب ـ ١) ولم يعتدّ بالمزدوج ، واذا كان الواو سقط المزدوج كله والصائت الذي قبله على التدرج الذي نذكره وفقاً لحفظ المراتب ، فمع الالف يقال :

[لم يحصل اتحاد وحذف للبس إذ تصبح رضا مثل دعا فلا يعلم المثنى

---

١٧ ـ انظر في مسألة حفظ المراتب : الخصائص لابن جني ٣ : ٥ .

ر ـَـ ض ـِـ ى ـَـ + ـًـ ، / ـَـ / × ، / ـِـ ي / ← ـٍـ

ـٍـ × ← ر ـَـ ض ـًـ]

/ ر ـَـ / ض ـِـ / ى ـَـ / + ـًـ / ، / ـَـ / ×

← / ر ـَـ / ض ـِـ / ي ـًـ /

وذلك تطبيقاً لما ورد في القاعدة ١ ـ ب ـ ١ ومع الواو يقال :

/ ر ـَـ / ض ـِـ / ي ـَـ / + ـُـُـ /

/ ـَـ / × ← / ر ـَـ / ض ـِـ / ي ـُـُـ / وذلك تطبيقاً للقاعدة (١ ـ ب ـ ١)

ولكن التطبيق أدى الى صورة غير سائغة في النطق العربي في آخر اللفظ حيث انحصر نصف الصائت الياء في السلسلة المنطوقة بين صوت الكسرة والضمة فتحذف الياء ويؤدي حذفها الى التقاء صائتين فيحذف الصائت القصير ، أي :

[يمكن أن يقال : ر ـَـ ض ـِـ ي ـَـ + ـُـُـ ، / ـَـ / ×

اتحاد / ـِـ ي / ← ـٍـ ، / ـٍـ /

تحذف لتوالي صائتين ← ر ـَـ ض ـُـُـ]

/ ر ـَـ / ض ـِـ / ي ـُـُـ / ، / ـِـ / × ، / ي / ×

← / ر ـَـ / ض ـُـُـ /

ومثله : / س ـَـ / ر ـُـ / و ـَـ / + ـُـُـ / تحذف / ـَـ /

وفقاً للقاعدة (١ ـ ب ـ ١) ، وتحذف / و /

لانحصار نصف الصائت بين صائتين هما الضمة / ـُـ / والواو المدية / ـُـُـ / وتحذف / ـُـ /

لتوالي صائتين بعد حذف نصف الصائت الذي كان بينهما

← / س ـَـ / ر ـُـُـ /

ويستفاد مما تقدم أيضاً ان نصف الصائت يسقط من آخر اللفظ اذا انحصر بين صائتين الثاني منهما ليس فتحة .

القاعدة الثانية :

٢ ـ أ : إذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله طويل مفتوح واتصل به ضمير رفع مقطع انظر :

٢ ـ أ ـ ١ : فإذا كان الفعل من مقطعين طبقت بحقه القاعدة الاولى (١ ـ أ ـ ١) ، وحذفت قمة المقطع الاول واجتلبت الكسرة بدلها ، إلا اذا كان المضارع بالواو فتجتلب ضمة رعاية لواو المضارع وذلك نحو :

قال + تُ ← قُلت ، خاف + تُ ← خِفت ، باع + تُ ← بِعت ، أي :

/ ق ـــً / ل ـــَ / + ت ـــُ / تحذف / ـــَّ /

وفقاً للقاعدة الاولى (١ ـ أ ـ ١)

/ ق ـــً ل / ت ـــُ / ، / قـــً ل /

مديد يتحول الى طويل مغلق

/ ق ـــَ ل /

تحذف القمة وتجتلب الضمة رعاية لوجود الواو في المضارع : يقول .

← / ق ـــُ ل / ت ـــُ /

و : / خ ـــً / ف ـــَ / + ت ـــُ /

/ ـــَ / × القاعدة (١ ـ أ ـ ١)

← / خ ـــً ف / ت ـــُ /

مديد يتحول الى طويل مغلق

/ خ ـــَ ف /

ـــِ تحذف القمة وتجتلب الكسرة لأن المضارع ليس بالواو على ان الفعل أجوف واوي .

← / خ ـــِ ف / ت ـــُ /

و : / ب ـــً / ع ـــَ / + ت ـــُ /

/ ـــَ / × القاعدة (١ ـ أ ـ ١)

← / ب ـــً ع / ت ـــُ /

مديد يتحول الى طويل مغلق

ب ـــَ ع

ـــِ تحذف القمة وتجتلب الكسرة لأن المضارع ليس بالواو

← / ب ـــِ ع / ت ـــُ /

ويمكن أن يقال يرجع الى الأصل فيتوالى صائتان قصيران ونصف صائت فيغلّب

الأقوى بصورة صائت قصير

/ ق ــَـ و ــَـ ل ــَـ / ← ــُـ

/ ب ــَـ ي ــَـ ع ــَـ / ← ــِـ

/ خ ــَـ و ــِـ ف ــَـ / ← ــِـ

٢ ـ أ ـ ٢ : وإذا كان الفعل من أكثر من مقطعين طبقت بحقه القاعدة الاولى (١ ـ أ ـ ١) فيتكون مقطع مديد في الدرج ، يحول الى طويل مغلق ، وفقاً للقاعدة التي ذكرناها آنفاً في الكلام على تحول المديد ، وذلك نحو : استعادَ + تُ ← استعَدْتُ ، أي :

/ ء ــِـ س / ت ــَـ / ع ــًـ / د ــَـ / + ت ــُـ /

/ ــَـ / × وفقاً للقاعدة ١ ـ أ ـ ١

/ ع ــًـ د /

مديد يحول الى طويل مغلق

/ ع ــَـ د / ← / ء ــِـ س / ت ــَـ / ع ــَـ د / ت ــُـ /

٢ ـ ب : إذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله طويل مفتوح واتصل به ضمير رفع صائت طبقت بحقه القاعدة الاولى ١ ـ ب ـ ١ (حذف قمة المقطع الأخير وحلول الضمير الصائت محلها) ، نحو :

قالَ + الف الاثنين ، أو واو الجماعة ← قالا وقالوا ، أي :

/ ق ــًـ / ل ــَـ / + ــًـ /

/ ــَـ / × ← / ق ــًـ / ل ــًـ /

و / ق ــًـ / ل ــَـ / + ــُـُـ /

/ ــَـ / × ← / ق ــًـ / ل ــُـُـ /

ومثل ذلك :

استقال + الف الاثنين ، أو : واو الجماعة ← استقالا واستقالوا ، أي :

/ ء ــِـ س / ت ــَـ / ق ــًـ / ل ــَـ / + ــًـ /

/ ــَـ / × ← / ء ــِـ س / ت ــَـ / ق ــًـ / ل ــًـ /

و : / ء ــِـ س / ت ــَـ / ق ــًـ / ل ــَـ / + ــُـُـ /

/ ــَـ / × ← / ء ــِـ س / ت ــَـ / ق ــًـ / ل ــُـُـ

القاعدة الثالثة :

٣ ـ أ : اذا كان المقطع الأخير قصيراً ، والذي قبله طويل مغلق ، وذلك في مدغم العين في اللام ، واتصل به ضمر رفع مقطع ، رُدّ الفعل الى صورته قبل الادغام فيكون مما ينتهي بمقطعين قصيرين وتطبق بحقه القاعدة الاولى : ١ ـ أ ـ ١ وذلك نحو :

رَدَّ + تُ ← رَدَدْتُ ، استقَلَّ + نَ ← استقْلَلْنَ ، أنَّ + تُ ← أنَنْتُ ، أي :

/ ر ـَـ د / د ـَـ / + ت ـُـ /

يرد الى صورته قبل الادغام

/ ر ـَـ / د ـَـ / د ـَـ / + ت ـُـ /

/ ـَـ / × القاعدة (١ ـ أ ـ ١)

← / ر ـَـ / د ـَـ د / ت ـُـ /

ومثله : / ء ـِـ س / ت ـَـ / ق ـَـ ل / ل ـَـ / + ن ـَـ /

↓ الصورة قبل الادغام ـ وزنه اسْتَفْعَلَ ـ

/ ء ـِـ س / ت ـَـ ق / ل ـَـ / ل ـَـ / + ن ـَـ /

/ ـَـ / × القاعدة ١ ـ أ ـ ١

← / ء ـِـ س / ت ـَـ ق / ل ـَـ ل / ن ـَـ /

وسثله : أنَّ يَئِنُّ / ء ـَـ ن / ن ـَـ / + ت ـُـ /

/ ء ـَـ / ن ـَـ / ن ـَـ / ت ـُـ /

/ ـَـ / × القاعدة ١ ـ أ ـ ١

← / ء ـَـ / ن ـَـ ن / ت ـُـ /

٣ ـ ب : إذا كان المقطع الاخير قصيراً والذي قبله طويل مغلق وذلك في المدغم واتصل به ضمير رفع صائت طبقت بحقه القاعدة الاولى ١ ـ ب ـ ١ (حذف قمة المقطع الأخير وحلول الصائت محلها) نحو :

رَدَّ + الفِ الاثنين أو واو الجماعة ← رَدّا ، ردّوا ، استقلّ ← استقلّا ـ استقلّوا أنَّ ← أنّا ، أنّوا ، أي :

/ ر ـَـ د / د ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / ر ـَـ د / د ـًـ /

لماذا نفك الادغام الى متحركين ؟

لماذا نفكُ الادغام الى متحرك وساكن ؟

/ ر ـَـ د / د ـَـ / + ـُـُ /

/ ـَـ / × ← / ر ـَـ د / د ـُـُ /

/ ء ـِـ س / ت ـَـ / ق ـَـ ل / ل ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / ء ـِـ س / ت ـَـ / ق ـَـ ل / ل ـًـ /

/ ء ـِـ س / ت ـَـ / ق ـَـ ل / ل ـَـ / + ـُـُ /

/ ـَـ / × ← / ء ـِـ س / ت ـَـ / ق ـَـ ل / ل ـُـُ /

/ ء ـَـ ن / ن ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / ء ـَـ ن / ن ـًـ /

/ ء ـَـ ن / ن ـَـ / + ـُـُ /

/ ـَـ / × ← / ء ـَـ ن / ن ـُـُ /

القاعدة الرابعة :

٤ ـ أ : إذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله مديد واتصل به ضمير رفع مقطع طبقت بحقه القاعدة الاولى ١ ـ أ ـ ١ فيتكون مقطع متمادّ ينقسم الى طويل مفتوح ، وطويل مغلق باجتلاب قمة لقاعدتيه تكون فتحة ، نحو : اشهابّ + تُ ← اشهاببتُ ، أي :

/ ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب / ب ـَـ / + ت ـُـ /

/ ـَـ / × ← / ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب ب / ت ـُـ /

متماد ينقسم وتجتلب قمة هي الفتحة

/ هـ ـًـ / ب ـَـ ب /

← / ء ـِـ ش / هـ ـًـ / ب ـَـ ب / ت ـُـ /

٤ ـ ب : اذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله مديد واتصل به ضمير رفع صائت ، طبقت بحقه القاعدة الاولى ١ ـ ب ـ ١ نحو : اشهابّ ←اشهابّا ، اشهابّوا ، أي :

/ ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب / ب ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب / ب ـًـ /

/ ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب / ب ـَـ / + ـُـُ /

/ ـَـ / × ← / ء ـِـ ش / هـ ـًـ ب / ب ـُـُ /

القاعدة الخامسة : إذا كان المقطع الأخير طويلًا مفتوحاً واتصل به ضمير رفع مقطع ، نظر :

٥ ـ أ ـ ١ : فاذا كان الفعل من مقطعين ، رجع به الى أصله المفترض وطبقت بحقه القاعدة الاولى ١ ـ أ ـ ١ ، نحو : دعا + تُ ← دَعَوْتُ ، رمىٰ + تُ ← رَمَيْتُ ، أي :

/ د ـَ / ع ـًـ / + ت ـُ /

الاصل المفترض

/ د ـَ / ع ـَ / و ـَ / + ت ـُ /

/ ـَ / × ← / د ـَ / ع ـَ و / ت ـُ /

/ ر ـَ / م ـًـ / + ت ـُ /

الاصل

/ ر ـَ / م ـَ / ي ـَ / + ت ـُ /

/ ـَ / × ← / ر ـَ / م ـَ ي / ت ـُ /

٥ ـ أ ـ ٢ : واذا كان الفعل من أكثر من مقطعين ، تحول الطويل المفتوح الى مغلق بانشطار صائته الطويل ، وذلك نحو : استدعى + تُ ← استدعيتُ ، وانتمىٰ + تُ ← انتَميْتُ ، وتنامىٰ + تُ ← تناميتُ ، أي :

/ ء ـِ س / ت ـَ د / ع ـًـ / + ت ـُ /

انشطار / ـًـ / ←

/ ـَ ي / ← / ء ـِ س / ت ـَ د / ع ـَ ي / ت ـُ /

/ ء ـِ ن / ت ـَ / م ـًـ / + ت ـُ /

انشطار / ـًـ / ←

/ ـَ ي / ← / ء ـِ ن / ت ـَ / م ـَ ي / ت ـُ /

ويلاحظ ان المقطع الذي قبل الأخير ليس له أثر في التعامل فهو طويل مغلق في المثال الأول ، وقصير في المثال الثاني ، وطويل مفتوح في المثال الثالث والحكم واحد .

وانما انشطر الصائت الطويل الى قصير من جنسه (فتحة) على الأصل ، ونصف صائت من الكسرة (الياء) لأن الألف ليس منها نصف صائت كما تقدم ، فإما

أن يأتي نصف الصائت إذا انشطرت من الضمة ، واما أن يأتي من الكسرة ، والعربي اميل الى الياء منه الى الواو ، ألا يُرى مثلًا ان جمهور العرب غلّبوا صوت الياء على صوت الواو في بناء الاجوف الواوي للمجهول في نحو : قيل والاصل :

/ ق ـُـ / و ـِـ / ل ـَـ / بزنة فُعِل

/ و / × سقطت قاعدة المزدوج فالتقى صائتان الضمة والكسرة ولا يجوز ذلك فحذف الجمهور الضمة ومدّوا الصوت بالكسرة فقالوا : / ق ـِـ / ل ـَـ / وحذف بعض العرب الكسرة ومدّ الصوت بالضمة فقال : / ق ـُـُـ / ل ـَـ / .

٥ ـ ب ـ ١ ـ أ : إذا كان المقطع الاخير طويلًا مفتوحاً واتصل به الضمير الصائت الالف رُجع بالفعل الى الاصل اذا كان ثلاثياً (ق ٥ ـ أ ـ ١) ، (أي : من مقطعين) وحذف الصائت القصير من المقطع الأخير وحل محله الضمير الصائت .

(ق ١ ـ ب ـ ١) نحو : دعا ← دعَوا ، رمى ← رمَيا .

أي : / د ـَـ / ع ـًـ / + ـًـ /

الاصل

/ د ـَـ / ع ـَـ / و ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / د ـَـ / ع ـَـ / و ـًـ /

/ ر ـَـ / م ـًـ / + ـًـ /

الاصل

/ ر ـَـ / م ـَـ / ي ـَـ / + ـًـ /

/ ـَـ / × ← / ر ـَـ / م ـَـ / ي ـًـ /

٥ ـ ب ـ ١ ـ ب : وإذا لم يكن الفعل ثلاثياً (أكثر من مقطعين) انشطر الصائت الطويل في المقطع الطويل المفتوح ليكون الصائت قمة للمقطع نفسه ونصف الصائت قاعدة مقطع تالٍ قمته الضمير الصائت نحو : تنامىٰ ← تناميا .

أي : / ت ـَـ / ن ـًـ / م ـًـ / + ـًـ / ، / م ـًـ / ←

/ م ـَـ ي / ← / ت ـَـ / ن ـًـ / م ـَـ / ي ـًـ /

٥ ـ ب ـ ٢ : إذا كان المقطع الاخير طويلًا مفتوحاً واتصل به الضمير الصائت الواو ، حولت قمة المقطع الى صائت قصير من جنسها (فتحة) وحول الضمير الصائت الى نصف صائت من جنسه (واو احتكاكية) ليكون قاعدة ثانية للمقطع

الأخير ، وذلك نحو : دعا ← دَعَوْا ، تنامى ← تنامَوا : أي :

/ د ـَـ / ع ـًـ / + ـُـُـ / ، / ـُـُـ / ←

/ ـَـ و / ← / د ـَـ / ع ـَـ و /

والتوجيه الصوتي لهذا التحول في ضوء الكلام على حفظ المراتب ، أن يقال :

المقطع الأخير قمته صائت طويل (ـًـ) ، والمطلوب وصل الضمير به وهو أيضاً صائت طويل (ـُـُـ) والتقاء صائتين لا يكون ، كما لا يكون للمقطع الواحد قمتان ، لذا كان لا بد من شطر أحد الصائتين الطويلين ، وشطر الضمير (ـُـُـ) أولى لأنه يكون منه نصف صائت ، بخلاف قمة المقطع (ـًـ) الالف ، إذ لا يكون منه نصف صائت ، فيكون لدينا في التصور صائت طويل (ـًـ) بعده صائت قصير (ـُـ) بعده نصف صائت (و) ـ الواو الاحتكاكية ـ تسقط الضمة إذ لا يتوالى صائتان ، فيبقى مقطع مديد يتحول الى طويل مغلق وفقاً للقاعدة في تحول المديد الى طويل مغلق في الدرج ، أي :

/ د ـَـ / ع ـًـ / + ـُـُـ /

انشطار / ـُـُـ / ←

ـُـ و ← / د ـَـ / ع ـًـ ـُـ و /

/ ـُـ / × لتوالي صائتين

← / د ـَـ / ع ـًـ و /

مديد يتحول الى طويل مغلق

ع ـَـ و

← / د ـَـ / ع ـَـ و /

ومثله :

/ ت ـَـ / ن ـًـ / م ـًـ / + ـُـُـ / انشطار / ـُـُـ / ←

/ ـُـ و / ← / ت ـَـ / ن ـًـ / م ـًـ ـُـ و / حذف / ـُـ /

لتوالي صائتين ← / ت ـَـ / ن ـًـ / م ـًـ و / ، / م ـًـ /

مديد يتحول الى / م ـَـ و / طويل مغلق

← / ت ـَـ / ن ـًـ / م ـَـ و /

ويهذا يفسر تحول الواو من صائت طويل / ـُـُـ / الى نصف صائت احتكاكي

قيمته قيمة صامت / و / ويفسر أيضاً تحول الالف في دعا وتنامى ونحوهما الى فتحة .

بنية الفعل المضارع :

الفعل الماضي أصل تصريف الافعال فمنه يؤخَذ المضارع بزيادة لاصقة المضارعة في أوّله ، وهي مقطع قصير يتكون من الهمزة والفتحة ، أو النون والفتحة ، أو الياء والفتحة ، أو التاء والفتحة . وذلك من غير الرباعي ، أما في الرباعي فتحل الضمة محل الفتحة ، واللاصقة قد تحتفظ بصورتها المقطعية وقد تلتحم مع الصامت في أول الفعل مشكلة مقطعاً طويلًا مغلقاً ، فتحتفظ بمقطعيتها إذا كان المقطع الأول في الفعل الماضي طويلًا مفتوحاً ، نحو : نام ، وشارك ← ينام ويشارك ، أي :

/ ي ــَـ / + ن ــًـ / م ــَـ / ← / ي ــَـ / ن ــًـ / م ــُـ /

/ ي ــُـ / + ش ــًـ / ر ــَـ / ك ــَـ / ← / ي ــُـ / ش ــًـ / ر ــِـ / ك ــُـ /

أو كان قصيراً في غير الثلاثي ، نحو : تقدّم ، وتشارك ، وتدحرج ← يتقدم ويتشارك ويتدحرج ، أي :

/ ي ــَـ + / ت ــَـ / ق ــَـ د / د ــَـ / م ــَـ / ← / ي ــَـ / ت ــَـ / ق ــَـ د / د ــَـ / م ــُـ /

/ ي ــَـ + / ت ــَـ / ش ــًـ / ر ــَـ / ك ــَـ / ← / ي ــَـ / ت ــَـ / ش ــًـ / ر ــَـ / ك ــُـ /

/ ي ــَـ + / ت ــَـ / د ــَـ ح / ر ــَـ / ج ــَـ / ← / ي ــَـ / ت ــَـ / د ــَـ ح / ر ــَـ / ج ــُـ /

أو كان طويلًا مغلقاً غير مبدوء بهمزة وصل ، أو همزة قطع باعتبار مآل النطق ، نحو :

دحرجَ ← يدحرجُ ، أي :

/ ي ــُـ + / د ــَـ ح / ر ــَـ / ج ــَـ / ← / ي ــُـ / د ــَـ ح / ر ــِـ / ج ــُـ /

وتلتحم اللاصقة بالصامت في أول الفعل مشكلة منه مقطعاً طويلًا مغلقاً فيما سوى ذلك ، أي : اذا كان المقطع قصيراً في الثلاثي ، نحو : كَتَبَ ← يَكْتب :

/ ي ــَـ + / ك ــَـ / ت ــَـ / ب ــَـ / ← / ي ــَـ ك / ت ــُـ / ب ــُـ /

واذا كان المقطع مبدوءاً بهمزة وصل ، أو همزة قطع باعتبار المآل ، نحو :

انكسر، واختبر، واخضرّ، واستفهمَ، واغدودَن، واخضارّ، واجلوّذ، واخرنجم، واطمأنَّ. ويندرج معها نحو: أكرم على ما يأتي بيانه، حيث تحذف همزة الوصل والصائت الذي يليها لدخول لاصقة المضارعة التي تلتحم بالصامت الذي في أول الفعل مشكلة معه مقطعاً طويلًا مغلقاً، نحو: انكسر ← ينكسر، أيَ:

/ ي ـَـ / + / ءـِـ ن / كـَـ / سـَـ / رـَـ / ← / يـَـ ن / كـَـ / سـِـ / رـُـ /

/ ءـِـ / × تحذف لدخول اللاصقة

ومثله الأوزان الاخرى المذكورة أمثلتها. أما نحو أكرم فكان حقها أن تكون مثل دحرج لأن الهمزة فيها ليست همزة وصل حتى تحذف لدخول اللاصقة، أي أن تحتفظ اللاصقة بصورتها المقطعية فيقال في أكرم يؤكرم بزنه يُفَعْلِل وقد قالها بعض العرب: (فإن اضطر شاعر فقال: يؤكرمُ ويُؤحسِنُ جاز ذلك ... وكما قال:

فإنّـه أهـلٌ لأنْ يؤكرمـا.)[18]

ولكن جمهور العرب حذفوا الهمزة والصائت الذي بعدها وأحلوا اللاصقة محلهما فقالوا: يُكرم، أي:

/ ي ـُـ / + ءـَـ ك / رـَـ / مـَـ / ← / يـُـ ك / رـِـ / مـُـ /

فالتغيير المقطعي الذي يصيب الماضي عند أخذ المضارع منه يكون في أوله، أما الآخر فلا يتغير من حيث المقاطع.

اتصالُ المضارع بضمائر الرفع:

يتصل بالفعل المضارع من ضمائر الرفع الصوائت الثلاثة: الف الاثنين / ـًـ /، وواو الجماعة: / ـُـُ /، وياء المخاطبة / ـِـ /، وتزاد النون في حالة الرفع مكسورة بعد الألف، ومفتوحة بعد الواو والياء. ومن ضمائر الرفع التي تكوّن مقطعاً نون النسوة: / ن ـَـ / وحدها.

القاعدة السادسة:

٦ ـ أ: إذا كان المضارع منتهياً بمقطع قصير نحو: يكتبُ، ويُردُّ، ويقولُ، واسند الى ضمير رفع صائت، حذفت قمة المقطع القصير وحل الضمير الصائت

١٨ ـ المقتضب للمبرد ٢: ٩٨.

محلها . نحو : يكتب ← يكتبانِ ، يرُدّ ← يردّون ، تقول ← تقولين ، أي :

/ ي ـَـ ك / ت ـُـ / ب ـُـ / + ـًـ ن ـِـ / ← ي ـَـ ك / ت ـُـ / ب ـًـ / ن ـِـ / ، / ـُـ / ×

/ ي ـَـ / ر ـُـ د / د ـُـ / + ـُـُ ن ـَـ / ← / ي ـَـ / ر ـُـ د / د ـُـُ / ن ـَـ / ، / ـُـ / ×

/ ت ـَـ / ق ـُـُ / ل ـُـ / + ـٍـ ن ـَـ / ← / ت ـَـ / ق ـُـُ / ل ـٍـ / ن ـَـ / / ـُـ / ×

٦ ـ ب : اذا كان المضارع منتهياً بمقطع قصير واسند الى ضمير رفع مقطع وهو نون النسوة ، نظر :

٦ ـ ب ـ ١ : فاذا كان الذي قبله قصيراً أيضاً حذفت قمة الأخير واتصلت قاعدته بالقصير السابق لتشكل معه مقطعاً طويلًا مغلقاً ، نحو : يكتُبُ ← يكتبْنَ ، أي :

/ ي ـَـ ك / ت ـُـ / ب ـُـ / + ن ـَـ / ← / ي ـَـ ك / ت ـُـ ب / ن ـَـ / / ـُـ / ×

٦ ـ ب ـ ٢ : وإذا كان الذي قبله طويلًا مغلقاً ، ويكون في حالة الادغام ، فك الادغام وعاد الفعل الى أصله منتهياً بمقطع قصير قبله قصير فتطبق بحقه القاعدة ٦ ـ ب ـ ١ نحو :

يرُدُّ ← يرْدُدنَ ، أي :

/ ي ـَـ / ر ـُـ د / د ـُـ / + ن ـَـ /

الأصل

/ ي ـَـ ر / د ـُـ / د ـُـ / + ن ـَـ / ي ـَـ ر / د ـُـ د / ن ـَـ /

×

٦ ـ ب ـ ٣ : واذا كان الذي قبله طويلًا مفتوحاً حذفت قمة الأخير وجعلت قمة الطويل قصيرة والتحقت به قاعدة الاخير ، نحو : يقول ← يقُلْن ، أي :

/ ي ـَـ / ق ـُـُ / ل ـُـ / + ن ـَـ /

/ ـُـ / × ← / ي ـَـ / ق ـُـُ ل / ن ـَـ / ← / ي ـَـ / ق ـُـ ل / ن ـَـ /

/ ق ـُـُ ل / مديد يتحول الى طويل مغلق / ق ـُـ ل /

حيث يؤدي تطبيق القاعدة ٦ ـ ب ـ ١ الى وجود مقطع مديد يتحول الى طويل مغلق بتحول الصائت الطويل الى قصير .

٧ ـ إذا كان المقطع الاخير طويلًا مفتوحاً فإما أن يكون الصائت الفاً نحو يسعىٰ ، وإما أن يكون واواً أو ياءً نحو يدعو ، ويرمي .

٧ ـ أ ـ ١ : فإذا كان الفاً واسند الى الف الاثنين انشطر الصائت الى فتحة وياء نصف صائت وتكون الفتحة قمة للمقطع الذي انشطر صائته ، والياء قاعدة للمقطع الذي قمته الف الاثنين ، أي :

/ ي ـَـ س / ع ـًـ / + ـًـ ن ـِـ / ، / ـًـ / ←

/ ـَـ ي / انشطار الالف الى فتحة وياء إذ ليس منه نصف صائت فيؤتى به من الكسرة .

← / ي ـَـ س / ع ـَـ / ي ـًـ / ن ـِـ /

٧ ـ أ ـ ٢ : وإذا كان الفاً واسند الى نون النسوة انشطر الصائت الطويل أيضاً وتحول الطويل المفتوح الى طويل مغلق ، أي :

/ ي ـَـ س / ع ـًـ / + ن ـَـ / ، / ـًـ / ←

/ ـَـ ي / ← / ي ـَـ س / ع ـَـ ي / ن ـَـ /

٧ ـ أ ـ ٣ : واذا كان الفاً واسند الى واو الجماعة : / ـُـُـ / ، أو ياء المخاطبة : / ـِـ / ، تحوّل الضمير الصائت الى نصف صائت والالف الى فتحة ـ الصائت الطويل الى قصير ـ على ان حفظ المراتب يدعو الى القول : ان الضمير الصائت انشطر الى صائت قصير ونصف صائت ، يحذف الصائت القصير لتوالي صائتين لأن قبله الالف ، وبحذفه يتكون مقطع مديد في الدرج يتحول الى طويل مغلق بتقصير الصائت الطويل ، أي :

/ ي ـَـ س / ع ـًـ / + ـُـُـ ن ـَـ /

وانشطار / ـُـُـ / ← / ـُـ و /

← / ي ـَـ س / ع ـًـ ـُـ و / ن ـَـ /

/ ـُـ / × لتوالي صائتين

← / ي ـَـ س / ع ـًـ و / ن ـَـ /

/ ع ـًـ و / مديد يتحول الى طويل مغلق

/ ع ـَـ و / ← / ي ـَـ س / ع ـَـ و / ن ـَـ /

ومثل ذلك مع ياء المخاطبة :

/ ت ـَـ س / ع ـًـ / + ـِـ ن ـَـ /

انشطار / ـًـ / ←

/ ـَـ ي / ← / ت ـَـ س / ع ـًـ ـَـ ي / ن ـَـ /

/ ـَـ / × لالتقاء صائتين

← / ت ـَـ س / ع ـًـ ي / ن ـَـ /

/ ع ـًـ ي / مديد يتحول الى طويل مغلق / ع ـَـ ي /

← / ت ـَـ س / ع ـَـ ي / ن ـَـ /

٧ ـ ب : فاذا كان الصائت الطويل واواً أو ياءً :

٧ ـ ب ـ ١ : واسند المضارع الى نون النسوة لم يتغير شيء في البنية المقطعية ، نحو :

يدعو ← يدعونَ ، يرمي ← يرمين ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـُ / + ن ـَـ / ← / ي ـَـ د / ع ـُـُ / ن ـَـ /

/ ي ـَـ ر / م ـِـِ / + ن ـَـ / ← / ي ـَـ ر / م ـِـِ / ن ـَـ /

٧ ـ ب ـ ٢ : واذا اسند الى الف الاثنين انشطر الصائت الطويل الى صائت قصير من جنسه يكون قمة للمقطع الذي انشطر صائته ونصف صائت يكون قاعدة للمقطع الذي قمته الف الاثنين ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـُ / + ـًـ ن ـِـ / ← / ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـًـ / ن ـِـ / ،

/ ـُـُ / ← / ـُـ و /

/ ي ـَـ ر / م ـِـِ / + ـًـ ن ـِـ / ← / ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـًـ / ن ـِـ /

/ ـِـِ / ← / ـِـ ي /

٧ ـ ب ـ ٣ : واذا اسند الى واو الجماعة : / ـُـُ أو ياء المخاطبة : / ـِـِ / حذف الصائت الطويل وحل الضمير الصائت محله ، نحو : يدعو ← يدعون ، يرمي ← يرمون ، تدعو ← تدعين ، ترمي ← ترمين ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـُ / + ـُـُ ن ـَـ / ← / ي ـَـ د / ع ـُـُ / ن ـَـ /

/ ـُـُ / × لتوالي صائتين .

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / + ـُـُ ن ـَـ / ي ـَـ ر / م ـُـُ / ن ـَـ /
/ ـِـ / × لتوالي صائتين .
/ ت ـَـ د / ع ـُـُ / + ـِـ ن ـَـ / ← / ت ـَـ د / ع ـِـ / ن ـَـ /
/ ـُـُ / × لتوالي صائتين .
/ ت ـَـ ر / م ـِـ / + ـِـ ن ـَـ / ← / ت ـَـ ر / م ـِـ / ن ـَـ /
/ ـِـ / × لتوالي صائتين .

بنية فعل الأمر :

يؤخذ الأمر من المضارع بحذف لاصقة المضارعة من أوله ، واذا كان منتهياً بمقطع قصير حذفت قمته ، واذا كان منتهياً بمقطع طويل ، ولا يكون إلا مفتوحاً ، جعل الصائت الطويل فيه قصيراً ، واذا كان مما اسند الى ضمير رفع صائت حذفت منه نون الرفع والصائت القصير الذي بعدها ، واذا أدى حذف الصائت القصير من الآخر الى تكون مقطع مديد حوّل الى طويل مغلق ، أو أدّى الى توالي صامتين في آخر المقطع ـ أي تكون مقطع مزيد أو متماد ـ اجتلبت الفتحة في الآخر ، للتخلص من الصورة غير المقبولة في مقاطع الدرج . وإذا أدّى حذف اللاصقة الى توالي صامتين في أول الفعل اجتلبت همزة الوصل وصائتها في غير الرباعي واعيدت همزة الرباعي وصائتها وضم الصامت الأول اليهما مشكلًا معهما مقطعاً طويلًا مغلقاً .

وفيما يأتي ايضاح ما أوجزناه :

١ ـ يؤخذ فعل الأمر من نحو : يُسابق ، ويتقدم ، ويتسابق ، ويتدحرج ، وفقاً للقاعدة العامة ، أي حذف لاصقة المضارعة ، والصائت القصير من آخر الفعل .

/ ي ـُـ / س ـَـ / ب ـِـ / ق ـُـ / ← / س ـَـ / ب ـِـ ق /
/ ي ـُـ / × ، / ـُـ / ×

حذفت اللاصقة من الأول وحذفت قمة المقطع القصير من الأخير فبقيت قاعدته ولا يتشكل المقطع من القاعدة وحدها فالحقت بالمقطع السابق ليكون طويلًا مغلقاً بعد أن كان قصيراً . ومثل هذا يقال عن أخذ تقدَّمْ من يتقدَّمُ وتَسابقْ من يتسابقُ وتدحرجْ من يتدحرجُ .

٢ ـ ويؤخذ من نحو : يدعو ، ويرمي ، ويسعى ، بحذف اللاصقة من أوله ، وجعل

الصائت الطويل الذي في آخره قصيراً . وتجتلب همزة الوصل وصائتها كي لا يبدأ المقطع بصامتين فيقال : ادعُ ، وارمِ ، واسعَ ، مِن : يدعو ، ويرمي ، ويسعى أي :
/ ي ـَـ د / ع ـُـُـ / ← / ... د ع ـُـ / ← / ء ـُـ د / ع ـُـ / ، / ي ـَـ / ×
/ ـُـ / × / ء ـُـ / تجتلب الهمزة وصائتها كي لا تبقى قاعدة المقطع مفردة وهو غير جائز أو تلتحق بالمقطع التالي مشكلة مقطعاً يبدأ بصامتين وهو أيضاً غير جائز ، على ان هذه الهمزة المجتلبة يحتاج اليها في ابتداء الكلام أما في الدرج فستقط مع صائتها نحو ، قلتُ ادعُ .

ومثل هذا يقال في : ارمِ ، واسعَ .

٣ ـ ويؤخذ من نحو : يقولُ ، ويبيعُ ، ويخاف ، بحذف اللاصقة من الأول ، والصائت من الآخر ، فيتولد مقطع مديد يحول الى طويل مغلق بتقصير صائته الطويل ، فيقال : قلْ ، وبِعْ ، وخَفْ ، أي :
/ ي ـَـ / ق ـُـُـ / ل ـُـ / ← / ق ـُـُـ ل / ← / ق ـُـ ل /
/ ي ـَـ / × ، / ـُـ / ×

ومثل ذلك يقال في : بِعْ ، وخَفْ و : قِ و ، عِ ، من يَقي ، ويَعي .

٤ ـ ويؤخذ من نحو : يَرُدّ ، ويخضرُّ ، ويصفارُّ بحذف اللاصقة من أولهِ والصائت القصير من آخره ، والتخلص من توالي صامتين في الآخر بالفتحة ومن توالي صامتين في الأول بهمزة الوصل وصائتها ، أي : يَرُدُّ ← رُدَّ
/ ي ـَـ / ر ـُـ د / د ـُـ / ← / ر ـُـ دد / تشكل مقطع مزيدٍ ولا توجد مشكلة في الأول لعدم توالي صامتين في أوله فلا حاجة الى همزة الوَصل ينقسم المزيد الى طويل مغلق وقصير باجتلاب الفتحة .
/ ي ـَـ / × ، / ـُـ / ×

← / ر ـُـ د / د ـَـ /

يخضرُّ ← اخضرَّ

/ ي ـَـ خ / ض ـَـ ر / ر ـُـ / توالى صامتان من أوله : يتخلص من ذلك باجتلاب همزة الوصل وصائتها ، فيبقى مقطع مزيد ينقسم

/ ي ـَـ / × ، / ـُـ / × الى طويل مغلق وقصير باجتلاب الفتحة لتكون قمة للقصير .

← / خ ض ر ر /

/ ء ـِـ خ / ض ـَـ ر / ر ـَـ /

يصفارُّ ← اصْفارَّ

/ ي ـَـ ص / ف ـًـ ر / ر ـُـ / ← / .. ص ف ـًـ رر /

← / ء ـِـ ص / ف ـًـ ر / ر ـَـ /

حيث اجتلبت همزة الوصل وصائتها لمعالجة تتابع صامتين في الأول ، واجتلبت الفتحة في الآخر لمعالجة المقطع المتماد بقسمته الى مديد وقصير .

٥ ـ أما الرباعي الذي حذفت همزة القطع وصائتها فيه بدخول لاصقة المضارعة ، فعند حذف اللاصقة لصيغة الأمر تعود الهمزة وصائتها ، ويحذف الصائت القصير من آخره أو يقصّر إن كان صائتاً طويلًا ، أو يجعل فتحة في المدغم وذلك نحو :

يُكرمُ ← أكرمْ ويُرضي ← أرضِ ويُقِلُّ ← أقللْ وأقِلَّ ، أي :

/ ي ـُـ ك / ر ـِـ / م ـُـ / والأصل قبل الحذف / ي ـُـ / ء ـَـ ك / ر ـِـ / م ـُـ / ← / ء ـَـ ك / ر ـِـ م / ، / ي ـُـ / × ، / ـُـ / ×

/ ي ـُـ ر / ض ـِـ /

الاصل : / ي ـُـ / ء ـَـ ر / ض ـِـ / ، / ي ـُـ / × ، / ـِـ / ← / ـِـ / ← / ـِـ / ←

/ ء ـَـ ر / ض ـِـ /

ومثلها : / ي ـُـ / ق ـِـ ل / ل ـُـ / ← الاصل :

/ ي ـُـ / ء ـَـ ق / ل ـِـ / ل ـُـ / ← / ء ـَـ ق / ل ـِـ ل / وفي الادغام

/ ـِـ / ×

← / ء ـَـ ق ل ل / صورة غير مقبولة ، تجزأ باجتلاب قمة بعد القاف وقمة في الآخر

← / ء ـَـ / ق ـِـ ل / ل ـَـ /

ومن كل ما مرَّ يمكن أن نوجز قاعدة صوغ الأمر من المضارع على الوجه الآتي :

القاعدة الثامنة :

٨ ـ يصاغ الأمر بحذف لاصقة المضارع من أول المضارع وحذف الصائت القصير من آخره ، أو تقصير الصائت الطويل إن وجد ويعاد التشكيل وفقاً لقواعد التعامل الصوتي بفتح آخر المضعف ، وجلب همزة الوصل وصائتها اذا وجد صامتان في الأول .

اتصال الأمر بضمائر الرفع :

فعل الأمر مثل الفعل المضارع يتصل به من ضمائر الرفع التي تكون مقطعاً نون النسوة / نَ / ، والضمائر الصائتة : الف الاثنين / ــً / و : واو الجماعة / ــُـُ / و : ياء المخاطبة / ــِـ / .

القاعدة التاسعة :

٩ ـ أ : إذا كان المقطع الاخير من فعل الأمر طويلًا مغلقاً واتصلت به ضمائر الرفع لم يُغيّر في بنيته مع الضمائر الصائتة ومع نون النسوة واعيد تشكل المقاطع مع الضمائر الصائتة (الف الاثنين واو الجماعة وياء المخاطبة) حيث تكون قاعدة المقطع الطويل الثانية قاعدة للصوائت . نحو : اكتبْ ← اكتبْن ، اكتبا ، اكتبوا ، اكتبي ، أي :

/ ءـــُـك / تـــُـب / + ن ــَـ / ← / ءـــُـك / تـــُـب / نــَـ /

/ ءـــُـك / تـــُـب / + ــً / ← / ءـــُـك / تـــُـ / بـــً / ومثل هذا يكون مع الواو والياء .

٩ ـ ب : فإذا كان أصل المقطع الطويل مديداً ، نظر :

٩ ـ ب ـ ١ : فاذا اسند الى نون النسوة بقي على بنيته نحو : قلْ ← قُلْنَ ، أي :

/ قـــُـل / + نــَـ / ← / قـــُـل / نــَـ /

٩ ـ ب ـ ٢ : واذا اسند الى ضمائر الرفع الصائتة رجع الطويل الى أصله المديد لانتقال قاعدته الى الضمير الصائت وانعدام صورة المديد التي الجأت الى تحويله الى طويل ، نحو :

قلْ ← قولا ، قولوا ، قولي ، أي :

/ ق ـُـ ل / + ـَ /

/ ق ـُـُ ل + ـَ / ← / ق ـُـُ / ل ـَ / وهكذا يكون مع الواو والياء .

١٠ ـ أ : إذا كان المقطع الأخير قصيراً في فعل الأمر واصله في المضارع طويل مفتوح ، نظر :

١٠ ـ أ ـ ١ : فاذا كانت قمته ضمة (أصلها واو) ، أو كسرة (أصلها ياء) واسند الى نون النسوة رجعت القمة طويلة على الأصل نحو :

أدعُ ← أدعونَ ، ارمِ ← ارمين ، أي :

/ ء ـُ د / ع ـُ / + ن ـَ / ← / ء ـُ د / ع ـُـُ / ن ـَ / وكذلك مع الياء

١٠ ـ أ ـ ٢ : واذا اسند الى الف الاثنين رجعت القمة طويلة ايضاً وانشطرت الى صائت قصير ، ونصف صائت يكون قاعدة لألف الاثنين ، نحو ادعُ ← أدعُوا ، ارمِ ← ارمِيا ، أي :

/ ء ـُ د / ع ـُ / + ـَ /

/ ع ـُـُ / الاصل

انشطار

/ ـُ و / ← / ء ـُ د / ع ـُ / و ـَ / ومثله / ء ـِ ر / م ـِ / + ـَ /

الاصل / م ـِ / انشطار

/ ـِ ي / ← / ء ـِ ر / م ـِ / ي ـَ /

١٠ ـ أ ـ ٣ : واذا اسند الى واو الجماعة / ـُـُ / أو ياء المخاطبة / ـِ / حذف من آخره الصائت القصير وحل الضمير الصائت محله ، نحو

ارمِ ← ارموا ، ادعُ ← ادعي ، أي :

/ ء ـِ ر / م ـِ / + ـُـُ / ← / ء ـِ ر / م ـُـُ / ، / ء ـُ د / ع ـُ / + ـُـُ / ← / ء ـُ د / ع ـُـُ /

/ ء ـُ د / ع ـُ / + ـِ / ← / ء ـُ د / ع ـِ / ، / ء ـِ ر / م ـِ / + ـِ / ← / ء ـِ ر / م ـِ /

١٠ ـ ب ـ ١ : واذا كانت قمة المقطع فتحة (أصلها ألف) واسند الى نون النسوة أو الف الاثنين رجعت القمة الى أصلها صائتاً طويلًا ، وانشطر الى صائت

قصير من جنسه (فتحة) ونصف صائت من الياء لانعدام نصف الصائت من الالف ، نحو :

اسعَ ← اسعَينَ ، اسعيا ، أي :

/ ء ـــِ س / ع ـــَ / + ن ـــَ /

↓ الاصل

ـــً انشطار

ـــَ ي ← / ء ـــِ س / ع ـــَ ي / ن ـــَ /

/ ء ـــِ س / ع ـــَ / + ـــً /

↓ الاصل

ـــً انشطار

ـــَ ي ← / ء ـــِ س / ع ـــَ / ي ـــً /

١٠ ـ ب ـ ٢ : وإذا اسند الى واو الجماعة / ـــُـُ / أو ياء المخاطبة[١٩] / ـــٍ / ، انشطر الضمير الى صائت قصير من جنسه ونصف صائت ، وحذف صائته القصير تجنباً لتتابع صائتين ، نحو :

اسعَ ← اسعَوْا ، اسعَي ، أي :

/ ء ـــِ س / ع ـــَ / + ـــُـُ / ← / ء ـــِ س / ع ـــَ و /

انشطار / ـــُـُ / ← / ـــُ و /

/ ء ـــِ س / ع ـــَ / + ـــٍ / ← / ء ـــِ س / ع ـــَ ي / ، انشطار / ـــٍ / ← / ـــِ ي / ،

١٩ ـ اقترب رضي الدين الاستراباذي مما عليه الدرس الحديث إذ قال في شرح الشافية ٣ : ١٥٩ ـ ١٦٠ : (... يعني ان أصلها اخشَيُوْا ... واخْشَيِي ... ولمانعٍ أن يمنع أنَّ أصل اخشَوْا : اخشَيوُا ، واصل اخشَيْ : اخشيِي ، وذلك لأن الواو والألف والياء ، كل واحد منها فاعل يلحق الفعل ، كما يحلق زيد في : رمى زيد ، لا فرق بينهما ، إلا ان اتصال الضمير اشدّ ولا يلزم أن يلحق الفاعل أصل الفعل ، بل يلحقه بعد الاعلال ، لأنه ما لم ينقح أصل الكلمة ولم تعط مطلوبها في ذاتها لم يلحق بها مطلوب خارجي ... والحق أن يقال : ان اصل اخشَوْا ، واخشَي : اخشَ لحقته الواو والياء) . وبذا لا يكون تقصيره إلا في انه لم يوضح تحول الضمير من صائت طويل الى نصف صائت ، احتكاكي ، قيمته قيمة صامت .

وحذف / ـــِ / لتوالي صائتين

١١ ـ اذا كان المقطع الأخير من فعل الأمر قصيراً وقبله طويل مغلق وذلك في حال الادغام نظر :

١١ ـ أ : فاذا اسند الى نون النسوة ، فك الادغام على الاصل ووصل بالضمير ، نحو :

رُدَّ ← أرْدُدْنَ ، استَعَدَّ ← استعْدِدْنَ ، أي :

/ ر ـــُ د / د ـــَ / + ن ـــَ /

↓ الاصل

/ ء ـــُ ر / د ـــُ د / الفعل من باب نصر ينصر أي ان اصله :

/ ي ـــَ ر / د ـــُ / د ـــُ / بزنة ينصر

/ ي ـــَ / ×

تحذف منه لاصقة المضارع فيبدأ بـسامتين ، تجلب همزة الوصل وصائتها تخلصاً من البدء بصامتين ، ويحذف الصائت القصير من آخره فيكون :

/ ء ـــُ ر / د ـــُ د / + ن ـــَ / ← / ء ـــُ ر / د ـــُ د / ن ـــَ /

ومثله : يستعد : أصله يستَعْدِدُ بزنة يستَفعِل أي :

/ ي ـــَ س / ت ـــَ ع / د ـــِ / د ـــُ / ← / ء ـــِ س / ت ـــَ ع / د ـــِ د / + ن ـــَ /

← / ء ـــِ س / ت ـــَ ع / د ـــِ د / ن ـــَ /

١١ ـ ب : واذا اسند الى ضمير صائت (الف الاثنين / ـــً / أو واو الجماعة / ـــُـُ / أو ياء المخاطبة / ـــِ /) حذف الصائت القصير من آخره وحل الضمير الصائت محله نحو :

رُدَّ ← رُدّا ، رُدّوا ، رُدّي واستعِدّ ← استعدّا ، استعدّوا ، استعدّي ، أي :

/ ر ـــُ د / د ـــَ / + ـــً / ← / ر ـــُ د / د ـــً /

/ ـــَ / ×

/ ... + ـــُـُ / ← / ر ـــُ د / د ـــُـُ /

/ ... + ـــِ / ← / ر ـــُ د / د ـــِ /

ومثل هذا يقال عن اتصالها باستعِدَّ .

إشكالية الرسم
في ضوء الدرس الصوتي الحديث

كان ابن خلدون على صواب عندما ذكر في مقدمته (ان الخطّ والكتابة من عداد الصنائع الانسانية ، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية ، وهو صناعة شريفة ...)[١] .

وهذا على خلاف كلامهم على اللغة : أتواضع هي أم الهام[٢] ، فالكتابة صناعة انسانية ، وليس يعنينا أن يكون الانسان قد فكر قبل أن يتكلم ، أو ان الافكار لا تكون من غير لغة[٣] ، ولكن الذي يعنينا ههنا ان محاولة التعبير عن الاصوات اللغوية بالرسم لا بد أن تكون قد جاءت متأخرة عن التعبير بالاصوات عن المعاني التي في النفس ، وفي كلام ابن خلدون المذكور آنفاً ما يشير الى هذا المعنى إذ جعل الكتابة ثاني رتبة من الدلالة اللغوية ، وفي هذا المعنى يقول Pyles : (لا نستطيع لهذا أن نعرف كيف بدأت اللغة ، ولكننا واثقون من انها ضاربة بجذورها في اعماق الزمن القديم ، ولما بدأ الانسان الكلام كان قد أوجد حياة أخّاذة منذ ذلك الحين ، ومضى وقت طويل قبل أن يبتكر نظاماً للاشارات ينقشها على الخشب أو الصخر أو ما أشبه ذلك تُصوّر ما كان يقوله عندما كان يتكلم ، لقد كانت الكتابة ، موازنة باللغة ، اختراعاً عبقرياً جديداً لا يقل بريقاً عن اللغة نفسها ...)[٤] .

وقد تباينت الأمم في التعبير عن اللغة بالرسم ، فمنها ما عبّر عن كل لفظة بصورة خاصة بها سواء كانت صورة المدلول أم خطوطاً خاصة بالكلمة الدالة ، ونجد

---

١ ـ مقدمة ابن خلدون ص ٤١٧ .

٢ ـ انظر : الخصائص ١ : ٤٠ ، وعلم اللغة لوافي ص ٨٨ ـ ٩٧ .

٣ ـ انظر : العلاقة بين اللغة والفكر ص ٢٠ .

٤ ـ The origins and Development of the English language : P. 2

ذلك في الهيروغليفية وفي بدايات الخط المسماري[٥] ، ومن أشهر أمثلته اليوم الكتابة الصينية[٦] . ومنها ما عبّر عن الوحدات الصوتية الصغرى بخطوط ثابتة الصورة تتكرر حيث تكرر الصوت ، وعلى ذلك أكثر اللغات المعروفة اليوم ومنها العربية وهي موضوع بحثنا ، والانكليزية ، وهي اللغة الثانية التي سنفيد منها في هذا البحث .

ولا شك في أن تجزئة السلسلة اللغوية المنطوقة الى وحدات صغرى ، ووضع الرموز لتلك الوحدات كان عملًا عظيماً ، وفي هذا يقول جورج مونان : (إن مايّي لم يخطىء عندما قال : إن الرجال الذين اخترعوا واتقنوا الكتابة كانوا السنيين كباراً . وهم الذين خلقوا الألسنية)[٧] .

لسنا هنا بسبيل التأريخ للرسم اللغوي وتطوره ، ولكننا نريد أن ندرس مشكلة العلاقة بين الرسم والصوت من حيث التطابق والافتراق ، ونسارع الى القول اننا لا نشك في ان استعمال الرمز الكتابي للصوت اللغوي كان في أول وضعه على جانب كبير من التطابق ، ولا سيما في الصوامت ، إذ لا يُتصور أن يضع أهل اللغة أكثر من رمز كتابي للصوت الواحد ، لما في ذلك من تبذير ، أو أن يضعوا رمزاً واحداً لأكثر من صوت لأن في ذلك ما فيه من اللبس الذي كان الواضعون في غنى عنه وهم يبدأون وضع رموزهم الصوتية[٨] .

بيد ان ثبات الكتابة بما فيها من تقييد وتحول الأصوات اللغوية بما يدخل عليها من آثار التطور والتعامل أدّى بمرور الزمن الى وجود شيء من التباعد بين الرموز المكتوب وما يعبّر عنه من صوت منطوق[٩] . وتباينت اللغات في شدّة البعد بين الرسم والصوت ، وأصبح الاملاء مشكلة دائمة من مشكلات التعليم في أكثر أمم الأرض ، ولكنها جميعاً أقرّت هذه المفارقة ، وارتضت المشقّة حرصاً على الموروث من النتاج المكتوب ، وطلباً لاتصال الفكر الحديث بالقديم . وقد بلغت المفارقة في

---

٥ ـ انظر : تاريخ اللغات السامية ، ص ٣٥ .

٦ ـ انظر : علم اللغة العام لسوسير ص ٤٤ .

٧ ـ مفاتيح الألسنية ، ص ٣١ .

٨ ـ انظر : أصوات العربية بين التحول والثبات ص ٨٠ .

٩ ـ انظر : علم اللغة لوافي ص ٢٧٥ .

الانكليزية مثلًا حدّاً جعل واحداً من أبرز اللغويين المعاصرين يقول : (ان الطريقة التقليدية لكتابة اللغة الانكليزية أبعد ما تكون عن الاتّساق والثبات ، فمعرفتنا بأصوات الكلمة لا تساعد على تهجّيها ، والعكس صحيح ، إذ لا نستطيع نطق الكلمة إذا عرفنا هجاءها ...)[١٠] .

ومن أجل معالجة هذا الاشكال على مستوى الدرس التخصصي وليس على مستوى الكتابة اليومية حرص العلماء في الغرب على وضع رموز صوتية أطلقوا عليها اسم الرموز الدولية[١١] ، تتصف بثبات العلاقة بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق ، وذلك سعياً الى الدّقة في الدراسة الصوتية ، على انهم لم يطلبوا هذه الدقة في الكتابة اليومية ، وفي هذا يقول فردينان دي سوسير : (هل هناك ما يسوّغ استخدام حروف هجاء صوتية عوضاً عن نظام مستخدم للكتابة ؟... أعتقد ان حروف الهجاء الصوتية ينبغي أن يقتصر استعمالها على اللغويين .. فالدّقة الصوتية اذن غير مرغوب فيها خارج العلم)[١٢] .

وقد آثرت قبل أن أتكلم على جانب من إشكال الرسم في العربية أن اقدم بين يدي ذلك جانباً يسيراً من المشكل في الانكليزية ، وهي اللغة الثانية عندنا ، لنري أن ما نجده في لغتنا ليس نسيج وحده بل هو أمر شائع في لغات اخرى ، إن لم يكن ما في بعض تلك اللغات أكثر وأعقد مما نجده في العربية .

الكتابة الانكليزية كتابة صُويتيّة (phonemic) أي ان كل صوت مفرد في السلسلة المنطوقة له رمز خاص به ، وهكذا الشأن في العربية ، ولكن الأمر لا يمضي بهذا الاتّساق حين ننظر الى مجموعة الالف باء الانكليزية وما ترمز اليه ، فالصوت الثالث في سلسلة الألف باء عندهم الذي يرمـز له بـ (C) ويقابل الصوت الذي يرمز له بالعربية بـ (س) نجده يعود بعد خمسة عشر حرفاً بصورة (S) ، فإذا جئنا مثلًا الى كلمة : cease / si : s / (توقّف) وجدنا الصوت الأول والآخر في النطق واحداً . فهذا يوافق ما عليه أصوات الالف باء الانكليزية اليوم ، ولا نجد عناء كبيراً في معرفة

---

١٠ - هو (Otto Jespersen) على ما ورد في كتاب : في علم اللغة العام ص ٦٥ ، وانظر : الالسنية : مبادئها واعلامها ص ٢٧٧ .

١١ - انظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٧١ - ٧٣ ، وانظر : بعض مظاهر التطور اللغوي ص ٩٣ .

١٢ - علم اللغة العام ص ٥٢ .

سبب هذا الاسراف في الكتابة حيث وضع كتّاب الانكليزية رمزين لصوت واحد ، ذلك أن الأصل أن يكون ما يرمز إلى ما يقابل صوت السين في العربية هو (S) ، أما (C) فقد عبّر عن صوت (S) بسبب التأثر بالفرنسية ، يقول Pyles : (بتأثير الفرنسية (المُقرِضة) استعمل الناسخون في الانكليزية (الوسيطة) الرمز (c) قبل (e) و (i) في الكلمات الفرنسية (المُقتَرَضَة) كما في : City [مدينة] ، و grace [نعمة] للتعبير عن القيمة الصوتية لـ : (ts) في الفرنسية المبكرة الذي آل بعد ذلك الى : (S) ، على أننا لم نر في الانكليزية (القديمة) أي موضع كان فيه (C) مشيراً الى صوت (S) ...)[١٣] . بل ان من مشكلات هذا الرسم (C) انه يُعبَّر به أيضاً عما يقابل صوت الكاف العربية ونجده في الف باء الانكليزية بالرمز : (K) وذلك نحو : Come / Kʌm / (جاء) و Kohl / Kəul / (كُحْل) ، بل نجد الرمزين يُجمعان في آخر الكلمة للتعبير عما عبّر عنه كل منهما منفرداً كما تقدم وذلك نحو : clock / Klak / (ساعة كبيرة) ، بل نجد في الف باء الانكليزية رمزاً آخر للتعبير عما يقابل صوت الكاف في العربية وهو (q) في نحو quick / Kwik (بسرعة) ، ولا نجد في الف باء العربية ما يمكن أن يدخل في مثل هذا الذي في الانكليزية ، اللّهم إلا ما ذكر من تسمية الهمزة في أول الحروف بالألف وهي مسألة اصطلاحية مرجعها الى رسم الهمزة على صورة الألف في أول الكلام وذلك قبل أن يضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) رأس العين (ء) رمزاً لها[١٤] . وفي الانكليزية ما يُرسم ولا يلفظ ، وهو كثير بالقياس الى ما نراه في العربية في اللفظ المفرد ، فمثلًا كل (W) مهملة إذا تلتها (R) ، وكل (K) مهملة اذا تلتها (N) ، وقد نظرت في (Longman Dictionary) المطبوع سنة ١٩٨١ م على سبيل المثال ، فوجدته يذكر أكثر من أربعين لفظة[١٥] تبدأ بالرمز (W) ، الذي يفترض انه يقابل صوت الواو العربية ، وقد تبعه الرمز (r) فجاءت الألفاظ كلها بإهمال صوت (W) ، ومنها : wreath / ri: / (ضفيرة) ، و wretch / rets / (بائس) ،

---

١٣ ـ The origins ... P. 40

١٤ ـ انظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ١٨ .

١٥ ـ Longman Dictionary , P.P. 1272-1275

و r ep / wrap / (دِثار) ، وذكر أكثر من ثمانين لفظة[١٦] تبدأ بالرمز (K) الذي يقابل صوت الكاف العربية ، يتبعه الرمز (n) الذي يقابل صوته النون العربية ، وكلها تنطق بالنون غير مسبوقة بالكاف ، منها : Knee / ni : / (رُكبة) و Kneel / ni : l / (ركع) ، و Knife / n if / (سكّين) .

ومما يُرسم ولا يلفظ ما يقابل الجيم والهاء في العربية في نحو : night / n it / (ليل) و right / r it / (يمين) ، وقولهم : sign / s in / (وقّع) وقولهم : why / wai / (لماذا) .

وليس في العربية ما يُكتب ولا يلفظ في الكلمة المفردة إلا الألف والواو في مواضع محصاة[١٧] ، وهي : الألف في مائة ، وبعد واو الضمير في نحو : علموا ولم يعلموا واعلموا ، والواو في عمرو في الرفع والجر ، وفي أولات وأُولي واولئك نحو ﴿ وَأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ و ﴿ وأُولُو الأرْحامِ بَعْضُهم أوْلَى بِبَعْض ﴾ و ﴿ أُولئك على هُدًى مِن رَبِّهِمْ ﴾ .

وفي الانكليزية قد تأتي اللفظة بصوت واحد ويختلف الرسم ، فمن ذلك : right (يمين) ، و write (كتب) ، و wright (صانع) ، وكلها تلفظ / r it / .

ومن اتفاق الصوت واختلاف الرمز وجود ما يقابل الياء المدّية في العربية في آخر كل لفظة مما يأتي : be / bi : / (كان) ، و see / si : / (رأى) و sea / si : / (بحر) ، و key / ki : / (مفتاح) ، فأنت تجد ما يقابل الياء في كلمة : كتابي ، قد رُمز اليه مرة بـ (e) ومرة بـ (ee) ومرة بـ (ea) ومرة بـ (ey) ، والصوت في ذلك كله صوت كسرة طويلة / i : / .

ونجد فيها أيضاً نقيض ما تقدم أعني أن يكون الرمز واحداً والصوت مختلفاً ، وقد قدّمنا شيئاً من أمثلة ذلك في الصوامت ، ومن أمثلته فيما ينبغي أن يكون رمزاً لمصوّت أو نصف مصوّت (u) في قولهم : ugly / gli / (دميم) ، و unite / ju : nait / (رَبَط) ، و urge / d3 : / (حَثّ) ، ففي اللفظة الأولى جاء (u) معبراً عن صوت همزة تتبعها فتحة مفخّمة (ء + وَ) ، وفي الثانية عُبّر به عن

---

١٦ - Ibid , P.P. 609-612

١٧ - انظر : أدب الكتّاب ص ٢٤٦ و ٢٥١ ، وجامع الدروس العربية ٢ : ١٤٣ - ١٤٤ .

صوت الياء الاحتكاكية (غير المدية) متبوعاً بواو مدّية (مصوت طويل) (يـ + ـُـُ) ، وفي الثالثة عُبّر به عن صوت الهمزة متبوعاً بصوت الإمالة (ء + يـ) .

ومثل (u) في هذا (W) حيث يعبّر به عن الواو الاحتكاكية (غير المدّية) في نحو : was / w z / (كان) ، ويعبّر به أيضاً عن الواو المصوتة (المدّية) في نحو few / fju : / (قليل) ، وكذلك الرمز (o) إذ يعبّر به عن الواو الاحتكاكية في نحو one / w n / (واحد) وعن المصوّت الطويل في نحو : do / du : / (عَمِل) ، وهذا عين ما نجده في العربية حيث يعبّر برمز (و) عن الاحتكاكية في نحو : وجد / و ـَـ ج ـَـ د ـَـ / وفي نحو : أو / ء ـَـ و / ، وعن المصوّتة ، وهي مصوّت طويل في نحو : نقول / ن ـَـ ق ـُـُ ل ـُـ / .

بل ان في الانكليزية من اختلاف الرموز في هذا الباب ما لا نجده في العربية ، فالرمز (W) يعبَّر به عن الواو الاحتكاكية ، والواو المصوّتة ، وكذلك الرمز (o) ، كما ذكرنا آنفاً ، ولكنهما ليسا الرمزين الوحيدين للواوين إذ نجد الرمز (oo) معبراً عن المصوّت الطويل في نحو : too / tu : / (أيضاً) ، و food / fu : d / (طعام) ، والرمز (wo) معبراً عن المصوّت الطويل أيضاً في نحو : two / tu : / (اثنين) .

ومع ذلك فالذي يكتب الانكليزية يرسم هذه الكلمات وغيرها بعد أن يكون قد حفظها من غير أن يعاني من مشكلة التمييز بين المصوّت الطويل والاحتكاكي ، وكذلك كاتب العربية لا يكاد يتنبه للفرق بين واو : وجد ، وواو : نقول ، وهو يكتب الكلمتين اذا أمليتا عليه ، أو وهو ينشىء كلاماً ترد فيه الواوان .

المشكلة اذن دراسية علمية وليست في الكتابة التقليدية ، وقد تقدم كلام دي سوسير بشأن الدقة العلمية في الدرس الصوتي وانها غير مطلوبة خارج العلم .

والكتابة التقليدية معذورة في الخلط بين المصوّت والاحتكاكي في الواو والياء . ولكن الدرس العلمي غير معذور في هذا الخلط ، فضلًا عن ان الدراسة الصرفية لتفسير التحولات الصوتية في الفاظ العربية ينبغي أن تقوم على أسس علمية صحيحة ، فالمتكلم أو الكاتب اذا كان لا يعنيه الأصل المفترض للفعل (يغزو) مثلًا ولا كيف صارت الكلمة (يغزون) لأن اللغة تؤخذ بالتلقي ، فإن ذلك ونحوه يعني دارس الأصوات العربية وعلم الصرف العربي ، وقد وجدنا في هذا الباب دراسات رائدة عند

جان كانتينو ، وهنري فليش ، والطيب البكوش ، وعبدالصبور شاهين[18] ، مما يمكن أن ينتفع به الدارس في تقديم التفسير البديل من تفسير القدماء الذين أوهمهم توحيد الرمز للاحتكاكي والمصوّت ، وما دام الأمر لا يعدو تقديم التفسير لما عليه اللغة من غير محاولة لتطويع الالفاظ اللغوية لهذه التفسيرات فإنه أمر نملك أن نقول فيه كما قال فيه أسلافنا ، بل نملك أن نعيد النظر فيما قرروه ، وقدموه على انه تصورهم الأمثل في ذلك الشأن . ومن ذلك مثلًا قولهم في غزا يغزو يغزوان يغزون (للذكور والاناث) .

أما غزا : فقد قرروا ان الألف لا تكون أصلًا في اسم متمكن ولا في فعل بل تكون منقلبة عن واو أو ياء[19] ، والالف هنا عن واو لقولهم ، يغزو ، غَزْواً ، والفعل من الباب الأول ، أي ان الأصل : غَزَوَ ، قالوا : تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً[20] ، أي : غَزَوَ ← غَزَا ، وقد ملنا في دراسة سابقة[21] الى احتمال أن تكون الألف في لام الفعل مفخمة أو ممالة ، ثم آلت المفخمة الى واو في المضارع وبقية التصريفات ، وآلت الممالة الى ياء ، ثم تخلّى المتكلم عن التفخيم والامالة في الألف فصارت اللام في نحو غزا ونحو رمى بصوت واحد هو صوت الفتح الخالي من التفخيم والامالة ، فهذا تفسير ، ويمكن أن يقال كما قال علماؤنا إن الأصل غَزَوَ بزنة نَصَرَ ، ولكن لا نقول : تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً كما قالوا ، بل نقول : حذف المزدوج الصاعد الذي يمثل مقطعاً قصيراً ومُدّ الصوت بمصوّت المقطع القصير السابق فصار مقطعاً طويلًا مفتوحاً ، أي :

غ ـَـ / ز ـَـ / و ـَـ ← غ ـَـ / ز ـًـ / ، / و / × / ـَـ / ← / ـًـ /

أما مضارع غزا فالأصل فيه انه : يَغْزُوُ بزنة يَنْصُرُ ، ويفسر القدماء تحوله الى : يَغْزُو بذهاب الحركة من الواو للثقل[22] ، فتسكن ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها

---

١٨ - في : دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ، والعربية الفصحى لهنري فليش ، والتصريف العربي للبكوش ، والمنهج الصوتي لشاهين .

١٩ - شرح الشافية ٣ : ٦٦ .

٢٠ - المنصف ١ : ١٩٠ ، شرح الشافية ٣ : ٩٥ .

٢١ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٢٠٤ .

٢٢ - حاشية الصبان ١ : ١٠٢ .

واو مدّ[٢٣] . والحق أن هذا التفسير قاصر ، لأن الواو في الأصل المفترض تقابل الراء من ينصرُ ، وتشكل قاعدة مقطع قصير فهي احتكاكية ، وذهاب الحركة منها لا يحولها الى مصوّت بل يُحدث تغييراً في البنية المقطعية للكلمة كالتغيير الذي يحدث في ينصرُ اذا سكنت الراء حيث تتحول قاعدة المقطع الأخير فيها الى المقطع السابق بعد ذهاب قمتها لتكون قاعدة النهاية له ، وتحوّله بذلك من مقطع قصير الى مقطع طويل مغلق ، أي :

ي ـَـ ن / ص ـُـ / ر ـُـ /

/ ـُـ / × ← ي ـَـ ن / ص ـُـ ر /

ومثل هذا يقال في الأصل المفترض ليغزو :

ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـُـ /

/ ـُـ / × ← ي ـَـ غ / ز ـُـ و

وهذا معناه أن الواو وهي لام الكلمة تبقى احتكاكية وتكون قاعدة النهاية للمقطع الثاني الذي تحوّل بسبب انتقالها اليه من قصير الى طويل مغلق ، ولكن واقع لفظ المضارع من غزا انه مكون من مقطعين : الأول طويل مغلق ، والثاني طويل مفتوح مكون من قاعدة هي الزاي ، وقمة هي مصوت طويل (الواو المدّية) ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـُـ /

ولا شك في أن هذا الصوت غير صوت / ي ـَـ غ / ز ـُـ و / ، لذا كان لا بد من تقديم تفسير غير الذي أورده القدماء ، فيقال ان الأصل المفترض كان يَغْزُوُ بزنة يَنْصُرُ ، والفعلان من الباب الأول ، حُذف المزدوج الصاعد ، وهو مقطع قصير ، للتخفيف ، فبقي مقطعان : طويل مغلق ، يليه قصير ، مُدّ الصوت بقمة المقطع القصير فصارت مصوّتاً طويلًا ، وصار المقطع طويلًا مفتوحاً ، وكأن ذلك كان تعويضاً من الحذف ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـُـ / ، / و ـُـ / × / ـُـ / ← / ـُـُـ /

← ي ـَـ غ / ز ـُـُـ

وبهذه السمة ، أعني حذف المزدوج ، واطالة الصوت بالمصوّت القصير الذي

---

٢٣ ـ شرح الشافية ٣ : ٣٣ .

قبله[٢٤] نفسر نحو : قال وباع وخاف ، ونحو سما ورمى ، فنقول : إن أصل قال قَوَلَ ، وباع بَيَعَ ، وخاف خَوِف وسما سَمَوَ ، ورمى رَمَيَ على ما قرره علماء العربية من الأصل المفترض لمثل هذه الألفاظ ، متذكرين ما يعنونه بقولهم ان أصل قال قَوَل مثلًا (وينبغي أن يُعلم أنه ليس معنى قولنا : إنه كان الأصل في قام وباع : قَوَمَ وبَيَعَ ، وفي أخافَ وأقام : أخْوَفَ وأقْوَم وفي استعان واستقام : استعْوَن واستقْوَم ، أننا نريدُ به أنهم قد كانوا نطقوا مدّة من الزمان بِقَوَمَ وبَيَعَ ونحوهما مما هو مغيَّر ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد . وانما نريد بذلك أن هذا لو نُطق به على ما يوجبه القياس بالحَمْل على أمثاله لقيل : قَوَم وبَيَع واستقْوَم واستعْوَن .. وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء على غير هذه الهيئة المستعملة)[٢٥] ، على ان الدكتور رمضان عبدالتواب قد رجّح أن تكون العربية القديمة قد نطقت بعين الأجوف محركة ، معتمداً في ذلك ما يسمع اليوم من لغة الحبشة ، وهي لغة جزرية ، من نحو : دَيَن في دان[٢٦] .

فالذي يقابل العين في الأجوف في الأصل المفترض قاعدة مزدوج هي نصف مصوّت احتكاكية ، قيمتها قيمة صامت ، والذي يقابل العين في واقع الحال مصوّت طويل ، وهذا لا ينسجم مع طبيعة الصوت المقدّر ، لذلك نقول : ان الأصل في قال قَوَل ، حُذف المقطع الثاني وهو المزدوج ، ومُدّ الصوت بمصوّت المقطع الأول ، فوزن قال : فال ، وكذلك الشأن في باع وخاف ، أي :

/ ق ـَـ / و ـَـ / ل ـَـ / ، / و ـَـ / × ، / ـَـ / ← / ـًـ / ←
/ ق ـًـ / ل ـَـ /
/ ب ـَـ / ي ـَـ / ع ـَـ / ، / ي ـَـ / × ، / ـَـ / ← / ـًـ / ←
/ ب ـًـ / ع ـَـ /
/ خ ـَـ / و ـِـ / ف ـَـ / ، / و ـِـ / × ، / ـَـ / ← / ـًـ / ←
/ خ ـًـ / ف ـَـ /

---

٢٤ ـ انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٨٤ .
٢٥ ـ المنصف ١ : ١٩٠ ـ ١٩١ .
٢٦ ـ انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ص ٣٧٤ ، وانظر مناقشة الرأي في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٦٦ .

ومثل ذلك يقال في نحو سما ورمى فالأصل سَمَوَ ورَمَيَ ، حُذف المزدوج ومُدّ الصوت بالمصوت القصير قبله فوزن الكلمة : فَعا ، لا فَعَل ، أي :

/ س ـَـ / م ـَـ / و ـَـ / ، / و ـَـ / × ، / ـَـ / ← / ـَـ / ـًـ / ←
/ س ـَـ / م ـًـ /

/ ر ـَـ / م ـَـ / ي ـَـ / ، / ي ـَـ / × ، / ـَـ / ← / ـَـ / ـًـ / ←
/ ر ـَـ / م ـًـ /

ويمكن أن يقال في توجيه ثان لنحو : يغزو : وهو قول يقوم على تصوّر تشكيلي ، إنّ الواو في يغزُوُ احتكاكية وهي نصف مصوّت ، فلما وقعت بين مصوّتين قصيرين سقطت ، فالتقى المصوتان القصيران مشكّلين مصوّتاً طويلًا ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـُـ / و / ×
← / ي ـَـ غ / ز ـُـُـ /

ومثل هذا يقال في نحو : غَزَوَ وتحولها الى غزا ، يقول برجستراسر : (... اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء بالحركة التالية لها ، مع حذف الواو أو الياء نفسها ، مثال ذلك : غزا ، أصلها : غزَوَ ، ورمى أصلها رمَيَ)[٢٧] .

ويمكن أن يقال في توجيه ثالث : سقطت الضمة بعد الواو للتخفيف فانكسرت البنية المقطعية للمقطع الثالث حيث بقيت القاعدة وحدها بعد أن ذهبت القمة ، فجعلت الواو قاعدة نهاية للمقطع السابق الذي نحول بذلك من قصير الى طويل مغلق ، ثم حصل اتحاد في المزدوج الهابط بين المصوّت القصير (الضمة) ونصف المصوّت (الواو غير المدّية) فآل الصوت الى مصوّت طويل ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـُـ / ، / ـُـ / ×
← / ي ـَـ غ / ز ـُـ و / ، / ـُـ و / بالاتحاد ← / ـُـُـ /
← / ي ـَـ غ / ز ـُـُـ /

وفي مثل هذا الاتحاد يقول برجستراسر : (... اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها ، فمثال الواو مع الضمة : يُوْجد ، ومثال الياء مع الكسرة : سِيْرة ..)[٢٨] ذلك أن الواو في يوجد على الأصل تقابل الفاء من يُفْعل فهي احتكاكية تشكل قاعدة النهاية للمقطع الأول وهو طويل مغلق وبعد اتحاد المصوّت القصير بنصف المصوّت (الاحتكاكية) صار الصوت مصوتاً طويلًا وتحول المقطع الى طويل

---

٢٧ ـ التطور النحوي للغة العربية ص ٤٨ ، وانظر : دروس في علم اصوات العربية ص ١٣٧ .

٢٨ ـ المصدر نفسه ص ٤٧ ، وانظر : دروس في علم اصوات العربية ص ١٣٨ .

مفتوح ، أما سيرة فوزنها على الأصل : فِعْلة ، فالياء تقابل العين ، وهي احتكاكية نصف مصوت اتحدت مع (الكسرة) المصوت القصير مكونة مصوتاً طويلًا ، أي :

/ ي ـُـ و / ج ـَـ / د ـُـ / ، / ـُـ و / بالاتحاد ← / ـُـُـ / ←
/ ي ـُـُـ / ج ـَـ / د ـُـ /
/ س ـِـ ي / ر ـَـ / ت ـُـ ن / ، / ـِـ ى / بالاتحاد ← / ـِـِـ /
← / س ـِـِـ / ر ـَـ / ت ـُـ ن /

والاتحاد في المزدوج المؤدي الى مصوّت طويل ، هو عكس الانشطار في المصوت الطويل الذي يؤدي الى مصوّت قصير (ضمة أو كسرة) ونصف مصوّت (واو غير مدّية أو ياء مدّية) في نحو : مكرمو أبيك ، ومكرمي أبيك عند تحولها في بعض اللهجات الى : مكرمُ وَبيك ، ومكرمِ يَبيك[٢٩] . أي :

/ م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـُـُـ / ء ـَـ / ب ـِـِـ / ك ـَـ / ، / ء / × / ـُـُـ / ←
/ ـُـ و /
← م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـُـ / و ـَـ / ب ـِـِـ / ك ـَـ
م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـِـِـ / ء ـَـ / ب ـِـِـ / ك ـَـ / ، / ء / × / ـِـِـ / ← / ـِـ ي /
← م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـِـ / ي ـَـ / ب ـِـِـ / ك ـَـ

حيث تحذف الهمزة التي هي قاعدة المقطع الرابع للتخفيف ، فتنكسر البنية المقطعية إذ يبقى المصوت القصير وحده وهو لا يشكل مقطعاً ، ولا يمكن الحاقه بالمقطع السابق إذ لا يكون مصوتان في مقطع واحد[٣٠] ، لذا ينشطر المصوت الطويل الذي كان قمة المقطع السابق مكوناً مصوتاً قصيراً هو قمة المقطع الجديدة ، ونصف مصوّت يُجعل قاعدة للمقطع الذي فقد قاعدته بذهاب الهمزة للتخفيف . على ان بعض العرب أفاد من هذا الانشطار في تكرير نصف المصوّت ليكون قاعدة للمقطع الذي فقد قاعدته بالتخفيف وليترك المزدوج الهابط في المقطع السابق مشكلًا مع الصامت الأول مقطعاً طويلًا مغلقاً في مقابل الطويل المفتوح الذي كان أصلًا قبل الانشطار ، وبذلك يحافظ على القيمة المقطعية ، ويحافظ على النبر بتحويله من نبر الهمزة الى نبر التشديد ، فيقول في نحو : مكرمو أبيك مثلًا : مكرمُوّ بيك[٣١] أي :

---

٢٩ ـ شرح الشافية ٣ : ٣٤ .

٣٠ ـ انظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٤٣ .

٣١ ـ انظر : شرح الشافية ٣ : ٣٦ .

/ م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـُـُ / ء ـَـ / ب ـٍـ / ك ـَـ /

← / م ـُـ ك / ر ـِـ / م ـُـ و / و ـَـ / ب ـٍـ / ك ـَـ /

ومن حديث الانشطار ما يجري على المصوّت الطويل في آخر الفعل المعتل عند نصبه في نحو : يدعو ولن يدعُوَ ، ويرمي لن يرمِيَ ، ففي يدعو على واقع الحال مصوّت طويل لا يجوز أن يأتي بعده مصوّت ، فإذا اضطررنا لاظهار الفتحة ، وهي مصوّت قصير ، كان لا بدّ من احداث تغيير في المصوّت الطويل حتى يسوغ مجيء الفتحة بعده ، لذا ينشطر المصوّت الطويل الى مصوّت قصير يحل محل المصوت الطويل في قمة المقطع ، ونصف مصوّت (قيمته قيمة صامت) يكون قاعدة للمقطع الذي قمته الفتحة المجتلبة علامة على نصب الفعل ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـُ / + ـَـ / ، / ـُـُ / ← / ـُـ و / ←

/ ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـَـ /

هذا بالنظر الى الحال ، وأما بالنظر الى الأصل فيقال : الفعل يدعُوُ بزنة ينصُرُ ، دخل عليه الناصب فحذفت الضمة وحلت محلها الفتحة علامة على النصب كما يقع لينصرُ ولن ينصُرَ ، أي :

/ ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـُـ / + ـَـ / ، / ـُـ / ×

← / ي ـَـ د / ع ـُـ / و ـَـ /

ومثل ذلك يقال عن يرمي ولن يرمِيَ على الحال وعلى الأصل ، فيقال على الحال انشطر المصوت الطويل الى مصوت قصير يكون قمة المقطع الذي كان المقطع الطويل قمته ، ونصف مصوّت يكون قاعدة للمقطع الذي قمته المصوت القصير المجتلب علامة على النصب (الفتحة) ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـٍـ / + ـَـ / ، / ـٍـ / ← / ـِـ ي / ←

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـَـ /

وعلى الأصل يقال : دخل الناصب على الفعل فحذفت الضمة واجتلبت الفتحة علامة نصب ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـُـ / + ـَـ / ، / ـُـ / ×

← / ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـَـ /

أما يغزون (للذكور) في نحو قولهم : الرجال يغزون ، فالأصل عند علماء العربية : يغزُوُ بزنة يكتُبُ ، سكنت الواو للثقل فصار : يَغْزُوْ ، زيدت عليه الواو والنون فصار : يغْزُوْوْن ، التقى ساكنان معتلان فحذف لام الكلمة الساكن ، فصار يَغْزُوْن .

ويلاحظ أن الواو المقابلة لباء يكتب ، وهي لام الكلمة ، احتكاكية ، أي ليست

مصوتاً ، (بل هي كما تقدم : نصف مصوّت) أما الواو التي في يغزو فهي مصوت طويل ، لذا ينبغي أن يشار في التفسير الى ما تقدم من أن الصورة وإن كانت واحدة في الرسم إلا ان الصوت مختلف ، ويُورَد أحد التوجيهات الثلاثة المذكورة آنفاً في بيان ذهاب لام الكلمة الاحتكاكي وحلول مصوت طويل محله ، ثم يقال : زيدت واو الجمع وهي مصوت طويل ، ولا يلتقي مصوتان لأن المقطع له قمة واحدة كما تقدم ، فحذف أحدهما ، ووزن الكلمة في كل الأحوال : يفعون ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـُـ / ، / ـُـ / ×

← / ي ـَـ غ / ز ـُـ و / ، اتحاد / ـُـ و / ← / ـُـُـ /

/ ي ـَـ غ / ز ـُـُـ / + ـُـُـ / ن ـَـ / ، / ـُـُـ / ×

← / ي ـَـ غ / ز ـُـُـ / ن ـَـ /

وكذلك عند اسناد الفعل الى جمع الاناث في نحو : النساء يغزون ، فالقدماء يرون ان المضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وان الواو هي لام الكلمة فهو مثل يكتبْن ، والحق كما تقدم ان هذه الواو مصوت طويل ، ولام الكلمة المقابلة لباء يكتب نصف مصوت (احتكاكية) لها قيمة صامت ، وقد أوهمهم ههنا أيضاً وحدة الرسم للاحتكاكية والمصوت الطويل ، والتفسير الصحيح أن يقال : الأصل يغزُوُ بزنة يكتبُ دخلت النون فسكنت الواو فصار : يغزُوْن بزنة يكتبن بواو احتكاكية نصف مصوت ، ثم وقع لهذه الواو ما وقع لواو يغزو في الإفراد ، أي : اتحد المزدوج الهابط مشكلاً مصوّتاً طويلًا ، أو سقطت قاعدة المزدوج ومُدّ الصوت بالمصوت القصير تعويضاً فصار مصوتاً طويلًا ، ويكون الوزن أيضاً : يفعون ، والبناء مقدر على الواو المحذوفة التي هي لام الكلمة ، كما قدر الاعراب على الياء المحذوفة في نحو : محامٍ في الرفع والجر .

أما يغزوان ونحوها فهي عند القدماء : يغزو ، زيدت عليها الألف والنون ، فتحركت الواو بالفتح رعاية للألف ، ويشكل على هذا أن أصوات المدّ مصوّتات طويلة ، ولا يمكن أن يُسبق المصوّت بمصوّت . ويمكن أن يفسر اللفظ بأن الألف زيدت على أصل يغزو التي هي بزنة يكتب ، ولام الكلمة واو احتكاكية غير متبوعة بمصوّت ثم زيد عليها المصوّت الطويل (الألف) فصار يغزوان بعد أن حدث تغير في البنية المقطعية للكلمة ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـ و / + ـَـَـ ن ـِـ /

← / ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـَـَـ / ن ـِـ /

أي ان الواو الاحتكاكية التي كانت القاعدة الثانية للمقطع الثاني ...

تحولت لتكون قاعدة أولى للمقطع الثالث بعد اضافة المصوّت الطويل .

ويمكن أن يقال على واقع الحال إن زيادة الألف أدى الى توالي مصوتين طويلين وهذا لا يكون فانشطر المصوّت الأول الى مصوت قصير هو قمة المقطع الثاني ونصف مصوت احتكاكي له قيمة صامت هو قاعدة المقطع الثالث ، أي :

/ ي ـَـ غ / ز ـُـُـ / + ـًـ ن ـِـ / ، / ـُـُـ / ← / ـُـ و /

← / ي ـَـ غ / ز ـُـ / و ـًـ / ن ـِـ /

ومن أمثلة التباس المصوّت بالاحتكاكي قولهم في نحو : يخشون ، إن ألف يخشى حذفت بعد مجيء واو الجمع الساكنة وبقيت الفتحة دليلًا عليها ، أي :

يَخْشَىٰ + وْن حذفت الالف لالتقاء الساكنين

← يَخْشَوْنَ

ومعلوم ان واو الجمع مصوّت طويل ، وواو يخشَوْن جزء من مزدوج وهي احتكاكية ليست مصوّتة ، فهذه غير تلك ، لذا كان لا بد من تقديم تفسير آخر غير الذي قاله علماؤنا متأثرين بوحدة الرسم ، فيقال : الأصل : خَشِيَ يَخْشَيُ ، بزنة عَلِمَ يَعْلَمُ ، حذف المزدوج الصاعد من آخر المضارع ومُدّ الصوت بالمصوّت القصير الذي قبله فصار مصوتاً طويلًا ، أي :

/ ي ـَـ خ / ش ـَـ / ي ـُـ / ، / ي ـُـ / × ، / ـَـ / ← / ـًـ /

← / ي ـَـ خ / ش ـًـ /

ويلاحظ أن العربية أقرت المزدوج الصاعد في آخر اللفظ اذا كان قبله كسرة أو ضمة وقمته فتحة ، نحو : لن يرمِيَ ، ولن يدعُوَ ، فإن كان فتحة حُذف المزدوج وجعل المصوّت القصير طويلًا بمدّ الصوت به ، نحو : لن يرضَيَ (وَ) ← لن يرضى . ويمكن أن يقال : إن مقطع المزدوج الصاعد إذا كان مسبوقاً بفتحة حُذف ومُدّ الصوت بالفتحة ، واذا سُبق بضمة أو كسرة بقي ، سواء كان متطرفاً كما في هذا المثال ، أم في الحشو كما تقدم من كلامنا على قال وباع وخاف . على أن من الدارسين من يرى سقوط قاعدة المزدوج وحدها واتصال المصوّتين القصيرين اللذين يكتنفانها مشكلين مصوّتاً طويلًا[٣٢] .

---

٣٢ ـ انظر : التطور النحوي للغة العربية ص ٤٨ ، ودروس في علم أصوات العربية ص ١٣٧ .

هذا في تحوّل يخشَيُ الى يخشىٰ فإذا لحقته واو الجمع عدنا به الى الأصل ، أي :

يخشَيُ + ـــُـُ ن ، يُحذف مقطع المزدوج ، وتحول الواو المدّية (المصوّت الطويل) الى احتكاكية لتكون قاعدة ثانية للمقطع الثاني إذ لا يتوالى مصوّتان ، أو يقال لحفظ المراتب : آنشطر المصوت الطويل أولًا ثم حذف المصوت القصير لئلا يتوالى مصوتان ، أي :

/ ي ـــَ خ / ش ـــَ / ي ـــُ / + ـــُـُ ن ـــَ /

/ ي ـــُ / × ، / ـــُـُ / ← / ـــُ و / ←

/ ي ـــَ خ / ش ـــَ / ـــُ و / ن ـــَ / ، / ـــُ / × ←

/ ي ـــَ خ / ش ـــَ و / ن ـــَ /

ويمكن أن يقال إن الواو المدّية (المصوّت الطويل) زيدت على الفعل على واقع الحال وليس على الأصل ، أي بعد تحوله من يخشَيُ الى يخشىٰ ، ودفعاً لتوالي مصوتين حُوّلت الواو المصوّتة الى احتكاكية وجعلت قاعدة للمقطع المديد ، وهو مقطع تتحاماه العربية في غير الوقف وفي غير ادغام قاعدته الثانية بمثلها في أول المقطع التالي في نحو : ﴿ ضالًا ﴾ و ﴿ آمّين ﴾ فتحوله الى مقطع طويل مغلق ، أي :

/ ي ـــَ خ / ش ـــً / + ـــُـُ ن ـــَ / ، / ـــُـُ / ← / و /

/ ي ـــَ خ / ش ـــً و / ن ـــَ / ، / ش ـــً و / ← / ش ـــَ و / ←

/ ي ـــَ خ / ش ـــَ و / ن ـــَ /

أما مع ألف الاثنين فالتوجيه بالنظر الى الأصل أن يقال : إن العربية اكتفت بحذف المصوت القصير من المقطع الثالث بعد مجيء المصوت الطويل (الف الاثنين) إذ لا يتوالى مصوّتان ، أي :

/ ي ـــَ خ / ش ـــَ / ي ـــُ / + ـــً نِ / ، / ـــُ / ×

← / ي ـــَ خ / ش ـــَ / ي ـــً / ن ـــِ /

والتوجيه بالنظر الى واقع الحال أن يقال : ان العربية تحامت كثرة ... امكان العودة الى الأصل فأعادت الياء مع الألف تجنباً لكثرة الحذف ، أ... المصوّت الطويل (الف الاثنين) بعد مصوّت طويل (ألف يخشىٰ

تسقط أحداهما ، إذ لا يتوالى مصوّتان ، فنكون قد حذفنا الياء من أصل الفعل (يخشَيُ) ثم حذفنا ما جئنا به تعويضاً عن المحذوف ، فآثرت العربية لاضطرارها الى حذف العوض أن تعود الى المعوَّض منه وهو الياء ، عن طريق شطر المصوت الطويل الى مصوت قصير ونصف مصوّت هو الذي كان لام الكلمة قبل التحوّل وهو الياء ، ويكون المصوّت القصير قمة المقطع الثاني ، ونصف المصوّت ـ قاعدة المقطع الثالث ، أي :

/ ي ـَـ خ / ش ـَـ / + ـَـ نِ / ، / ـَـ / ← / ـَـ / ـَـ ي / ←

/ ي ـَـ خ / ش ـَـ / يـ ـَـ / ن ـِـ /

وانما صار الانشطار الى مصوّت قصير (فتحة) ، ونصف مصوّت من أصل ما في الفعل وهو الياء لأن الألف لا يكون منه نصف مصوّت .

وما قيل عن الواو المصوّتة والواو الاحتكاكية يقال عن الياء المصوّتة والياء الاحتكاكية ، فقد أوهم الرسم علماء العربية فلم يقدموا التفسير الصوتي الذي كنا نرجو أن نجده عندهم ، فمن ذلك كلامهم على حذف الحركة للثقل من نحو : يرمي وأصلها : يرمِيُ ، وواضح ان الفعل لم يُكتف فيه بحذف الحركة بل حوّلت الياء الاحتكاكية (غير المدّية) فيه الى مصوّت طويل (ياء مدّية) وهذه غير هذه ، لأن الأولى الاحتكاكية قاعدة المقطع القصير المكوّن من مزدوج صاعد في آخر الكلمة ، أما الثانية فمصوّت طويل هو قمة المقطع الطويل المفتوح في آخر الكلمة الجديدة بعد التحوّل ، فالأصل : / ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـُـ / بزنة : / ي ـَـ ض / ر ـِـ / ب ـُـ / ، وهي في الحال : / ي ـَـ ر / م ـِـ / ، والتفسير الذي نختاره أن مقطع المزدوج الصاعد قد حذف للتخفيف ، وعوّض عنه باطالة الصوت بمصوت المقطع السابق له ، فصار المقطع الثاني طويلًا مفتوحاً بعد أن كان قصيراً[٣٣] ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـُـ / ، / ي ـُـ / × ، / ـِـ / ← / ـِـ / ـِـ / ←

/ ي ـَـ ر / م ـِـ /

فإذا اتصل واو الجماعة بالفعل وهو مصوّت طويل ، قلنا : حُذف المصوّت الطويل من آخر الكلمة إذ لا يتوالى مصوّتان ، وجُعل المصوّت الطويل الجديد (واو

---

٣٣ ـ انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٨٤ .

الجماعة) قمة لمقطع قاعدته قاعدة المصوّت الطويل المحذوف ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / + ـُـُ نَ / ، / ـِـ / × ←

← / ي ـَـ ر / م ـُـُ / ن ـَـ /

هذا عند النظر الى ما عليه لفظ يرمي وان الزيادة وقعت على اللفظ في واقع الحال ، أما إذا جعلنا الزيادة بالنظر الى أصل اللفظ قبل التحول ، فيقال : إن المقطع الثالث الذي هو مزدوج صاعد قد حذف بعد مجيء المصوت الطويل ، وحذف المصوّت القصير الذي هو قمة المقطع الثاني لدخول المصوّت الطويل على المقطع إذ لا يتوالى مصوّتان ، فصار : يرمون ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـُـ / + ـُـُ نَ / ، / ـِـ / × ، / ي ـُـ / × ←

/ ي ـَـ ر / م ـُـُ / ن ـَـ /

أما يرميان ، فالتوجيه ، على الحال ، أن يقال : ان الفعل يرمي ينتهي بمصوت طويل فزيادة الألف وهو مصوّت طويل يؤدي الى توالي مصوّتين وهذا لا يكون فانشطر المصوّت الطويل الذي في آخر الفعل وهو الياء الى مصوت قصير يحل محل المصوّت الطويل في قمة المقطع ، ونصف مصوّت يكون قاعدة للمقطع الجديد الذي قمته الف الاثنين وهو مصوّت طويل ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / + ـًـ نِ / ، / ـِـ / ← / ـِـ ي /

← / ي ـَـ ر / م ـِـ / يـ ـًـ / ن ـِـ /

والتوجيه ، على الأصل ، أن يقال : ان الفعل يرمِيُ بزنة يضرِبُ ينتهي بمزدوج صاعد مكوّن من نصف مصوّت احتكاكي قيمته قيمة صامت متبوع بمصوت قصير ، زيدت عليه ألف الاثنين وهي مصوّت طويل ، فحذف المصوت القصير من قمة المقطع الثالث وجعل المصوت الطويل مكانه إذ لا يتوالى مصوّتان ، أي :

/ ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـُـ / + ـًـ ن ـِـ / ، / ـُـ / ×

← / ي ـَـ ر / م ـِـ / ي ـًـ / ن ـِـ /

وهو في هذا مثل يكتبُ اذا زيدت عليه ألف الاثنين ، يُكتفى فيه بحذف المصوت القصير من آخره .

ومن حديث التوهم في التفسير بسبب وحدة الرسم للمصوت الطويل ونصف المصوّت (الاحتكاكي) كلامهم على الاعلال بالنقل (أو الاسكان) ، فالقاعدة

عندهم أن تنقل الحركة من المعتل الى الساكن الصحيح الذي قبله ، ويحول المعتل الى مجانس الحركة المنقولة.[٣٤] فإذا أخذنا أَفْعَلَ يُفْعِلُ من الخَوْف مثلًا ، قلنا : أخاف يُخيف ، والأصل : أَخْوَفَ يُخْوِف ، ففي أَخْوَف نقلت الفتحة من الواو الى الخاء الساكنة ، وقلبت الواو الى ما يجانس الحركة المنقولة وهو الألف ، وفي يُخْوِف ، نقلت الكسرة من الواو الى الخاء الساكنة ، وقلبت الواو الى مجانس الكسرة وهو الياء ، ومثل ذلك يقال في نحو : يقْوُلُ بزنة يَنْصُرُ حين تصبح : يقول ، ويَبْيِع بزنة يضْرِبُ ، حين تصبح يبيع ، ففي يقول : نقلت الضمة من الواو الى القاف الساكنة ، فإن شئت قلت : وبقيت الواو لمجانستها الحركة المنقولة ، وإن شئت قلت : هذه الواو غير تلك طرداً للباب ، ومثل ذلك يقال في نقل كسرة الياء من يبْيع حين صارت يبيع .

ويلاحظ ان الأصل في ذلك كله نصف مصوّت احتكاكي قيمته قيمة صامت يشكل جزءاً من مزدوج ، والحال وجود مصوّت طويل ، فالواو في أَخْوَف تشكل مع الفتحة مزدوجاً صاعداً هو مقطع قصير تمثل الواو قاعدته ، أما الألف في أخاف فمصوت طويل يشكل قمة المقطع الطويل المفتوح المكون من الخاء والألف ، وكذلك الواو في يُخْوِف احتكاكية نصف مصوت هي قاعدة المقطع القصير المشكل من مزدوج صاعد ، أما الياء في يُخيف فهي مصوت طويل تشكل قمة المقطع الطويل المفتوح المكون من الخاء والياء ، ومثله الواو في يقْوُل ، على الأصل ، بزنة ينْصُرُ إذ هي قاعدة المقطع القصير المشكل من مزدوج صاعد وهي احتكاكية نصف مصوّت أما الواو في يقول ، على الحال فهي مصوّت طويل تشكل قمة المقطع الطويل المفتوح المكون من القاف والواو ، ومثله الياء في يبْيع ، على الأصل ، بزنة يضْرِب إذ هي قاعدة مزدوج صاعد يشكل مقطعاً قصيراً وهي احتكاكية ، أما الياء في يبيع ، على الحال ، فهي مصوّت طويل تشكل قمة المقطع الطويل المفتوح المكون من الباء والياء .

والذي يمكن أن يقال من تفسير صوتي لمثل هذا النوع من الاعلال[٣٥] ان قاعدة المزدوج الصاعد قد حذفت تخفيفاً وعوّض عنها بإطالة الصوت بالمصوت القصير الذي كان يشكل قمة المقطع المزدوج واعيد تشكيل مقاطع الكلمة في ضوء ذلك حيث

---

٣٤ ـ انظر : همع الهوامع ٢ : ٢٢٤ .

٣٥ ـ انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٩٨ .

جُعلت القاعدة الثانية للمقطع الطويل المغلق السابق للمزدوج قاعدة للمقطع الطويل المفتوح الجديد ، أي :

/ ء ـَـ خ / و ـَـ / ف ـَـ / ، / و / × ، / ـَـ / ← / ـًـ /

← / ء ـَـ / خ ـًـ / ف ـَـ /

/ ي ـُـ خ / و ـِـ / ف ـُـ / ، / و / × ، / ـِـ / ← / ـٍـ /

← / ي ـُـ / خ ـٍـ / ف ـُـ /

/ ي ـَـ ق / و ـُـ / ل ـُـ / ، / و / × ، / ـُـ / ← / ـُـُ /

← / ي ـَـ / ق ـُـُ / ل ـُـ /

/ ي ـَـ ب / ي ـِـ / ع ـُـ / ، / ي / × ، / ـِـ / ← / ـٍـ /

← / ي ـَـ / ب ـٍـ / ع ـُـ /

فوزن أخافَ على هذا : أفالَ ووزن يُخيف : يُفيلُ ، ووزن يقول : يَفول ، ووزن يبيع : يَفيل .

وسمة حذف قاعدة المزدوج واطالة الصوت بقمته ليست خاصة بالمزدوج الصاعد ، بل نجدها فيه وفي المزدوج الهابط أيضاً وبذلك يُفسر وجود الياء المصوّتة في نحو : ميزان ، والأصل : مِوْزان ، بواو احتكاكية نصف مصوت ، ولو كان الأمر قاصراً على قلب هذه الواو ياء كما قال أهل التصريف لكان ينبغي أن تكون الياء المجتلبة من جنس الواو أي نصف مصوت (احتكاكي) وما كانت تأتي مصوتاً طويلًا لأنها على ما يرون في مقابل الفاء من : مِفْعَال ، لذلك نقول : إن قاعدة المزدوج قد حُذفت ومُدّ الصوت بالمصوّت القصير تعويضاً عن ذلك ، أي :

/ م ـِـ و / ز ـًـ / ن ـُـ ن / ، / و / × ، / ـِـ / ← / ـٍـ /

← / م ـٍـ / ز ـًـ / ن ـُـ ن /

ومثل ذلك يقال في مثل باب (مُفْعِل) من نحو : أقام وأسال ، سواء أكان واوياً أم يائياً ، فيقال : مُقيم ، ومُجيد ، ومُسيل ، ومُعيل ، والأصل : مُقْوِم ، ومُجْوِد ، ومُسْيِل ، ومُعْيِل ، حذفت قاعدة المزدوج الصاعد وهي قاعدة المقطع القصير ومُدّ الصوت بالمصوّت القصير ليكون مصوّتاً طويلًا ويكون قمة للقاعدة المجتلبة من المقطع السابق بعد تغيير البنية المقطعية للكلمة ، أي :

/ م ـُـ ق / و ـِـ / م ـُـ ن / ، / و / × ، / ـِـ / ← / ـٍـ /

← / م ـُـ / ق ـِـ / م ـُـ ن /

/ م ـُـ ج / و ـِـ / د ـُـ ن / ، / و / × ، / ـِـ / ← / ـِـ /

← / م ـُـ / ج ـِـ / د ـُـ ن /

/ م ـُـ س / ي ـِـ / ل ـُـ ن / ، / ي / × ، / ـِـ / ← / ـِـ /

← / م ـُـ / س ـِـ / ل ـُـ ن /

/ م ـُـ ع / ي ـِـ / ل ـُـ ن / ، / ي / × ، / ـِـ / ← / ـِـ /

← / م ـُـ / ع ـِـ / ل ـُـ ن /

وكلها وزنها في الأصل مُفْعِل وهي في الحال مُفيل .

ويقال في باب الإفعال من أوجد وأوصل وأينع وأيقن ، حذفت قاعدة المزدوج الهابط وهي القاعدة الثانية لمقطع طويل مغلق ، ومُدّ الصوت بالمصوّت القصير الذي هو قمة المقطع وكان يشكل مع نصف المصوّت مزدوجاً هابطاً فصار المقطع طويلًا مفتوحاً ، أي :

/ ء ـِـ و / ج ـَـ / د ـُـ ن / ، / و / × / ـِـ / ← / ـِـ /

← / ء ـِـ / ج ـَـ / د ـُـ ن /

/ ء ـِـ و / ص ـَـ / ل ـُـ ن / ، / و / × / ـِـ / ← / ـِـ /

← / ء ـِـ / ص ـَـ / ل ـُـ ن /

/ ء ـِـ ي / ن ـَـ / ع ـُـ ن / ، / ي / × / ـِـ / ← / ـِـ /

← / ء ـِـ / ن ـَـ / ع ـُـ ن /

/ ء ـِـ ي / ق ـَـ / ن ـُـ ن / ، / ي / × / ـِـ / ← / ـِـ /

← / ء ـِـ / ق ـَـ / ن ـُـ ن /

فحذف قاعدة المزدوج واطالة الصوت بالمصوّت القصير يكون في المزدوج بنوعيه ، على ما ذكرنا .

من كل ما مرّ يتبين أن وحدة الرسم أدّت الى تفسيرات غير دقيقة في علم الصرف لعدد من مظاهر التشكيل الصوتي في العربية ، وان اعادة النظر فيها ينبغي أن يكون في ضوء القوانين الصوتية المستنبطة من أحكام المقطع ، والمزدوج ، وحقيقة الفرق بين المصوّت الطويل ونصف المصوّت ، وغير ذلك مما أوردناه آنفاً .

المصـــادر

١ - أدب الكتّاب للصولي ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، القاهرة ١٣٤١ هـ .
٢ - أصوات العربية بين التحول والثبات ، د . حسام سعيد النعيمي ، بغداد ١٩٨٩ م .
٣ - الألسنية ، مبادئها واعلامها ، د . ميشال زكريا ، بيروت ١٩٨٠ م .
٤ - بعض مظاهر التطور اللغوي ، د . التهامي الراجي الهاشمي ، الدار البيضاء ١٩٧٨ م .
٥ - تاريخ اللغات السامية ، د . اسرائيل ولفنسون ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
٦ - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، الطيّب البكوش ، تونس ١٩٧٣ م .
٧ - التطور النحوي للغة العربية - برجستراسر ، الرياض ١٤٠٢ هـ .
٨ - جامع الدروس العربية - مصطفى الغلاييني ، ط ١١ ، بيروت ١٩٧٢ م .
٩ - حاشية الصبّان على الاشموني - محمد الصبّان ، ط عيسى الحلبي بمصر ، من غير تاريخ .
١٠ - الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢ ، مصر ١٣٧١ هـ .
١١ - الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني - د . حسام سعيد النعيمي ، بغداد ١٩٨٠ م .
١٢ - دراسة الصوت اللغوي ، د . أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٣٩٦ هـ .
١٣ - دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، تعريب صالح القرمادي ، تونس ١٩٦٦ م .
١٤ - شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الاستربادي ، تحقيق محمد نور الحسن وصاحبيه ، مصورة عن ط مصر ١٣٥٨ هـ .
١٥ - العلاقة بين اللغة والفكر - د . احمد عبدالرحمن حماد ، الاسكندرية ١٩٨٥ م .
١٦ - علم اللغة - د . علي عبدالواحد وافي ، ط ٧ ، القاهرة ١٩٧٢ م .
١٧ - علم اللغة العام - فردينان دي سوسير ، ترجمة د . يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ١٩٨٥ م .
١٨ - في علم اللغة العام - د . عبدالصبور شاهين ، ط بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
١٩ - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د . عبدالصبور شاهين ، مصر ١٩٦٦ م .
٢٠ - لحن العامة والتطور اللغوي ، د . رمضان عبدالتواب ، مصر ١٩٦٧ م .
٢١ - مفاتيح الالسنية - جورج مونان ، تعريب الطيب البكوش ، تونس ١٩٨١ م .

٢٢ - مقدمة ابن خلدون ، ط مصطفى محمد ، مصر ، من غير تاريخ .
٢٣ - المنصف ، شرح تصريف المازني ، لابن جني ، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ م .
٢٤ - المنهج الصوتي للبنية العربية - د . عبدالصبور شاهين ، ط بيروت ١٤٠٠ هـ .
٢٥ - همع الهوامع ، شرح جمع الجوامع للسيوطي ، مصورة عن ط مصر .
٢٦ - The origins and Development of The English Language , by Thomas Pyles , 1964 (New York)
٢٧ - Longman Dictionary , 1981 (England)

صُوَيْتَةُ المَفْصِل (Juncture)

يتحدث الانسان بسلسلة من الأصوات التي لها دلالتها لدى مجتمعه ، وإذا أنصتنا بتأمل الى أصوات من يحدّثنا استطعنا أن نجزّىء كلامه الى وحدات ، هذه الوحدات قد تكون على صورة نُوى ، ترتبط بكل نواة منها مجموعة من الأصوات اللغوية ، وذلك بناء على النظر الى الصلة بين الدوالّ ومدلولاتها ، وقد تكون على شكل وحدات دلالية صغرى بناء على النظر الى أصغر وحدة دلالية في السلسلة المنطوقة يمكن أن تقع في سياق آخر بالدلالة نفسها . وهذان التقسيمان لا ينفكان عن موضع الدلالة ولا يمكن لدارس الألسنية أن يتكلم فيهما إلا إذا كان على علم باللغة التي يريد أن يجزّىء السلسلة المنطوقة فيها الى أيّ من هاتين الصورتين :

كأن يسمع هذه الأصوات :

/ ل يـ ش م ـَـ ج يـ ت ـِـ ل ب ـً ر ح ـَـ د ـَـ ت ـً خ ـُـ ذ

ل ـِـ ك ت ـً ب /

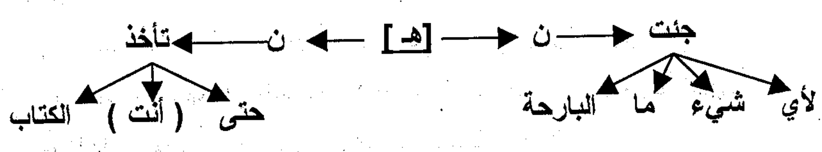
وهو لا يعرف اللهجة العراقية البغدادية ، ولا يعرف العربية ليَستدل وفقاً لقدرته على التأمل والربط على ان أصل الالفاظ :

/ ل ـِـ ء ـَـ ي ي ـِـ ش ـَـ ي ء ـِـ ن م م ـً ج ـِـ ء ت ـَـ ل ب ـً ر ـِـ

ح ـَـ ت ـَـ ح ـَـ ت ت ـَـ ت ـَـ ء خ ـُـ ذ ـَـ ل ك ـِـ ت ـً ب /

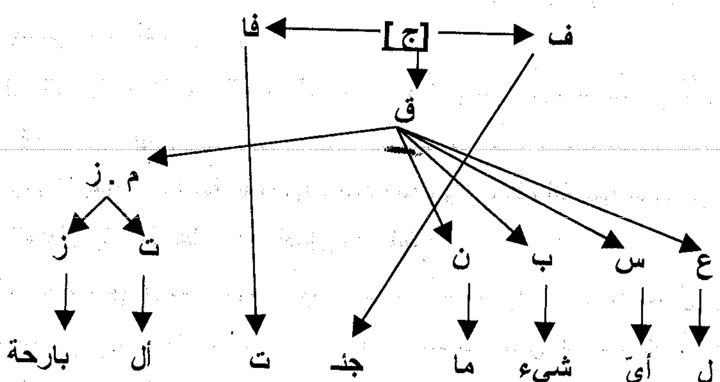
فإذا كان يعرف العربية وأراد تجزئة السلسلة المذكورة وفقاً لما فيها من نُوى فسيجد نواتين ، الأولى ممثلة بفعل المجيء الذي ارتبط به المخاطب والسؤال والنفي والزمن المحدد بالبارحة ، والثانية ممثلة بفعل الأخذ الذي ارتبط به المخاطب والتعليل والشيء الذي كان معرّضاً للأخذ وهو الكتاب ، أي :

لأيّ شيء ما جئت البارحة حتى تأخذ الكتاب ؟



(هـ : عبارة ، ن : نواة)

فإذا أخذ الدارس أي نواة وما ارتبط بها وأراد تجزئة السلسلة المنطوقة الى وحدات دلالية صغرى فسوف يمكنه أن يمضي في التجزئة حتى يصل الى إفراد اللام التي تفيد بيان العلة أو السبب في هذا السياق ويمكن أن تدخل في سياق آخر بالمعنى نفسه ، كأن يقال : لماذا جئت ؟ ، وإفراد أيّ ، التي أفادت معنى السؤال ويمكن أن تدخل بالمعنى نفسه في سياق آخر كأن يقال : أيّ طريق سلكات ؟، وإفراد شيء التي جاءت لمعنى أمر مستور مبهم أريد الكشف عنه بالسؤال في هذا السياق ، ويمكن أن يستعمل بالمعنى نفسه في سياق آخر ، كأن يقال : على أيّ شيء اتفقتم ؟، وهكذا تفرد (ما) النافية ، والفعل جاء والتاء التي للفاعل المخاطب ، والألف واللام التي للتعريف ، ولفظ بارحة ، وهو وصف لليلة مضت قبل يومك . أي :



(ج : جملة ، ف : فعل ، فا : فاعل ، ق : متعلقات ، ن : نفي ، ع : تعليل ، س : استفهام ، ب : نسبة ، م . ز : مركب زماني ، ت : تعريف ، ز : زمان) .

ولو أراد الدارس تجزئة أيّ وحدة خيطية (في نهاية خيط) من هذه الوحدات التي كانت لها دلالتها في السياق ما أمكنه ذلك ، بمعنى أن جزء الوحدة لا يدل على جزء معناها ، وبهذا تتوقّف التجزئة المتصلة بالدلالة .

وتبقى صورتان للتجزئة لا علاقة لهما بالدلالة ، الأولى : تجزئة السلسلة

المنطوقة الى أصغر الوحدات النطقية الطبيعية ، أي أصغر ما يمكن أن ينطقه ابن اللغة بصورة طبيعية غير متكلفة ، حيث تُجزّأ السلسلة الى المقاطع الصوتية ، وتكون مقاطع الجملة التي أوردناها آنفاً على الوجه الآتي :

/ لِ / أيْ / ي / شَيْـ / ئن م / ما / جِئـ / تَلْ / با / رِ / حَهْ /

ومعرفة المقاطع مرتبطة بالصوت ، ولا صلة لها بالمعنى ، فإذا وُجد مقطع هو جزء من وحدة دلالية له دلالة خاصة كان ذلك من قبيل المصادفة ، فضلًا عن ان اجتماع الدلالات في المقاطع إن وجدت لا يكون مؤدياً الى دلالة ما هي مكونة له ، كما في دلالة مقطعي كلمة : أبْكم ، / أبْ / كَمْ / .

وفي هذا يقول الفارابي وهو يشرح عبارة أرسطو : (وقوله : فأما المقطع الواحد من مقاطع الاسم فليس بدالٍّ لكنه حينئذ صوت فقط . يريد بالمقطع مجموع حرف مصوّت وحرف غير مصوّت ، فإنه متى أخذ شيء منه جزءاً لاسم مفرد لم يكن دالًّا على جزء المعنى الذي دلّ الاسم على جملته ، لكنه يكون حينئذ كحرف واحد فلذلك جعله صوتاً فقط .

وينبغي أن يؤخذ هذا على انه جزء بالاضافة الى اسمٍ ما مشارٍ اليه ، فإن كثيراً من أجزاء الاسم ربما كان اسماً مفرداً لم يُقصد به حيث أُخذ جزءاً للاسم المفرد أن يكون جزءاً له ، على أنه قد كان اسماً دالًّا ، مثل قولنا : « أبكمْ » في العربية ، فإن قولنا : أبْ ، وقولنا : كَمْ ، كلّ واحد منهما دالّ على انفراده لا من حيث هو جزء للاسم ولكن يقال في أمثال هذه إن أجزاءها دالّة بالعرَض ...)[1] .

من أجل ذلك نقول إن دارس الألسنية يمكن أن ينبه على مقاطع السلسلة اللغوية التي ينطقها ابن لغة ما وإن لم يكن عارفاً بتلك اللغة التي يسمعها .

فإذا أريد تجزئة المقاطع الصوتية الى وحداتها الصغرى تجزئة دراسية أمكن تحليل المقاطع من غير معرفة بدلالة الالفاظ أيضاً الى أصغر وحداتها الصوتية ، فتحلل الجملة المذكورة آنفاً الى ما يأتي :

/ ل ـِـ / ء ـَـ ي / ي ـِـ / ش ـَـ ي / ء ـِـ ن م / م ـًـ / ج ـِـ ء /
ت ـَـ ل / ب ـًـ / ر ـِـ / ح ـَـ هـ /

١ ـ شرح كتاب أرسطوطاليس في العبارة ـ للفارابي ، تحقيق كوتش ومارو ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ٤٩ .

وقد اطلق على هذه الوحدات الصوتية الصغرى مصطلح : الصُّوَيْتة « Phoneme » وهي وحدة غير قابلة للتجزئة ، ولكنها قابلة للتنويع[٢] .

ودراسة التنويعات الصوتية تقتضي ربط الصوت بالدلالة ، وهذا يعني دراسة الصويتة من خلال دراسة الوحدة الدلالية الصغرى ، ومن هنا ولد مصطلح التصويتة « Allophone » ، ذلك أن الصويتة تتميز بالاستبدال[٣] ، فإذا استبدلنا بالصوت اللغوي صوتاً آخر مهما كانت صورة التباين بين الصوتين وأحدث ذلك تغييراً في الدلالة كان الصوتان صويتتين ، وإلا كان الصوت الأكثر استعمالًا « صويتة » والصوت الجديد الذي غالباً ما يكون بسبب التشكيل الصوتي « تصويتة » .

فالسين والصاد مثلًا صوتان لغويان يتفقان في المخرج وفي أكثر الصفات ومنها صفة الهمس ، وصفة الاحتكاك ، وصفة الصفير ، ولكنهما يختلفان في صفة واحدة ، إذ الصاد مطبق والسين غير مطبق (منفتح) ، وهما صويتتان في نحو : « سَعِدَ » و « صَعِدَ » لتباين الدلالة بتباين الصوتين . ولكن أحدهما « صويتة » والآخر « تصويتة » في : « السراط » و « الصراط » ، لوحدة الدلالة في اللفظين ، وكذلك : « المسيطرون » و « المصيطرون » ، وفي ضوء ما ورد في المعجم يقرر دارس العربية أي الصوتين « صويتة » وأيها « تصويتة » .

وقد لا نجد للصوت اللغوي هذه السمة ، أي أن يكون مرّة « صويتة » ومرّة « تصويتة » ، بل قد لا يكون إلا « تصويتة » ، ومثاله اللام المفخمة في اسم الجلالة « اللّه » وفي « الصلاة » . فاللام في الفاظ العربية مرققة ، وهي في نحو : « بسم اللّه » مرققة أيضاً ، ولكن العرب جاءت بها مفخمة في نحو : « واللّه » وهي على أصل الترقيق في نحو : « باللّه » ، وقل مثل ذلك عن لام « الصلاة » و « يظلمون » و « الطلاق » ، في قراءة من قرأ بتفخيم اللام مع الصاد والظاء والطاء[٤] .

على اننا نجد في الاستعمال اللهجي في بغداد اليوم لاماً مفخمة هي

---

٢ ـ انظر : معجم علم اللغة النظري ـ د . محمد علي الخولي ، مكتبة لبنان ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٩ .

٣ ـ في علم اللغة العام ـ د . عبدالصبور شاهين ، ط ٣ بيروت ١٤٠٠ هـ ، ص ١٢٣ .

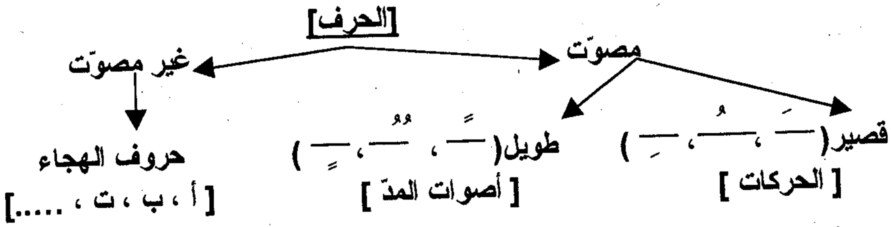
٤ ـ انظر : التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ـ لأبي عمرو الداني ، تحقيق د . التهامي الراجي الهاشمي ، المغرب ١٩٨٢ م ، ص ٢٦٤ .

« صويتة » ، واخرى مفخمة أيضاً هي « تصويتة » ، فالصويتة في قولهم : (هٰذَ مكانٌ خالي) بترقيق اللام وهو من الخلوّ ، وقولهم : (هٰذَ مكانٌ خالي) بتفخيم اللام وهو من الخؤولة فكل منهما صويتة . والتصويتة في قولهم : (صَلّيت) بالامالة والترقيق ، وقولهم : (صَلّيت) بالامالة والتفخيم ، فمن أهل بغداد من يقولها بالترقيق ومنهم من يقولها بالتفخيم والمعنى واحد فالمفخمة تصويتة .

وكما قد لا يكون الصوت اللغوي إلا تصويتة على ما قدمنا ، لا يكون إلا صويتة ، وهو الأصل في الأصوات اللغوية جميعاً ، فـ « صار » غير « سار » لاختلافهما بالصاد والسين ، و « كدم » غير « كتم » لاختلافهما بالدال والتاء ، و « عاذ » غير « عاث » لاختلافهما بالذال والثاء ، هذا مع اتفاق المخرج في كل صوتين مما ذكرنا ، فإذا اختلف المخرج كانت الصويتة من باب أولى فـ « عصب » غير « نصب » لاختلافهما بالعين والنون ، و « كذب » غير « كتب » لاختلافهما بالذال والتاء ، و « قال » غير « قام » لاختلافهما باللام والميم ، وهلم جرّا ...

والصوائت القصيرة صويتات إذ يفرّق بها بين معاني الالفاظ كالتفريق بين دلالة « البَرّ » و « البِرّ » بفتح الباء وكسرها ، وكالتفريق بين دلالة المعلوم والمجهول في نحو « سَمِع » و « سُمِع » بفتح السين وضمها .

والى القيمة « الصويتية » للصوائت ألمح الفارابي عندما أطلق مصطلح « الحرف » على ما يقابل اليوم مصطلح « الصويتة Phoneme » وجعل الحركات حروفاً بالنظر الى هذا المعنى حيث قال : (ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصير الأصوات حروفاً ، والحروف منها مصوّت ومنها غير مصوّت ، والمصوّتات منها قصيرة ، ومنها طويلة ، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات ...)(٥) واذا شجّرنا هذا النص كان على الوجه الآتي :



٥ - كتاب الموسيقى الكبير - للفارابي ، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة ، القاهرة (د . ت) ص ١٠٧٢ .

والألسنيون يوجهون عنايتهم في دراسة الصويتة الى التقابلات في الالفاظ وما تحدثه الصويتة من قيمة تمييزية ، فإذا تغيرت بها الدلالة فهي صويتة في تلك اللغة ، ومقابلها صويتة أيضاً (ومن هذا أن السين ومجهوره الزاي زوج بينه تقابل في العربية ، فنحن نقول : « سار » و « زار » وهذا التقابل نفسه قائم في الفرنسية ...، ولكن اللغة الاسبانية ، مع انها تعرف صوت السين وتعرف صوت الزاي ، لا تعرف هذا التقابل الذي يُتخذ للتفريق بين المعاني ...، وهكذا فاللغة الاسبانية تعرف الفرق من الناحية الصوتية الخالصة بين السين والزاي كما تعرفه العربية والفرنسية مثلًا ، ولكنها لا تستعمل هذا الفرق من الناحية الفونولوجية ، انها لا تستعمل هذا الفرق في نظامها الوظيفي لما كانت لا تعرف التقابل بين السين والزاي .)[٦] .

السكتة المَفْصِلية :

جاء في اللسان : (يقال : سكَت الصائت يسكُت سكوتاً إذا صَمَت ، والاسم من سكت السكتة ،... والسكت من أصول الالحان شبه تنفس بين نغمتين من غير تنفس ، يراد بذلك فصل ما بينهما ...)[٧] . ومن هذا المعنى جعل علماء التجويد السكتة توقف القارىء عن اصدار الصوت اللغوي في تتابع اصداره السلسلة المنطوقة وذلك في غير موطن الوقف . وتحدد في العادة بزمن أقل من زمن الوقف الطبيعي الذي يكون في آخر الجملة أو عند رؤوس الآي (السكت : هو قطع الصوت على الحرف الساكن آناً هو دون زمن الوقف عادة ، من غير تنفس ، بنيّة استئناف القراءة في الحال ، والمقدار الزمني للسكت حركتان ، أي الزمن المستغرق عند لفظ ألف مدّيّة .)[٨] . وهذا الفرق بين الوقف والسكت عندهم القائم على الزمن يمكن أن يزول باستعمال مصطلح « القطع » فيهما أخذاً بعبارة النحّاس التي جعلها عنواناً لكتابه : (القطع والائتناف) وفيه كلام على مواضع ينبني على اختلاف القطع فيها اختلاف المعنى ، على انه استعمل في هذا الكتاب مصطلحي « القطع » و « الوقف » نحو قوله :

---

٦ ـ علم اللغة ـ مقدمة للقارىء العربي ـ د . محمود السعران ، بيروت (د . ت) ص ١٩٧ .

٧ ـ لسان العرب ـ لابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، ٢ : ٣٤٧ مادة (سكت) .

٨ ـ حق التلاوة ـ حسني شيخ عثمان ، ط ٨ بيروت ١٤٠٨ هـ ، ص ٤٨ .

(فيقف الذي يعلمه على ما يحتاج اليه من القطع)[٩] ، ثم قال في الموضع نفسه : (انه أنكر الوقف على ...) .

ومما يدخل في اختلاف المعنى لاختلاف موضع الوقف قوله : (عن عمرو بن ميمون قال : كلُّ مؤمنٍ صدّيقٌ شهيدٌ ، ثم قرأ : ﴿ أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ [الحديد : ١٩] وكذا يروى عن مجاهد ، فعلى هذا التأويلِ التمامُ : ﴿ عند ربّهم ﴾ ، وفيه قول آخر ، أن يكون التمام : ﴿ اولئك هم الصدّيقون ﴾ ويكون الائتناف : ﴿ والشهداءُ عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ قال مسروق : هي للشهداء خاصة .

وروي عن أبي عبدالرحمن السلمي أنه كان يستحب أن يقف : ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ ، ثم يبتدىء فيقول : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ [يس : ٥٢] أراد أن يفرّق بين كلام الكفار وجواب الملائكة)[٩] . فأنت تجد في سورة الحديد أن الوقف بعد لفظ ﴿ الصديقون ﴾ أي : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون . والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم ﴾ يجعل المعنى وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم هم الصديقون ، ثم يبتدىء كلاماً عن الشهداء مخبراً عنهم بأنهم عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم ، ويثلّث بعد ذلك بذكر الذين كفروا ، فالآية على هذا تعرض ثلاثة أصناف : المؤمنين ، والشهداء ، والكافرين ، ولكل صنف وصفه ، فالمؤمنون هم الصديقون ، والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم . والكافرون هم أصحاب الجحيم . فهذا المعنى أفاده الوقف على ﴿ الصدّيقون ﴾ .

والوقف على لفظة ﴿ ربّهم ﴾ أي : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم ، لهم أجرهم ونورهم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم ﴾ يجعل المعنى وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء عند ربّهم وبأنهم ذوو أجر ونور ، فالآية على هذا تعرض صنفين : المؤمنين بوصف الصدّيقية والشهادة والأجر والنور ، والكافرين بوصفهم انهم أصحاب

---

٩ - كتاب القطع والائتناف - للنحاس ، تحقيق د . أحمد خطاب عمر ، بغداد ١٩٧٨ م ، ص ٩٠ - ٩١ .

الجحيم ، والى هذا نظر عمرو بن ميمون حين قال : كل مؤمن صدّيق شهيد ، قال أبو حيان : (... والشهداء ، الظاهر انه مبتدأ خبره ما بعده ، فيقف على ﴿ الصديقون ﴾ وإن شئت فهو من عطف الجمل ، وهذا قول ابن عباس ، ومسروق ، والضحاك ، ان الكلام تام في قوله : ﴿ الصديقون ﴾ واختلف هؤلاء فبعض قال : الشهداء هم الأنبياء ، يشهدون للمؤمنين بالصدّيقية ، لقوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد ﴾ الآية ، [النساء : ٤١] وبعض قال : هم الشهداء في سبيل الله تعالى ، استأنف الخبر عنهم ، فكأنه جعلهم صنفاً مذكوراً وحده لعظم أجرهم . وقال ابن مسعود ، ومجاهد ، وجماعة : ﴿ والشهداء ﴾ معطوف على ﴿ الصديقون ﴾ والكلام متصل . يعنون من عطف المفردات . فبعض قال : جعل الله كل مؤمن صدّيقاً وشهيداً ، قاله مجاهد ، وفي الحديث من رواية البراء : (مؤمنو أمتي شهداء) ... وبعض قال : وصفهم بالصديقية والشهادة ، من قوله تعالى : ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] ...)(١٠) .

ومثل هذا يقال عن الوقف في آية سورة يس ، فالوقف بعد لفظ ﴿ مرقدنا ﴾ أي : ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا . هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ يكون له معنى سؤالهم عن البعث من المرقد أولًا ، ثم اجابة الملائكة إياهم ، أو اجابتهم أنفسهم ، بالقول : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ ، أما الوقف على ﴿ هذا ﴾ أي : ﴿ من بعثنا من مرقدنا هذا . ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ فيؤدي الى اضطراب المعنى ، مما قد يفهم منه أن تكون « ما » نافية لوعد الرحمن بلفظها ولصدق المرسلين بالتقدير ، أو نفي وعد الرحمن ، واثبات صدق المرسلين ، وفيه من الاضطراب ما لا يخفى ، على أن لمتمحل أن يقول : ناسب ذلك اضطراب الكفار في ذلك اليوم .

فإذا فهم من « ما » انها مصدرية أو موصولة ، كان لا بد من التقدير ، وتكون الاشارة حينئذ الى المرقد ، ويقدر حذف في الكلام ، وكأنه قيل : من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ ما وعد الرحمن حقٌّ ، أو ما وعد الرحمن وقع ، وصدق المرسلون فيما بلّغوا ، أو : هذا ما وعد الرحمن ، فتكون (هذا) المحذوفة مبتدأ خبره (ما) وما بعدها ، (قال

---

١٠ ـ البحر المحيط ـ لابي حيّان ، ط الرياض (د . ت) ٨ : ٢٢٣ .

الزجاج : ويجوز أن يكون اشارة الى المرقد ثم استأنف : ما وعد الرحمن ، ويضمر الخبر : حقّ أو نحوه ، وتبعه الزمخشري فقال : ويجوز أن يكون « هذا » صفة للمرقد ، و « ما وعد » خبر مبتدأ محذوف ، أي : « هذا وعد الرحمن » ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي « ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حقّ عليكم ... »[١١] .

وبعيداً عن كل هذه التأويلات ، واثباتاً للمعنى الأول وجدنا رواية حفص لما قرأ عاصم تشير الى سكتة لطيفة على ألف ﴿ مرقدنا ﴾ ليُبتدأ بعدها : ﴿ هذا ما وعد الرحمن ﴾[١٢] ..

ويلاحظ ان تغير المعنى فيما تقدم لم يكن بسبب صوت منطوق في السلسلة الكلامية ، بل بسبب التوقف عن النطق آناً ، ثم مواصلته ، فالمؤثر في المعنى انعدام الصوت اللغوي وليس وجود الصوت اللغوي .

ومما ذكروه من ذلك مستعملين مصطلح « السكت »[١٢] ما أوردوه من قرَاءة عاصم برواية حفص عند قوله تعالى : ﴿ وقيل من راق ﴾ [القيامة : ٢٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ كلّا بل ران على قلوبهم ﴾ [المطففين : ١٤] لتفويت الادغام في الموضعين ، فالنون في لغة العرب في نطقها المألوف طبعاً تدغم في الراء فيقال في : أعنْ رفيقك ، مثلًا : أعِرّفيقك ، قال سيبويه : (النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان ... وذلك قولك : من رّاشد ، ومن رّأيت وتدغم بغنة وبلا غنة ...)[١٣] .

وبهذا الادغام قرأ في هذه الآية جمهور القرّاء ، قال ابن خالويه : (قوله تعالى : ﴿ من راق ﴾ أجمع القراء على قراءتها بالوصل والادغام ، إلا ما رواه حفص عن عاصم بقطعها ، وسكتة عليها ، ثم يبتدىء : راق ...)[١٤] ووَجّه أبو حيان قراءة عاصم بهذه الرواية بقوله : (كأن حفصاً قصد أن لا يُتوهم انهما كلمة واحدة ، فسكت

---

١١ - البحر المحيط ٧ : ٣٤١ .

١٢ - انظر : حق التلاوة ، ص ١٦٠ .

١٣ - الكتاب - لسيبويه ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق بمصر ١٣١٦ هـ ، ٢ : ٤١٤ .

١٤ - الحجّة في القراءات السبع - لابن خالويه ، تحقيق عبدالعال سالم مكرم ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ٣٣٠ .

سكتاً لطيفاً ليُشعر أنهما كلمتان ، وقال سيبويه ان النون تدغم في الراء ، وذلك نحو : (من رّاشد) والادغام بغنة وبغير غنة ، ولم يذكر البيان ، ولعل ذلك من نقل غيره من الكوفيين ، وعاصم شيخ حفص يُذكر انه كان عالماً بالنحو .)[١٥] .

ومثل ذلك يقال في قراءته : ﴿ كلّا بل ران على قلوبهم ﴾ فاللام تدغم في الراء ، نحو : هل رّأيت ، على أن سيبويه ذكر الإظهار في هذا ولكنه جعل الادغام أحسن ، قال : (اللام مع الراء نحو : اشغَل رّجبة ، لقرب المخرجين ولأن فيها انحرافاً نحو اللام قليلًا وقاربتها في طرف اللسان ، وهما في الشدّة وجري الصوت سواء وليس بين مخرجيهما مخرج ، والادغام أحسن .)[١٦] . وبالادغام قرأ جمهور القرّاء ، ووجّهت قراءة عاصم ببيان الكلمتين ، قال ابن خالويه : (قوله تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ﴾ اتفق القراء على ادغام اللام في الراء لقربها منها في المخرج ، إلا ما رواه حفص عن عاصم من وقوفه على اللام وقفة خفيفة ثم يبتدىء ﴿ ران على قلوبهم ﴾ ليعلم بانفصال اللام من الراء ان كل واحدة منهما كلمة بذاتها فرقاً بين ما ينفصل من ذلك فيوقف عليه ، وبين ما يتصل فلا يوقف عليه ، كقولك : الرحمن الرحيم ...)[١٧] ، فلام التعريف لا تنفصل عما تعرّفه فلا بد من الادغام فيها ، أما لام (بل) فيمكن أن تنفصل لذا جاز السكت عليها .

وهذا الكلام في النفس منه شيء ، إذ القراءة سنة متّبعة وليست اجتهاداً لعلة ، والاولى في هذا كما سيأتي مذهب سيبويه الذي نص على أن الاظهار لغة . أما الزمخشري فقد قدم قراءة الادغام ، قال : (وقرىء بادغام اللام في الراء ، وبالاظهار ، والادغام أجود)[١٨] ولم يجعل الاظهار خاصاً بعاصم ، ومثل ذلك ما ورد في البحر المحيط : (﴿ بل ران ﴾ قرىء بإدغام اللام في الراء وبالاظهار ، وقف حمزة على ﴿ بل ﴾ وقفاً خفيفاً يسيراً لتبيين الاظهار ، وقال أبو جعفر بن الباذش : واجمعوا ، يعني القراء ، على إدغام اللام في الراء ، إلا ما كان من سكت حفص على

---

١٥ ـ البحر المحيط ٨ : ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

١٦ ـ الكتاب ٢ : ٤١٤ .

١٧ ـ الحجّة ص ٣٣٨ .

١٨ ـ الكشّاف ـ للزمخشري ، طبعة الحلبي بمصر ١٣٦٧ هـ ، ٣ : ٣٢٣ .

﴿ بل ﴾ ثم يقول : ﴿ ران ﴾ . وهذا الذي ذكره ليس كما ذكر من الاجماع ، ففي كتاب (اللوامح) عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء ، نحو قوله : ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ [النساء : ١٥٨] ﴿ بل ربّكم ﴾ [الانبياء ٥٦] . وفي كتاب ابن عطية : وقرأ نافع : ﴿ بل ران ﴾ غير مدغم ، وفيه أيضاً وقرأ نافع بالادغام والإمالة ...)[١٩] .

وقد ذكر سيبويه ان الاظهار لغة أهل الحجاز ، ومعنى ذلك أن عاصماً فيما رواه عنه حفص انما قرأ بلغتهم ولم يفصل للعلة التي ذكرها ابن خالويه ، ومثل ذلك يقال فيما نقل من رواية قالون لقراءة نافع ، قال سيبويه : (وإن لم تدغم فقلت : (هلْ رَأيت) فهي لغة لأهل الحجاز ، وهي عربيّة جائزة)[٢٠] .

ويلاحظ أن السكت في الموضعين لم يزد على أن نأى بالقارىء عن ادغام النون في الراء في ﴿ من راق ﴾ وعن ادغام اللام في الراء في ﴿ بل ران ﴾ ، والسكت في ﴿ بل ران ﴾ لغة ، ولا أثر له في المعنى ، إلا أن السكتة في ﴿ من راق ﴾ قد فرّقت في الظاهر بين دلالتين اذا أخذ اللفظ على ظاهره في حال الوقف ، فلفظ : / م ـَـ ر / ر ـَـ ق / يحتمل معنيين وهو بهذه الصورة :

الأول : أن يكون من أصل : مَن راق ، وادغمت النون في الراء ، ويكون سؤالًا عن الراقي ، واذا وصل قرىء : ﴿ مَرَّاقٍ وظن أنه الفراق ﴾ بكسر قاف (راقٍ) .

والثاني : أن يكون (فعّالًا) من (المروق) وهو غير مراد في هذا الموضع لوجود رسم النون في « من راق » وانفصال الكلمتين ، إلا انه لو نُطق بها في غير القرآن وأُريد معنى المروق لكانت الكلمة بالرفع في الوصل أي : وقيل مرّاقٌ وظن أنه ... أي : هو مراقٌ . فإذا وُقف على القاف سكنت سواء أكانت مكسورة أم مضمومة ، والسامع لا يدري كيف هي في الرسم حتى يرى النون وانفصالها من راء راقٍ ، وحينئذ يلتبس عليه المعنى ، فجاءت سكتة حفص مظهرة ذلك للسامع .

على أن هذا الرأي يمكن أن يُعارَض بأن تنغيم الاستفهام في ﴿ من راق ﴾ على قراءة الادغام وارادة الراقي يختلف عنه في نطق (مرّاق) من المروق على تقدير

---

١٩ ـ البحر المحيط ٨ : ٤٤١ .

٢٠ ـ الكتاب ٢ : ٤١٦ .

الاستفهام ، والمشافهة تُظهر ذلك ، أو أجهزة الصوت ، ويدفع المعارضة أن الاحساس بالاختلاف لا يلاحظ عند السامعين بسهولة ويسر ، ولا سيما عند القراءة المستمرة ، وعدم التوقف للتأمل ، وقد جرّبت ذلك مع عدد من السامعين على اختلاف في ثقافتهم فلم يكن التمييز ميسوراً لهم .

والتفاتة القدماء الى السكتة التمييزية لم تكن فيما يتصل بالقرآن الكريم وحده ، بل نجد أمثلة كثيرة يمكن أن يحمل تنوع المعنى فيها على اختلاف موضع السكت سنورد طائفة منها في ختام البحث ، على أن علماء الصوت المحدثين هم الذين وقفوا عند هذه السكتة التمييزية وقفة دراسية وأطلقوا عليها مصطلح (Juncture) وارتضينا أن نجعل مقابله العربي « المَفْصِل » أخذاً بما ورد في (دراسة الصوت اللغوي) من ترجمة[٢١] . ونبهنا على قيمته التمييزية بإضافة لفظ صويتة (Phoneme) اليه ، ويمكن أن تجعل : (صويتة الفاصل) أخذاً بما ورد في (معجم علم اللغة النظري)[٢٢] ، أو (صويتة السكت) أو (السكتة) أخذاً بما ورد عند علمائنا القدماء في كتب التجويد أو القراءات على ما قدمنا .

وقد ذكر الدكتور الخولي أن الفاصل (فونيم فَوْقَطْعِيّ [يريد : غير مقطعي] يأتي بين كلمة واخرى ، أو بين قول وسكون ، ويعبَّر عنه بالوقوف ، وقد يكون داخلياً ـ أي داخل الكلمة ـ أو خارجياً ، مفتوحاً أو مغلقاً ـ أي داخل الجملة ـ ، صاعداً rising ، أو هابطاً falling ، أو مؤقتاً Sustained ورمز الفاصل الصاعد هو / ↗ / ورمز الفاصل الهابط هو / ↘ / ورمز الفاصل المؤقت هو / → / ورمز الفاصل الموجب هو / + / . ويمكن تعديل الرموز لتناسب اللغة العربية لتصبح / ↖ / و / ↙ / و / ← / للصاعد والهابط والمؤقت على التوالي)[٢٢] . ويبدو ان الرموز التي ذكرت آنفاً ليست موضع اتفاق ، فقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر أن المفصل المفتوح (يرمز له في الكتابة بعلامة زائد)[٢١] وقال في حاشية الصفحة نفسها : (أو بالعلامة #) وقال عن الخفيّ أو الضيّق (ويُرمز له بعلامة ناقص)[٢١] ونبّه على إمكان (الاستغناء عن الرمز عن طريق ترك فراغ في الكتابة)[٢١] هذا على أنه لم

---

٢١ ـ دراسة الصوت اللغوي ـ د . أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

٢٢ ـ معجم علم اللغة النظري ، ص ١٤٢ .

يفصّل تفصيل الدكتور الخولي بل قال : (والانتقال قد يكون حاداً فيسمى المفصل مفتوحاً open juncture ويرمز له في الكتابة بعلامة زائد ، وقد يكون خفياً فيسمى المفصل ضيّقاً close juncture ويرمز له في الكتابة بعلامة ناقص)(٢١) وحَصْر السكت في الحدّة والخفاء يلائم العربية فيما نراه ، لأنه يتصل بمُدّة السكت وهو أمر يمكن أن يشار اليه بعدد الحركات كما فعل علماء التجويد (السكت هو قطع الصوت عن القراءة ـ بدون تنفس ـ وزن حركتين .)(٢٢) . أما الصعود والهبوط اللذان ذكرهما الدكتور الخولي فصلتهما بالتنغيم وهو أمر غير منضبط في عربية اليوم لارتباطه بالنطق اللهجي وتأثره به ، وقوله إنه يأتي بين قول وسكون غير مفهوم إذ كيف يتوسط السكت بين قول وسكون ؟ وأما المؤقت فيبدو انه يريد به الخفيّ ويكون تكراراً للمغلق ، فقد قابل بين المفتوح والمغلق ، والداخلي والخارجي والصاعد والهابط . وجعل المؤقت مفرداً .

والظاهر أن الذين وضعوا مصطلح open juncture ومصطلح close juncture كانوا ينظرون الى رسم الكلمات وما بين رموز الكتابة من تقارب أو تباعد ، وفي هذا اقحام ما ليس من الصوت في الصوت . ولفظا الحدّة والخفاء أو الظهور والخفاء أولى في وصف الصوت اللغوي .

فالناطق المتأنّي يلفظ كلمة an⁺ocean (بحر محيط) بسكتة ظاهرة على النون ويبتدىء بعدها بهمزة قطع (glottal stop) أي :
/ ءَ ـــ ن + / ءَ وْ / ش ـِــ ن / ، فإذا خفف الهمزة للسرعة في النطق بأن حذفها ووصل الصائت الذي بعدها بالنون محولًا السكتة الظاهرة الى سكتة خفيّة قال : (an⁻ocean) ، أي : (١) / ءَ ـــ / ن وْ / ش ـِــ ن / . والناطق المتأنّي يلفظ كلمة a⁺notion (مفهوم ، فكرة) بسكتة ظاهرة على الفتحة بعد همزة القطع ثم يبتدىء بعدها بالنون ، أي : / ءَ ـــ + / ن وْ / ش ـِــ ن / فإذا أسرع في النطق فأخفى السكتة الظاهرة قال : (anotion) أي : (٢) / ءَ ـــ / ن وْ / ش ـِــ ن / . ويلاحظ أن النطق بالكلمة (١) والكلمة (٢) لا يكاد يختلف مما

---

٢٣ ـ حقّ التلاوة ، ص ١٦٠ .

يدل على أن السكتة الخفية ليس من السهل أن تُجعل تمييزية فهي اذن ليست صويتة (phoneme) بخلاف السكتة الظاهرة .

ومن أمثلة السكتة الخفيّة قولهم : (لقمةٌ تكفيني الى يومٍ تكفيني) فمن التكلف أن ندّعي اننا نحس بسكتة بين ياء (تكفي) ونون الوقاية في (تكفيني) الاولى . وأكثر من ذلك تكلفاً أن يُدّعى الاحساس بها بين نون (تكفين) وياء المتكلم في (تكفيني) الثانية ، لأنهما يشكلان مقطعاً طويلًا مفتوحاً غير قابل للتجزئة النطقية وإن كانت التجزئة بالسكتة الخفية ، أي :

(٣) / ت ـَـ ك / ف ـِـ / ن ـِـ / ، و (٤) / ت ـَـ ك / ف ـِـ / ن ـِـ /

فإذا سُكت على المقطع الثاني من (٣) أمكن البدء بعد السكت بالمقطع الثالث أي بقاعدته وهي النون ، أما محاولة السكت على قاعدة المقطع الثالث من (٤) فيتعذر معه البدء بالصائت الطويل لأنه قمة المقطع والناطق لا يمكن أن يبتدىء بصائت أي بقمة مقطع ، بل سيؤدي السكت الى سقوط الصائت الطويل والحاق قاعدته بالمقطع السابق (الثاني) ليتحول من طويل مفتوح الى مديد :

/ ت ـَـ ك / ف ـِـ / ن ـِـ / ، / ـِـ / ×

← / ت ـَـ ك / ف ـِـ ن / ، ولا يعود الأمر ذا صلة بالسكتة .

ومن أمثلتهم للسكتة الظاهرة :(٢١)

(٥) $an^{+}icebox$ (ثلاجة) ، و (٦) $a^{+}nicebox$ (صندوق محكم)

اذا كان نطق كل منهما بتأن فتكون المقاطع في (٥) :

(٥) / ء ـَـ ن + / ء ـً / ي ـِـ س / ب وْ ك س / ، وفي (٦) :

(٦) / ء ـَـ + / ن ـً / ي ـِـ س / ب وْ ك س / ، فإذا خففت الكلمة (٥) بسرعة النطق بأن حذفت الهمزة من المقطع الثاني واعيد التشكيل المقطعي ، لم يتميز النطق بها عن النطق بالكلمة (٦) اذا لفظت بالسرعة المعتادة في الكلام غير المتأني ، أي :

(٥) / ء ـَـ ن / ء ـً ...

← / ء ـَـ / ن ـً ...

(٦) / ء ـَـ + / ن ـً ... بتحول السكتة للسرعة من ظاهرة الى خفية :

← / ء ـَـ / ن ـً ...

ومن ذلك قولهم :

(٧) light house+ Keeper (فناريّ) ، و (٨) light+ house Keeper (مدبرة نشيطة) فههنا لا مناص من سكتة ظاهرة بعد كلمة house في (٧) وسكتة ظاهرة بعد كلمة light في (٨) ليكون التمييز بين المعنيين .

ويلاحظ ان الكلام على صويتة المفصل ينبغي أن يقوم على وصف السلسلة المنطوقة من غير تأثر بصورة الرسم ، فصلتها بالمشافهة لا بالكتابة ، إذ الرسم يميز بين الالفاظ بما فيه من فواصل ، كما رأينا في (مرّاقْ) و (من راقْ) وإن كان اللفظ بهما من غير سكتة واحداً ، وكذلك في الأمثلة الانكليزية ٥ و ٦ و ٧ و ٨ حيث اتفقت الحروف وميّزت الكتابة بفواصلها .

وقد بحث علماؤنا ما يمكن أن نجعله في (صويتة المفصل) في باب (الجناس المركب) المتشابه والمفروق ، قال السكاكيّ : (واذا وقع أحد المتجانسين في التام مركباً ولم يكن مخالفاً في الخط كقوله :

(٩) اذا ملـــــك لم يكن ذاهِبـــــةْ

فـــدعــــه فـــدولتـــه ذاهِبـــةْ

سُمّي متشابهاً ، وإن كان مخالفاً في الخط كقوله :

(١٠) كلّكم قـــد أخَـــذ الجـــا

مَ ولا جـــامَ لنـــا

مـــا الـــذي ضَـــرّ مـــديـــرَ الـ

جـــام لـــو جـــامَلنـــا

سمّي مفروقا)[٢٤] ، وقال التفتزاني : (فإن قلت : يدخل في قوله : وإلا خُصّ باسم المفروق ، ما يكون اللفظ المركب مركباً من كلمة وبعض كلمة كقول الحريري :

(١١) ولا تَلْـــهُ عن تـــذكـــار ذنبـــك وابْكِـــهِ

بـدمـع يضـــاهي الـوبـلَ حـال مَصـابِـهِ

ومثّـــل لعينيـــك الحِمـــامَ ووقعَـــهُ

وروعـــةَ ملقـــاهُ ومطعَمَ صـــابِـــهِ

---

٢٤ ـ مفتاح العلوم ـ للسكّاكي ، مصورة عن طبعة مصر ١٣٤٨ هـ ، ص ١٨١ .

فالثاني مركب من (صابه) والميم من (مطعم) ، والصاب : عصارة شجرة مرّة ، و (المصاب) الأول بالفتح (مَفْعَل) من : صابَ المطرُ : إذا نزل ، وهما غير متفقين في الخط فهل يُسمىٰ مفروقا ؟ قلت : لا ! إذ يجب في المفروق ألّا يكون المركب مركباً من كلمة وبعض كلمة ، بل من كلمتين ، والتقسيم أنّ المركب إن كان مركباً من كلمة وبعض كلمة يسمّىٰ التجنيس مرفوّا ...)[٢٥] والعناية بالرسم في موضع الصوت غير مطلوبة لذا نرى أن السكتة هي التي تقرر المعنى سواء اطلق علىٰ المركب مرفوّاً أم مفروقاً وفي زيادة التفريع تكلف ومشقة لا ثمرة من ورائها ، ففي البيت (٩) السكتة على ألف (ذا) في نهاية الصدر تميّز ، أي :

(٩) إذا ملـــــكٌ لم يكُن ذا+ هِبَـــــهْ
فَـــدَعْـــهُ فــدولتـــه ذاهِبَـــهْ

والسكتة على الفتحة بعد ميم جام في البيت الأول من (١٠) تميّز أيضاً ، أي :

(١٠) كلّكم قـــــد أخـــــذ الجـــــا
م ولا جـــــامَ+ لَنـــــا

مـــا الـــذي ضَـــرَّ مـــديـــرَ الـ
جـــام لـــو جـــامَلنـــا

والسكتة على فتحة ميم مطعم في البيت الثاني من (١١) مميّزة أيضاً ، أي :

(١١) ولا تَلْـــهُ عن تـــذكـــار ذنبـــك وابْكِـــهِ
بـدمـع يضـــاهي الـويـلَ حـال مَصــابِـهِ

ومثّـــل لعينيـــك الحِمـــامَ ووقْعَـــهُ
وروعـــةَ ملقـــاهُ ومطعَمَ+ صـــابِـــهِ

يتضح كل ذلك من السماع بصرف النظر عن الرسم .

ومما يدخل في باب صويتة المفصل ونجده مبثوثاً في مباحث الجناس المركّب ، قول الشاعر (وقد أشرنا بعلامة + على موضع السكت) :

---

٢٥ ـ المطوّل على التلخيص ـ للتفتزاني ، طبعة تركيا ١٣٣٠ هـ ، ص ٤٤٦ .

(١٢) يـــــا سيـــــداً حــــازَ رِقّي
بمـــــا حبـــــاني وأوْلىٰ
أحسنتَ بِـــــرّاً فقـــــلْ لي
أحسنتُ في الشكـــــــرِ أوْ+ لا

و :

(١٣) أســـرع وسِـــرْ طـــالبَ المعـــالي
بكـــلّ وادٍ وكـــلّ مَهْمَـــهْ
وإن لحـــا عـــاذلٌ جهـــولٌ
فقـــل لـــه يـــا عـــذولُ مَـــهْ+ مَـــهْ

و :

(١٤) فَهِمْتُ كتـــابـــكَ يـــا سيـــدي
فَـهِمْتُ ولا عجب أن أهيمـــا

و :

(١٥) عضّنـــا الـــدهـــرُ بنـــابِـــهْ
ليت مـــا حـــلّ بنـــا+ بِـــهْ

و :

(١٦) لا تَعـــرِضَنَّ على الـــرواة قصيـــدةً
مـــا لم تبـــالـــغْ قبـــلُ في تَهْـذِيبِهـــا
فمتىٰ عـــرضت الشعـــرَ غيـــرَ مهـــذّبٍ
عَـــدُّوهُ منـــك وســـاوســـاً تَهْـذِيْ+ بِهـــا

و :

(١٧) أمَلِي اليـــــك سَـــــأنْتَهِيْ
ضنّــــاً بـــــروحِيَ أنْ+ تَهِيْ
دنيـــايَ لـــذّةُ ســـاعـــةٍ
وعلى الحقيقـــــةِ أنْتَ+ هِيْ

و :

(١٨) أقــول لعبــدِ الله لمّــا سقــاؤنــا
ونحنُ بــوادي عبــدِ شمسٍ وَهَىْ+ شِمِ

و :

(١٩) إنّمــا نقــرأ مــا ينفعنــا
فهلمّــوا واقــرأوا مــا عنــدنــا
إن مــا نقــرأ مــا ينفعنــا
فلنــدعــه إن أردنــا سعــدنــا

والذي جعل العلماء يسمّون هذه السكتة صويتة (phoneme) مع أنها عدم ، أن الصويتة في التشكيل تمييزية ، فالذي ميّز لفظة باب عن لفظة ناب صويتتا الباء والنون ، والذي ميّز معنى السؤال عن الراقي في : ﴿ من راق ﴾ عن احتمال المعنيين ، هو السكتة ، فمهمة السكتة اذن في مثل هذه المواضع لا تختلف عن مهمة أي صويتة اخرى ، والفرق بينها وبين الصويتات المنطوقة الاخرى ان صويتة المفصل لا تدخل في تركيب المقطع ، فلا تسهم في تشكيل قاعدة للمقطع أو قمة ، بل المقاطع لا تختلف سواء وجدت السكتة أم لم توجد ففي لفظ ﴿ من راق ﴾ مثلًا نكون أمام مقطعين في الوقف ، الأول : طويل مغلق ، والثاني : مديد ، سواء أدغمنا النون في الراء ، أم سكتنا مظهرين صوت النون ، أي :

/ م ـَـ ر / ر ـَـً ق / أو : / م ـَـ ن+ / ر ـَـً ق /

وينبغي أن يلاحظ ان السكتة في (صويتة المفصل) لا تنفك عن التنغيم والنبر ، وهما في العربية اليوم عادتان نطقيتان تتأثران كثيراً باللهجات المحلية[٢٦] . على ان السياق يمثل عاملًا حاسماً في بيان صويتة المفصل ، ولا سيما عندما تكون السكتة مخفاة فتكون مدة السكت من الضآلة بحيث لا تكاد تُستَشعَر كما في نحو : (لقمة تكفيني الى يوم تكفيني) وقد تقدم الكلام عليها . فالتمييز في مثل هذا منحصر في المعنى المدرَك من السياق .

فإن قيل : لِمَ لم يُعَدَّ السياق في نحو هذا مندرجاً في الصويتة غير المقطعية كما عدّت صويتة المفصل ؟ قلنا : القياس مع الفارق ، ذلك ان الصويتة المقطعية لها

---

٢٦ ـ انظر : مناهج البحث في اللغة ، د . تمّام حسّان ، طبعة المغرب ١٩٧٩ م ، ص ١٩٧ .

موضع يمكن أن يشار اليه في السلسلة المنطوقة ، كما نشير الى موضع كل من الكاف والضمة والتاء والكسرة والباء والفتحة في لفظ (كتب) ويتضح ذلك في الكتابة الصويتة :

/ ك ـُـ / ت ـِـ / ب ـَـ / ، وصويتة المفصل وهي صويتة ليست مقطعية ، كما تقدم ، يمكن أن يشار الى موضعها في السلسلة المنطوقة وإن كانت عدماً ، إلا انه عدم له موضع معلوم كما في قوله :

(١٤) فهمتُ كتابك ... فـهمت ... أي :

/ ف ـَـ + / هـ ـِـ م / تـ ـُـ / حيث تحدد موضع السكتة على قمة المقطع الأول من لفظ : (فهمت) . وفي قوله :

(١٨) .... ونحن بوادي عبد شمس وهىٰ شِمِ

/ و ـَـ / هـ ـًـ + / ش ـِـ / م ـِـ / حيث نبه على السكت على قمة المقطع الثاني من (وهىٰ شِمِ) . وفي قوله :

(١٣) .... يا عذولُ مَهْمه

/ م ـَـ هـ + / م ـَـ هـ / حيث كانت علامة السكت على القاعدة الثانية للمقطع الأول . وهكذا قل عن سائر مواضع السكت في الأمثلة التي أوردناها ، أما السياق فقائم على العلاقات الدلالية بين الوحدات الدلالية الصغرى ، ولا يمكن أن يشار الى موضع بعينه يكون سبباً في افتراق دلالتين كما هو الحال في الصويتة المقطعية أو في الصويتة غير المقطعية ، ومنها صويتة المفصل .

جوانب من الدرس الصوتي
عند الفارابي الفيلسوف

الفارابـــــي :

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طَرْخان ، ولد في فاراب عام ٢٦٠ هـ ، وبها نشأ ، وهي بلدة على نهر جيحون كما ذكر ياقوت[١] ووافقه الزركلي[٢] ، وفي القاموس المحيط : (ناحية وراء نهر سيحون ، أو هي بلد أُترار)[٣] وفي التاج : (ناحية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك ، أو هي بلد أُترار ـ بالضم ـ وهي قاعدة بلاد الترك ، وهو الصحيح المشهور)[٤] .

وسواء أكانت وراء نهر سيحون أو على نهر جيحون أو بلد أترار قاعدة بلاد الترك ، فالذي لا شك فيه انها بلدة من بلاد الأتراك .

وقد كان أبو نصر من هذه البلدة التركية اللسان (وتنقلت به الأسفار الى أن وصل الى بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي ، فشرع في اللسان العربي فتعلمه وأتقنه غاية الاتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة)[٥] .

(ولم يزل أبو نصر ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم [يعني المنطق] والتحصيل له الى أن برز فيه وفاق أهل زمانه ، وألّف بها معظم كتبه ، ثم سافر منها الى دمشق ولم يقم بها ثم توجه الى مصر ... ثم عاد الى دمشق وأقام بها ، وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان فأحسن اليه)[٦] .

---

١ ـ معجم البلدان ، ٤ : ٢٢٥ .

٢ ـ الاعلام ، ٧ : ٢٠ .

٣ ـ القاموس المحيط مادة (ف ر ب) ، ١ : ١١٢ .

٤ ـ تاج العروس مادة (ف ر ب) ، ٣ : ٥٠٤ .

٥ ـ وفيات الاعيان ، ٥ : ١٥٣ .

٦ ـ م . ن ، ٥ : ١٥٥ .

وأغلب الظن ان ابن خلكان لم يكن يريد بقوله : (فشرع في اللسان العربي ...) انه تعلم العربية في بغداد وانما يريد اتقان العربية وعلومها ولا سيما النحو . لأن التعلم الأولي للعربية كان شائعاً في بلاد الاسلام في ذلك الزمان في المساجد ، وحلقات الدرس فيها ، قبل أن تنشأ المدارس المنفصلة عن المسجد في القرن الرابع[٧] .

معرفته باللغات :

ما ذكره ابن خلكان من معرفة الفارابي (عدة لغات) يؤيده ما نراه في كتبه التي بين أيدينا فمن ذلك مثلًا ما ورد في كتاب الحروف من قوله : (وهو في الفارسية كاف مكسورة حيناً وكاف مفتوحة حيناً ، وأظهر من ذلك في اليونانية (أن) و (أون) وكلاهما تأكيد ، إلا ان (أون) الثانية أشد تأكيداً ...)[٨] ، ومنه قوله : (وقد يلحق في اليونانية شيء طريف وهو أنه قد يكون اسمٌ ما دالًا على مقولة ، ونوع ما مجرد عن موضوعه ، ولا يسمى الموضوع به من حيث يوجد له ذلك النوع باسم مشتق من اسم ذلك النوع بل باسم مشتق من اسم نوع آخر ، مثل (الفضيلة) في اليوناني ، فإن المكيَّف بها لا يقال فيه (فاضل) كما يقال في العربية بل يقال (مجتهد) أو (حريص) ...)[٩] .

ومنه قوله : (... وهي بالفارسية (يافت) وفي السغدية (ڤيرد) يعنون به الوجود والوجدان و (يافته) و (ڤيردو) يعون به الموجود . وفي كل واحد من باقي الألسنة لفظة من نظير ما في الفارسية والسغدية مثل اليونانية والسريانية ...، وهي بالفارسية (هست) وفي اليونانية (أستين) وفي السغدية (أستي) ، وفي سائر الألسنة الفاظ آخر مكان هذه .)[١٠] .

بل انه في كتاب الموسيقى الكبير أثبت بعض الأسماء باليونانية (ولئلا يذهب على الناظر في كتبهم ما يعنون بها فرضنا وتراً خامساً اثبتنا فيه هذه الثلاثة

---

٧ ـ الحضارة الاسلامية ، ١ : ٣٣٦ و ٤٣٤ .

٨ ـ كتاب الحروف ، ص ٦١ .

٩ ـ م . ن ، ص ٨٢ .

١٠ ـ م . ن ، ص ١١١ .

باليونانية ...)[١١] .

وفي موضع آخر قال : واستعملنا في الدلالة على هذه المتوسطات اسماء يونانية ...)[١٢] وكان في كثير من الأحيان يلجأ الى التعريب أو الترجمة (فالنغمة التي تسمى باليونانية ايباطي ماسن وسميناها نحن ثقيلة الأوساط .. فالنغمة التي تسمى باليونانية نيطي ديزيوغمانن وسميناها نحن حادة المنفصلات ...)[١٣] .

فإذا أضفنا الى ذلك قيامه بشرح كتب ارسطو أو اختصارها علمنا ان ما قاله محقق كتاب الحروف من أن معرفة الفارابي باللغات مبالغ فيه[١٤] لم يكن منصفاً .

خلقـــه :

كان أبو نصر متواضعاً في علمه الذي فاق فيه أهل زمانه (يروى عنه انه سئل من أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم ارسطو طاليس ؟ فقال : لو أدركته لكنت أكبر تلامذته)[١٥] . نعم تلميذ وإن كان أكبر التلامذة ، على انه كان (أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه) كما قال ابن خلكان[١٦] .

وكان أيضاً من (أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن ...)[١٧] وقد أجرى عليه سيف الدولة حينما انقطع اليه في دمشق (أربعة دراهم كل يوم فاقتصر عليها .)[١٨] .

ايمانـــه :

تثار الشكوك في أمر كثير من علماء المسلمين الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق أو علم الكلام فمنهم الذين (اذا دُعوا الى الله والرسول وهو الدعاء الى

---

١١ ـ كتاب الموسيقى الكبير ، ص ٣٤٥ .

١٢ ـ م . ن ، ص ٣٨٥ .

١٣ ـ م . ن ، ص ٤٢٤ .

١٤ ـ كتاب الحروف ـ مقدمة المحق ، ص ٤٤ .

١٥ ـ وفيات الأعيان ، ٥ : ١٥٤ .

١٦ ـ م . ن ، ٥ : ١٥٣ .

١٧ ـ م . ن ، ٥ : ١٥٦ .

١٨ ـ الحضارة الاسلامية ، ١ : ٣٤٧ .

كتاب الله وسنة رسوله صدّوا صدوداً وانهم يزعمون انهم انما أرادوا احساناً وتوفيقاً كما يقول كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم : انما نريد أن نحس الاشياء بحقيقتها ... أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة)[١٩] . وقد نقل عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله انه قال : (العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم ، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل : زنديق ، أو رمي بالزندقة ... وقال الامام الشافعي رحمه الله : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)[٢٠] ، فعلة التعزير عند الشافعي رحمه الله الانشغال عن كتاب الله تعالى وسنة نبيّه ﷺ ، ولا شك في أن هذا غير الاتهام بالزندقة .

وفي (قصة الايمان) قال الشيخ نديم الجسر عند الكلام على الرازي والفارابي وابن سينا : (انهم من أعظم المؤمنين بالله ، ومن أصدقهم برهاناً على وجود الله ، وكيف لا يكونون كذلك وهم كغيرهم من فلاسفة المسلمين وقد جمعوا الى ايمان الوحي الصادق ايمان العقل السليم نوراً على نور . ولكن هؤلاء أخذوا بترّهات الافلاطونية الحديثة وخيالاتها في مراتب الخلق ووسائطه واختلط عليهم الأمر فحسبوها من كلام ارسطو ، وحال اجلالهم للمعلم الأول دون تمحيصها ، لذلك كان على من يكتب عن هؤلاء أن يمحص أقوالهم ويميز بين ما فيها من الحق النير والباطل المظلم)[٢١] ، وقال عن ابي نصر الفارابي : (من أعظم الفلاسفة المؤمنين ، وأصحهم منطقاً وأصدقهم برهاناً على وجود الله ...)[٢٢] .

وقد ذكر ابن خلكان ان سيف الدولة صلى عليه في وفاته في نفر من أصحابه[٢٣] وما كان ليصلي عليه لو كان مغموزاً في دينه .

والذي وقع لنا التقاطاً من كلام الفارابي يشير الى صدق ايمانه واعتقاده بالشريعة والاخلاص في العمل لله سبحانه ، فمن ذلك قوله : (... إلا أن (أون)

---

١٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٠ ـ ٧١ .
٢٠ ـ م . ن ، ص ٧٢ .
٢١ ـ قصة الايمان ، ص ٥٧ .
٢٢ ـ م . ن ، ص ٥٨ .
٢٣ ـ وفيات الاعيان ، ٥ : ١٥٦ .

الثانية أشد تأكيداً فإنه دليل على الأكمل والأثبت والأدوم ، فلذلك يسمون الله بـ (أون) ممدود الواو وهم يخصون به الله ، فإذا جعلوه لغير الله قالوها بـ (أُن) مقصورة)[٢٤] . ومنه قوله : (ومنه ما شكله شكل مثال أول ومعناه معنى مشتق كقولنا : رجل كرَمٌ ، أي : كريم ، ومنه ما شكله شكل فَعْلٍ ومصدر ومعناه معنى مفعول ، كقولنا : خَلْقُ الله ، أي : مخلوقه)[٢٥] ، ومنه قوله : (والجهاد هو من أجل الله ، والله هو الذي من أجله الجهاد والصلاة وأعمال البر والتمسّك بالنواميس التي يشرّعها)[٢٦] .

شـــيوخه :

أفاد الفارابي جل ما أفاده في المنطق والفلسفة من رجلين ، أولهما : أبو بشر متى بن يونس حيث كان (أبو نصر يحضر حلقته في غمار تلامذته ... قال بعض علماء هذا الفن ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريقة تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر ، يعني المذكور)[٢٧] . وثانيهما : يوحنا بن حيلان ، فقد نقل ابن خلكان عن صاعد القرطبي قوله : (الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة ، أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام أيام المقتدر)[٢٧] .

أما علم النحو فقد أخذه عن ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) فقد ذكر ابن أبي اصيبعة (أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه المنطق)[٢٨] .

ولعل جودة اسلوب الفارابي قد انبثقت من ثقافة في العربية شخصية ، وذلك فضلًا عن دراسة النحو ، لأن هذه الدراسة تؤدي الى صحة التركيب وليس الى جودة الاسلوب في عرض المادة العلمية للفلسفة حيث بذّ (جميع أهل الاسلام وأربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجميع ما يحتاج

---

٢٤ - كتاب الحروف ، ص ٦١ .

٢٥ - م . ن ، ص ٧١ .

٢٦ - م . ن ، ص ١٢٩ .

٢٧ - وفيات الاعيان ، ٥ : ١٥٤ .

٢٨ - عيون الانباء ، ص ٦٠٦ .

اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة ... فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة)[٢٩] . وقد مال بعض الدارسين الى (ان اجتماع الفارابي بابن السراج جرى بعد وفاة المبرد سنة ٢٨٥ هـ)[٣٠] . ومعنى ذلك انهما كانا في حدود الخامسة والعشرين من أعمارها فالفارابي ولد عام ٢٦٠ هـ . وابن السراج ـ على ما اختاره محقق كتاب الاصول ـ ولد في العام نفسه[٣١] .

وفاتـــــه :

توفي أبو نصر في دمشق سنة ٣٣٩ هـ وقد ناهز الثمانين وصلى عليه سيف الدولة الحمداني في نفر من أصحابه (ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير رحمه الله)[٣٢] .

آثاره :

ذكر له مُصدّر كتاب الموسيقى الكبير سبعة وثلاثين كتاباً ثم قال : (وأكثر الكتب التي ألّفها الفارابي إما انها فقدت أو انها لا تزال في بعض الخزائن والمكتبات ، والمعروف منها الى الآن قليل اذا قيس بمجموع ما كتبه في شتى العلوم والفنون)[٣٣] وفي الاعلام ذكر الزركلي أن (له نحو مئة كتاب)[٣٤] وذكر مما طبع منها : الفصوص ، واحصاء العلوم والتعريف باغراضها ، واداء أهل المدينة الفاضلة ، والموسيقى الكبير ، وجوامع السياسة ، وطبع له مما لم يذكره الزركلي أيضاً كتاب الحروف بتحقيق محسن مهدي وشرح فن الشعر لارسطو ضمن كتاب (فن الشعر ـ لارسطو) بتحقيق د . عبدالرحمن بدوي ، وشرح كتاب ارسطو في العبارة بتحقيق ولهلم كوتش وستانلي مارو .

---

٢٩ ـ وفيات الاعيان ، ٥ : ١٥٦ .
٣٠ ـ كتاب الحروف ـ مقدمة المحقق ، ص ٤٥ .
٣١ ـ كتاب الاصول ـ مقدمة المحقق ، ١ : ١٤ .
٣٢ ـ وفيات الاعيان ، ٥ : ١٥٦ .
٣٣ ـ كتاب الموسيقى الكبير ـ التصدير ، ص ٧ ـ ٨ .
٣٤ ـ الاعلام ، ٧ : ٢٠ .

جوانب من دراسته الصوتية

كان لعناية الفارابي بكتب أرسطو الأثر الكبير في دراسته الصوتية ، حيث استطاع أن يزاوج بين دراسة الصوت اللغوي القائم على فكرة المتحرك والساكن كما هو عند علماء العربية ، والدرس القائم على فكرة المقطع الصوتي كما هو عند علماء اليونان . وتمكن من خلال ذلك من أن يقدم للقارىء دراسة صوتية نفيسة تتعلق بالمقطع الصوتي في العربية ، والمصوتات الطويلة والقصيرة والعلاقة بينهما ، واسقاط التصور القائل بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه ، والكلام فيما يمكن أن يعد بدايات حسنة لما يسمى اليوم بنظرية الصويتة (الفونيم) ، وكأننا إذ ننظر فيما كتب ننظر في دراسة علمية حديثة وليس في شيء كتب قبل أكثر من ألف عام .

المقطع الصوتي

أبو نصر الفارابي بين علماء العربية أول من وجدنا عنده لفظة مقطع بمعناها الاصطلاحي ، سواء في ترجمته عبارة أرسطو أم في تأليف له مستقل ، فقد قال وهو يشرح كلام أرسطو في كتاب العبارة : (وقوله : فأما المقطع الواحد من مقاطع الاسم فليس بدالٍ لكنه حيئنذ صوت فقط . يريد بالمقطع : مجموع حرف مصوّت وحرف غير مصوت ، فإنه متى أخذ شيء منه جزءاً لاسم مفرد لم يكن دالًا على جزء المعنى الذي دل الاسم على جملته لكنه يكون حينئذ كحرف واحد فلذلك جعله صوتاً فقط .
وينبغي أن يؤخذ هذا على انه جزء بالاضافة الى اسمٍ ما مشارٍ اليه ، فإن كثيراً من أجزاء الاسم ربما كان اسماً مفرداً لم يُقصد به حيث أخذ جزءاً للاسم المفرد أن يكون جزءاً له ، على أنه قد كان اسماً دالًا ، مثل قولنا : أبكمْ ، في العربية ، فإن قولنا : أبٌ ، وقولنا : كَمْ ، كل واحد منهما دال على انفراده ، لا من حيث هو جزء للاسم ، ولكن يقال في أمثال هذه إن أجزاءها دالة بالعرض ..)[٣٥] .

وتمثيله بكلمة (أبكمْ) يدل على وضوح صورة المعنى الاصطلاحي للمقطع الصوتي عنده ، ذلك أن أرسطو كان يتحدث عن أن المقطع جزء غير دال في الاسم ، وانما الاسم يدل بمجموع مقاطعه ، فلفظة منطلق مثلًا كلمة دالة في العربية وأي

---

٣٥ ـ شرح كتاب ارسطو طاليس في العبارة ، ص ٤٩ .

مقطع من مقاطعها الأربعة / مُنْ طَ لِ قُنْ / غير دال بمفرده بل هو صوت كما قال أرسطو ، ولكن الفارابي يلتفت الى ظاهرة مهمة في اللغة وهي أن كثيراً من الاسماء يمكن أن يكون جزء منها دالًا ولكن دلالته ليست جزءاً من دلالة الاسم كله وانما هي دلالة عارضة بالتقسيم المقطعي . وقد مثل لذلك بكلمة عربية من مقطعين كلاهما دال بمفرده ولكنهما بمجموعهما يدلان على غير ما يدل عليه كل منهما منفرداً ، وهذا يعني ان الكلمة لم تركب منهما بالنظر الى دلالة كل منهما وانما جاءت دلالتهما عارضة في تلك التجزئة ، فالمقطع الأول : أبْ . مقطع طويل مغلق وهو كلمة دالة عند الوقف ، تقول : هذا أبٌ يا فتى ، فإذا وقفت قلت : هذا أبْ بالسكون ، والمقطع الثاني : كمْ ، مقطع طويل مغلق أيضاً وهو اسم استفهام مبني على السكون . ويلاحظ ان الفارابي جزّأ الكلمة الى مقطعين في حالة الوقف .

وفي موضع آخر حيث كان يتكلم على المناسبة الطبيعية بين الدالّ والمدلول فيما يراه قوم قال : (وذلك أنهم يقولون إن كل لفظة دالّة فينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه ، ومعرّفة بطبعها لذات ذلك الشيء أو لعرض يكون علامة للمدلول عليه خاصة وتكون اللفظة بطبعها محاكية . مثل قولنا : هدهد للطائر الذي يحاكي هذه اللفظة صوته الخاص به . ومثل العقعق ومثل خرير الماء .

وربما لم تكن اللفظة بأسرها محاكية ولكن بعض أجزائها ، مثل زُنْبور وطُنبور ، فإن المقطع الأول من زُنبور يحاكي زميمه اذا طار ، وطنبور يحاكي الجزء الأول من هذه اللفظة صوت الآلة ، وربما كان حرف واحد من حروفه محاكياً له أو لعرض من أعراضه)[٣٦] .

فالمقطع الأول من زنبور (زُنْ) وهو مقطع طويل مغلق هو الذي يحاكي صوت الزنبور عند طيرانه ، وكذلك المقطع الأول من طنبور الذي هو (طُنْ) وهو مقطع طويل مغلق أيضاً ، وسماه هنا جزءاً ، هو الذي يحاكي صوت تلك الآلة عند الضرب عليها .

هذا في بعض ما كتبه الفارابي من الترجمة ، أما في التأليف فقد وجدنا له كلاماً مفصلًا في كتابه الموسيقى الكبير يتناول الصوت اللغوي الانساني الدال ،

---

٣٦ ـ م . ن ، ص ٥٠ .

والمقطع الصوتي بما يظهر قدرته على الافادة من فكرة المقطع في دراسة اوزان الشعر ، وحسن تصرفه بالمصطلح واطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت قصير ، والمقطع الطويل على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت طويل ، واستعمال كلمة حرف بما يقابل مصطلح الصويتة عندنا (الفونيم) وغير ذلك من مسائل الدرس الصوتي الحديث المهمة .

فالصوت عنده يمكن أن يكون صوتاً انسانياً كما يمكن أن يكون صوتاً حيوانياً .

والصوت الانساني يمكن أن يكون صوتاً ساذجاً غير متشكل ، كما يمكن أن يكون صوتاً لغوياً يفاد منه في تشكيل الالفاظ اللغوية (فإن الانسان وسائر الحيوان المصوّتة لها بالطباع في كل حال من أحوالها اللذيذة أو المؤذية نغم تستعملها ، وهذه سوى الأصوات التي يستعملها الحيوان علامات يؤذن بها بعضها بعضاً بأمر من الامور .

وأكثر هذه هي في الانسان ، وهي الاصوات التي يركب الانسان منها الالفاظ ، وهذه خاصة بالانسان .

والأصوات والنغم التي يستعملها الحيوان عند الانفعالات الحادثة فيها ليست هي التي يستعملها الانسان علامات في الدلالة على الامور ، أما تلك فهي بمنزلة الأصوات والنغم التي تسمع من الحيوان والانسان عند طربها ، فإن في طباع الحيوانات والانسان اذا طربت أن تصوّت نحواً ما من التصويت ، وكذلك اذا لحقها خوف صوتت صنفاً آخر من التصويت ، والانسان اذا لحقه أسف أو رحمة أو غضب أو غير ذلك من الانفعالات صوّت انحاء من الاصوات مختلفة)[٣٧] .

ومن هنا جاء كلامه في موضع آخر في الأصوات الانسانية التي يركب منها الانسان الالفاظ وهي كما قال آنفاً خاصة بالانسان : (ومن فصول الاصوات الفصول التي بها تصير الأصوات حروفاً)[٣٨] . فالصوت قبل أن يصير حرفاً لا شأن له باللغة الانسانية المكونة من الالفاظ الدالّة ، وهذا يضع أيدينا على براعم البدايات الاولى لما سميّ في زماننا بنظرية الصويتة (الفونيم) .

---

٣٧ - كتاب الموسيقى الكبير ، ص ٦٣ - ٦٤ .

٣٨ - م . ن ، ص ١٠٧٢ .

والصويتات التي هي مادة المقاطع ، أو ما عبّر عنه بالحروف ، قسمان : حروف مصوتة وحروف غير مصوتة ، ولا ثالث . والحروف المصوتة قسمان : حروف مصوتة قصيرة ، أو قل صويتات (فونيمات) مصوتة قصيرة ، وحروف مصوتة طويلة ، واطلاق مصطلح الحرف على المصوتات القصيرة دليل آخر على ان عبارة الفارابي تدل على تبصّره بفكرة الصويتة (الفونيم) : (والحروف منها مصوّت ومنها غير مصوت والمصوتات منها قصير ومنها طويلة ، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات)[٣٨] . فما تسميه العرب الحركات هو في حقيقته حروف مصوتة قصيرة شأنها اذن شأن سائر المصوتات الطويلة في الحرفية (الصويتية) ، والمصوتات كلها قسيمة غير المصوتات في الحرفية (الصوَيْتِيّة) ، فغير المصوّتة بأنواعها المختلفة ، والمصوّتة القصيرة والطويلة بأنواعها المختلفة هي حروف اللغة ، بالمعنى الصويتي (الفونيمي) الذي أراده هنا من لفظة الحرف .

وقد آثرنا قبل المضي في تحليل نص الفارابي في هذا الموضع وقد رأينا أهميته ، أن نضعه كاملًا بين يدي القارىء ـ على ما فيه من طول ـ لأن ذلك أدعى الى استحضار المادة الصوتية التي فيه .

قال : (ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصير الاصوات حروفاً . والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت . والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة ، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات .

والحروف غير المصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم ومنها ما لا يمتد بامتدادها ، والممتدة مع النغم هي مثل اللام والميم والنون والهمزة والعين والزاي ، وما أشبه ذلك . وغير الممتدة مثل التاء والدال والكاف ، وما جانس ذلك .

والحروف الممتدة بامتداد النغم منها ما يبشّع مسموع النغم اذا اقترنت بها مثل العين والحاء والظاء ، وما أشبه ذلك ، ومنها ما لا يبشّعه وهي هذه الثلاثة اللام الميم والنون ، فاللام من بينها تمتد وإن لم يسلك الهواء في مقعّر الأنف ، والميم والنون لا يمتدان إلا أن يسلك الهواء في الأنف .

وجل النغم الانسانية فإنما تسمع مقترنة ببعض المصوتات أو ببعض ما هو ممتد من غير المصوتات ، ولنرفض من الممتدة التي هي غير مصوتة ما يبشّع مسموع النغم ولا نستعملها مقرونة بنغمة أصلًا ، ولنأخذ منها اللام والميم والنون فقط .

والمصوتات الطويلة منها أطراف ومنها ممتزجة عن الأطراف ، والأطراف ثلاثة : إما الطرف العالي وهو الألف ، وإما الطرف المنخفض وهو الياء ، وإما المتوسط وهو الواو . والممزوجة إما ممزوجة من الألف والياء ، وإما من ياء وواو ، وإما من ألف وواو . وكل واحد من هذه الممتزجة إما مائلة الى أحد الطرفين أو متوسطة غير مائلة ، والمائلة إما الى هذا وإما الى ذاك . ولما كانت المصوتات الممتزجة بالجملة ثلاثة ، واصناف كل واحد منها ثلاثة ، صارت جملتها تسعة . وقد يمكن أن ينقسم كل واحد من هذه ، غير ان مسموعات أقسامها تتقارب تقارباً لا يميز السمع بين فصولها ، ولذلك ينبغي أن يقتصر منها على هذه التسعة ، ويُجمع اليها الأطراف الثلاثة فتصير أصناف المصوتات الطويلة المنفصلة بفصول بينة في السمع اثني عشر مصوّتا .

ويجمع الى هذه من غير المصوتات الممتدة تلك الثلاثة التي لا تبشّع مسموع النغم ، فتكون جميع الحروف التي تساوق النغم وتقترن بها ولا تنفك منها نغمة انسانية وتستعمل استعمالاً سَلِساً وتبين بياناً غير مستكره وتُحس حساً غير مستبشع خمسة عشر حرفاً .

وأما المصوتات القصيرة فإنها لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها ، فإذا ساوقت النغمة امتدت حتى لا يُفرَق بينها وبين الطويلة .

وكل حرف غير مصوت أُتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير ، والعرب يسمونه الحرف المتحرك ، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات .

وكل حرف لم يتبع بمصوّت أصلًا وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن .

وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل .

وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن فإن العرب يسمونه السبب الخفيف . وكل حرف متحرك اتبع بحرف متحرك فإنهم يسمونه السبب الثقيل ، والسبب الثقيل متى اتبع بحرف ساكن سموه الوتد المجموع ، لاجتماع المتحركين فيه ، والسبب الخفيف متى اتبع بحرف متحرك سموه الوتد المفروق لافتراق المتحركين فيه بالساكن المتوسط ، والسبب الخفيف متى اتبع بحرف ساكن سمي الوتد المفرد ، لانفراد المتحرك فيه . والسبب الثقيل متى اتبع بمتحرك فلنسمه نحن السبب المتوالي

لتوالي المتحركات الثلاثة فيه .

وكل مقطع طويل فإن قوته قوة السبب الخفيف ، فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة ، وكل ما لحق الاسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة .

وسائر ما يركب تركيباً أزيد مما عددناها فإن جميعها مركبة إما عن أسباب وإما عن أوتاد وإما عنهما جميعاً .

وكل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نَقرة تامة تعقبهما وَقفة ، وكذلك كل مقطع طويل)[٣٩] .

فالتصويت له شأن بامتداد النغم في الموسيقى ومن أجل ذلك نجده يذكر أن الذي يمتد به النغم المصوتات الطويلة ، أما المصوتات القصيرة فلا يمتد بها النغم إلا اذا طال بها الصوت وحينئذ تنتقل الى مصوتات طويلة (واما المصوتات القصيرة فإنها لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها فإذا ساوقت النغمة امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة) . وانظر الى قوله : (امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة) كيف تجاوز باحساس صوتي سليم ما يدعيه أهل اللغة من أن الحركة اذا مُدّ بها الصوت تولد من بعدها حرف من جنسها ، وهو أمر لو قال به لزعم أن المصوت القصير يمكن أن يتبعه مصوت آخر ، ولأدى ذلك الى القول بامكان وجود قمتي اسماع في المقطع الواحد ، وهذا لا يكون ، كما سيأتي .

وكلامه على القسمة الحاصرة للاصوات اللغوية حملته على أن يجعل الحديث عاماً في اللغات الانسانية غير خاص بالعربية ومن هنا جاء كلامه على الصويتات (الحروف) غير المصوتة التي تمتد مع النغم والتي لا تمتد والتي يمكن أن تمتد ولكنها تُبَشِّع النغم ، وهو في ذلك يشير الى ما اصطلح عليه أهل اللغة بالرخو والشديد وما بين الشدة والرخاوة أو المتوسط . فالصوَيتات الرخوة هي التي يمتد بها الصوت وتكون بتضييف في جهاز النطق في نقطة ما كالسين والفاء ، والشديدة هي التي تكون عن حبس في جهاز النطق في نقطة ما لا يُسمح للصوت معه بالامتداد كالدال والباء ، أما التي بين الشدة والرخاوة أو المتوسطة فهي اللام والنون والميم والراء والعين ، والثلاثة الأولى جعلت متوسطة لأن الصوت يمتد بها من غير

---

٣٩ - م . ن ، ص ١٠٧٢ - ١٠٧٩ .

مخرجها ، والراء لما فيها من تردد ، والعين لجري الصوت بها بعسر ، (إن الميم والنون يجري الصوت بهما فيمكن أن يوصفا على هذا بأنهما رخوان ، ولكن الصوت لا يجري بهما من الفم وإنما من الأنف على شكل غنة ، وهو خلاف ما يجري به الصوت مع بقية الاحرف ، فحقيقة الأمر أن الصوت لم يجر بهما من مجراه كما في بقية الحروف ، فيصح على هذا وصفهما بأنهما شديدان ، فلما تردد النظر فيهما بين هذا وذاك جُعلا بين الشدة والرخاوة . كذلك اللام والراء إذ لولا انحراف اللسان باللام ، وتردده بالراء ما جرى بهما الصوت ، فهما بين الشدة والرخاوة)[٤٠] . وأما العين فإنها (يمكن أن يجري الصوت معها عند الوقف عليها إلا أن في ذلك مشقة وكلفة .. ليس بسهولة جريه في الحاء ، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة ...)[٤٠] .

فهذه الصويتات اذن بين الشديدة والرخوة ، أما الصويتات الشديدة في العربية غير المصوتة فقد جمعت بقولهم : أجدت طبقك . وما سوى هذين أعني المتوسطة والشديدة رخو[٤١] .

ويلاحظ ان الفارابي أصاب في التمثيل لغير الممتدة بالتاء والدال وبالكاف وما جانس ذلك . فهذه كلها من الصويتات الشديدة أو (الانفجارية) ، وأصاب الى حدّ ما في ذكر الصويتات الممتدة اذا نظرنا الى فكرة امتداد الصوت بها وإن كان الامتداد من غير مخرجها . واسقطنا لذلك ما سمي بالمتوسطة ، أقول أصاب الى حدّ ما لأن اللام والميم والنون مما يجري به الصوت وإن كان من غير مخرجه ، فحقيقة حالها أنها ممتدة . والزاي والحاء والظاء يمتد بها الصوت من مخارجها ، فهي ممتدة ، ولكن المشكل في العين التي أوردها مرتين ، وفي الهمزة . أما العين فقد جعلها أهل اللغة كما تقدم في الاصوات التي بين الشديدة والرخوة ، وحقيقتها انها شديدة لأنها تكون عن غلق تام ليس فيه احتكاك[٤٢] ، ولكن خروجها من منطقة الحلق اللحمية يسمح للهواء الضاغط بقوة بتجافي اللحم عند نقطة المخرج والاندفاع باتجاه الفم اذا تكلف الناطق ذلك ، فهي ليست كالدال مثلًا حيث لا يتمكن الهواء عند نقطة مخرجها من ان يجافي بين أول اللسان والنطع ، وليست كالفاء مثلًا حيث

---

٤٠ - الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني ، ص ٣١٧ .

٤١ - انظر الكتاب ، ٢ : ٤٠٦ .

٤٢ - انظر التشكيل الصوتي ، ص ٩٧ .

يجري الهواء بالصوت رخاء بين باطن الشفة واطراف الثنايا ، ومن ثم جعلت في المتوسطة .

فهل كان الفارابي يتكلم على مدّ الصوت بالعين مع كل ما في ذلك من كلفة ومشقّة ؟ أم هل كانت العين على أيامه قد بدأت تتحول الى العين الرخوة (الاحتكاكية) التي نسمعها اليوم من بعض العرب[٤٣] ، يقوّيه قول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) : (العين .. من الحروف المجهورة الرخوة ، ويقال إن فيها بعض الشدّة)[٤٤]. وقول ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : (كوقفك على العين واحساسك في صوتها بشبه الانسلال من مخرجها الى مخرج الحاء)[٤٥] ، ويضعفه قول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) : (الحروف الرخوة : وهي ما عدا الشديدة ، وما عدا قولك : لم يروعنا)[٤٦] فجعل العين متوسطة .

أم هل أخطأت المطبعة أو الناسخ فأحيلت المعجمة (الغين) الى مهملة (عين) مع ما في مد الصوت بالغين من ثقل يبجشع مسموع النغم .

كل ذلك ممكن وإن كنت أميلَ الى هذا الأخير لسهولته وكثرة وقوعه سواء في النسخ أم في الطباعة .

أما الهمزة وذكرها في ما يمتد مع النغم فأمر ليس من السهل علاجه لأن الهمزة صويتة (فونيم) تحدث بانطباق الوترين انطباقاً تاماً ثم انفراجهما ، ولا يسمح الانطباق للهواء بأن يمتد بالصوت ، فهي صوت شديد (انفجاري) ولا نعلم خلافاً في ذلك لا في القديم ولا في الحديث ، فجعله الهمزة في الممتدة مع النغم مشكل .

نعم قد يقال إنه أراد بالهمزة الألف لاختلاط اللفظين عند بعض أهل العلم قديماً ، ففي المعرّب للجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) مثلًا : (باب الهمزة التي تسمى الألف)[٤٧] أورد فيه : ابراهيم واسماعيل واسحاق ... الخ . ولكن يبعد هذا المذهب

---

٤٣ ـ انظر الاصوات اللغوية ص ٨٨ ، وعلم اللغة للسعران ص ١٧٨ ، ومناهج البحث في اللغة ص ١٣٠ .

٤٤ ـ الرعاية ، ص ١٦٢ .

٤٥ ـ شرح المفصل ، ١٠ : ١٢٨ .

٤٦ ـ التمهيد في علم التجويد ، ص ٩٨ .

٤٧ ـ المعرّب ، ص ٦١ .

أعني القول بأنه ذكر الهمزة وهو يريد الألف انه كان يتكلم على الحروف غير المصوتة (والحروف غير المصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم .. والنون والهمزة ..) والألف من الحروف المصوتة فلا مجال لخلطه بغير المصوتة ، فلا يشفع له هذا الاعتذار .

وقد يقال : انه أراد بامتدادها مع النغم امتداد الصوت بالحركة التي بعدها ، وهذا غير مرض لأمرين : الأول : ان الكلام على امتداد النغم بهذه الحروف ساكنة كما في اللام والميم والنون ، أي أن تكون هي ممتدة وليس الحركة التي بعدها . الثاني : أن مدّ الصوت بالحركة وهي مصوت قصير يؤدي الى مصوت طويل ، وهذا أمر يخرج الحديث من غير المصوتة الى المصوتة ولم يكن الكلام بسبيله .

والحاصل ان الحروف غير المصوتة التي يمتد بها النغم ويستحسن ثلاثة هي اللام والميم والنون ، أما المصوتة فهي اما طويلة وإما قصيرة ، فالطويلة يمتد بها النغم باستحسان ، والقصيرة لا يمتد بها النغم ما دامت على قصرها .

وقد أدرك الفارابي ان امتداد الصويتة بالنغم أمر غير التقسيم المقطعي للألفاظ ، فالمصوتات القصيرة تشكل مع غير المصوتات التي تسبقها مقاطع قصيرة ، وهي مع ذلك لا يمتد بها النغم ، أما غير المصوتات الثلاثة التي تمتد مع النغم فإنه لم يتكلم عليها في القسمة المقطعية سواء أكانت ممتدة أم غير ممتدة ، وهو أمر صحيح لأن غير المصوت مما يوقف عليه يشكل القاعدة التالية لقمة المقطع المصوتة ولا شأن لامتداد الصوت به أو عدم امتداده في التقسيم المقطعي .

وفي كلامه على المصوتات في التشكيل المقطعي أمران ينبغي الوقوف عندهما : الأول ؛ كلامه على أنواع المصوتات الطويلة . والثاني : كلامه على مدّ الصوت بالمصوتات القصيرة وما ينجم عنه .

أنواع المصوتات الطويلة

درس الفارابي المصوتات الطويلة دراسة تطبيقية وصفية ومنطقية رياضية في الوقت نفسه وجعل كلامه عليها يعم ما يعرفه من لغات ولم يجعله خاصاً بالعربية ، فكان الجمع الحاصر لها لا تكاد لغة انسانية تخرج عنه ذلك ان (المصوتات الطويلة منها أطراف ومنها ممتزجة عن الأطراف ... الممتزجة بالجملة ثلاثة وأصناف كل واحد منها ثلاثة ، صارت جملتها تسعة ، وقد يمكن أن ينقسم كل واحد من هذه غير أن

مسموعات أقسامها تتقارب تقارباً لا يميز السمع بين فصولها .. ويجمع اليها الاطراف الثلاثة فتصير أصناف المصوتات الطويلة المنفصلة بفصول بينة في السمع اثني عشر مصوتاً ، ويجمع الى هذه من غير المصوتات الممتدة ، تلك الثلاثة التي لا تبشّع مسموع النغم ، فتكون جميع الحروف التي تساوق النغم وتقترن بها ولا تنفك منها نغمة انسانية .. خمسة عشر حرفاً) .

ومعلوم ان الذي نجده في العربية مما ذكره من المصوتات الطويلة الاثني عشر ستة : الواو والياء المدّيتان والألف ، وهي ما سماه الأطراف ، ثم الممزوجة من الالف والياء وهو صوت الامالة في نحو الهدى (وبذلك قرأ حمزة والكسائي في كثير من القرآن نحو : الهدى ، والعلا ، وأسارى ... كانت الألف الممالة الفاً يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء)[٤٨] . وقد عبّر الداني عن ذلك بقوله بين اللفظين يعني بين لفظ الألف ولفظ الياء حيث قال : (يقرأون كل ما كان من ذوات الياء من الاسماء والأفعال في رؤوس الآي وفي غيرها بين اللفظين ، نحو قوله الهدى ، والعمى ، وكسالى ، وأسارى ...)[٤٩] وهو الصوت الذي نسمعه اليوم من العامة في غير الفصيح اذا ارادوا نطق كلمة فصيحة فيها مزدوج هابط مكون من فتحة وياء غير مدية مثل كلمة بيت ، فالصوت اللهجي الذي بين الباء والتاء هو صوت الامالة ، يقابله في الانكليزية الصوت الذي بين الباء والراء في كلمة bird / b rd /[٥٠] ، مثلًا . ثم الممزوجة من الألف والواو وهو صوت التفخيم في نحو : الصلاة (وهي ألف يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو ... وبذلك قرأ ورش عن نافع في : الصلاة ، ومصلّى ، والطلاق ، وبظلّام ، وشبهه ، وذلك فاش في لغة أهل الحجاز ...)[٥١] ، وهو الصوت الذي نسمعه في اللهجات العامية بدل المزدوج الهابط الفصيح المكون من فتحة وواو غير مدية في نحو فَوْق ولَوْم[٥٢] فالصوت الذي بين اللام والميم في النطق اللهجي هو صوت التفخيم ، وكذلك الذي بين الفاء والقاف في كلمة فوق بالصورة اللهجية ، وهو الصوت

---

٤٨ ـ الرعاية ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٤٩ ـ التعريف ، ص ٢٦١ .

٥٠ ـ Longman Dictionary P.P. 93 , 142

٥١ ـ الرعاية ، ص ١٠٩ .

٥٢ ـ أصوات العربية ، ص ٧٥ .

الذي نسمعه بالانكليزية بين الكاف واللام مثلًا في : call / l : k /[٥٠] أما الممزوجة من الياء والواو فلعله صوت الاشمام حيث تضم شفتيك وأنت تنطق الياء : (فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك لأن ضمّك شفتيك كتحريكك بعض جسدك)[٥٣] . وهذا (كما قالوا للمرأة اغزُي فأشمّوا الزاي ليُعلموا أن هذه الزاي أصلها الضم)[٥٤] . وفي (Standard French Grammar) انه ليس من أصوات الانكليزية وانما هو من أصوات اللغة الفرنسية ، فقد قيل عن الرمز الصوتي (ɥ) : (: ليس له ما يقابله في الانكليزية ، ويكون بأن يتخذ اللسان فعلياً الوضع الذي يكون فيه عند نطق الياء المدية[*] يصحبه استدارة الشفتين مع شدّ قوي لهما ، وأمثل ما يُحصل فيه على الصوت أن يُنطق بصوت الياء المدية مصحوباً باستدارة الشفتين ، أو أن تستدير الشفتان أولًا ، ويتخذ اللسان وضع النطق بالياء المدية)[٥٥] وكان في موضع آخر[٥٦] قد مثل لهذا الصوت بكلمة / my : z / muse الفرنسية التي تعني ملهمة الشعر عند اليونان ، ولا يبعد أن يكون أصل الصوت يونانياً اطلع الفارابي عليه .

لست أشك في ان كلامه على المصوتات الممْزوجة لا يمت بصلة الى الكلام على ما نسميه اليوم المزدوج (diphthong) ، لأن هذا إما أن يكون من مصوت قصير متبوع بنصف مصوت (semi vowel) له قيمة صامت في المقطع إذ يشكل القاعدة الثانية للمقطع حيث يشكل المصوت القصير القمة وذلك في المزدوج الهابط نحو سوف ، وليس . وإما أن يكون من نصف مصوت ، يشكل قاعدة المقطع السابقة للمصوت ، متبوع بمصوت قصير هو قمة المقطع وذلك في المزدوج الصاعد نحو وجد ،

---

٥٣ ـ الكتاب ٢ : ٢٨٣ ، وانظر ابن عقيل ١ : ٥٠٥ حيث ذكر قراءة (قِيل) و (غِيض) بالاشمام .

٥٤ ـ الكتاب ٢ : ٤٠٠ .

* تصرفنا قليلًا في النص للفائدة والأصل : (عند نطق / i / المذكور آنفاً) وكان قد ذكر الرمز / i / في الصفحة نفسها وقال موضحاً ما يرمز اليه (انه كما في كلمة machine) والذي بين الشين والنون هو صوت الياء المدية . واختصاراً لكل ما مرّ آثرنا ما أثبتناه في المتن .

٥٥ ـ Standard French Grmmar P.P. 7-8

٥٦ ـ Ibid P.4

ويجد ، فالمزدوج بنوعيه مركب من صويتتين (فونيمين) ، وكلام الفارابي كان عن المزج لا التركيب ، هذا من ناحية ، من ناحية ثانية ان النغم اذا كان يمكن أن يمتد بسهولة مع المزدوج الهابط ، فإنه لا يمكن أن يمتد مع المزدوج الصاعد لأن (المصوتات القصيرة لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها) . والجزء الثاني من المزدوج الصاعد مصوت قصير ، وكلام الفارابي كان على المصوتات الطويلة الممتدة مع النغم .

وما أشار اليه من امكان انقسام هذه المصوتات (غير ان مسموعات اقسامها تتقارب) يوافق ما عليه الدراسة الحديثة من أن (ما يمكن أن ينطق به الانسان من أصوات اللين يجاوز الخمسين صوتاً ، وإن كان الموجود فعلًا في اللغات المتباينة أقل من هذا العدد كثيراً)[٥٧] .

مدّ الصوت بالمصوتات القصيرة :

الذي عليه علماء العربية ان الحركات ابعاض حروف المد واللين ، وانك إذا مددت الصوت بأي منها نشأ من بعدها الحـرف الذي هي بعضه ، فإذا مددت الصوت بالفتحة نشأ من بعدها ألف[٥٨] ، واذا مددت الصوت بالضمة نشأ من بعدها الواو المدية التي في نحو : يقول . واذا مددت الصوت بالكسرة نشأ من بعدها الياء المدّية التي في نحو نسير . قال ابن جني : (اعلم ان الحركات ابعاض حروف المدّ واللين وهي الالف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الالف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو .. ويدلك على ان الحركات أبعاض لهذه الحروف انك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ...)[٥٩] .

والقول بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه من المسلمات في كتب العربية ، أي ان صويتات (فونيمات) قال مثلًا هي : ق + ـَ + ـَ + ل + ـَ ، وصويتات

---

٥٧ ـ الاصوات اللغوية ، ص ٣٦ .

٥٨ ـ انظر اصوات العربية ، ص ١٨ ـ ٢١ ، لتَبيُّن حقيقة العلاقة في أيامنا بين الفتحة والألف .

٥٩ ـ سر صناعة الاعراب ، ١ : ١٧ ـ ١٨ .

يقول : ي + ـَـ + ق + ـُـ + ـُـُـ + ل ـ ـُـ ، وصويتات نسير : ن + ـَـ + س + ـِـ + ـِـ + ر + ـُـ . ويلاحظ اننا جعلنا رمز الالف / ـًـ / ورمز الواو المدية / ـُـُـ / ورمز الياء المدية / ـِـ / ورمز الياء غير المدّية / ي / لأن قيمتها قيمة صامت ، واذا احتجنا الى الواو غير المدية فسيكون رمزها / و / لأن قيمتها أيضاً قيمة صامت[٦٠] .

وهذا الذي عليه علماء العربية مبني على فكرة أن الحرف إما ساكن وإما متحرك ، وأن الألف حرف ساكن ، والواو المدّية حرف ساكن ، والياء المدّية حرف ساكن ، وأن الفتحة والضمة والكسرة حركات متصلة بالحروف ، حتى اثار بعضهم سؤالًا يتعلق بموضوع الحركة من الحرف أهو قبله أم معه أم بعده ، وانتهى الى كونها بعد الحرف[٦١] .

أما الفارابي فقد تكلم على الحركة والسكون في الحرف ، فاستعمل كلمة الحرف الساكن ، والحرف المتحرك ، ولكنه فيما يبدو لي لم يكن يرى أصوات المد الثلاثة حروفاً بمعنى الحرف الذي يمكن أن يتحرك ويسكن ، بل هي عنده مصوتات طويلة لا تختلف عن الحركات إلا في كون هذه الثانية مصوتات قصيرة . أما من حيث كون كل منها وحدة صوتية صغرى مميّزة في اللفظ (أي : صويتة) فكل منها حرف ، وما سمي بالحركات (المصوتات القصيرة) حروف أيضاً بهذا المفهوم .

فالصويتات (الفونيمات) في العربية قسمان : مصوّتة ، وهي قسمان : قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وطويلة وهي الالف ، والواو المدية ، والياء المدية ، وغير مصوتة وهي سائر حروف الالف باء العربية من الهمزة الى الياء غير المدية (فيها الواو غير المدية وخرج منها الالف في المصوّتة) . وهذه جميعاً يمكن أن تأتي ساكنة أو متحركة ، أي يمكن أن يأتي بعدها مصوت قصير فتسمى متحركة ، كما يمكن أن يأتي بعدها غير مصوت فتسمى ساكنة ، ففي كلمة (ادرسْ) مثلًا جاءت الدال وبعدها مباشرة غير مصوت هو الراء ، فالدال حرف ساكن هنا ، أما الراء فقد فصل بينها وبين السين بمصوت قصير هو الضمة فالراء هنا حرف متحرك لأنها وليها

---

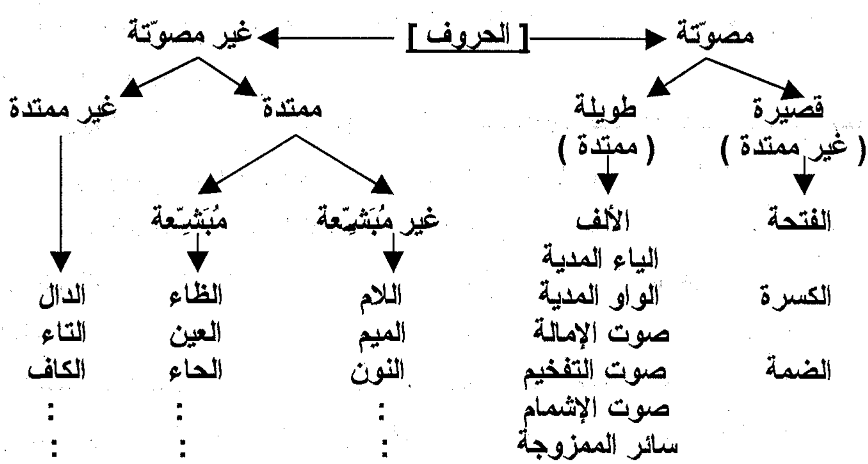
٦٠ ـ انظر جدول الكتابة الصوتية في : أصوات العربية ، ص ١٠٦ .

٦١ ـ انظر سر الصناعة ، ١ : ٢٨- ٣٢ .

مصوت قصير . ولكن المشكل يتجلى في نحو قال : هل القاف حرف ساكن ؟ أم هل هو حرف متحرك ؟ ولكون الألف حرفاً عندهم وهو ساكن قالوا ان القاف هنا متحرك وهكذا جاء قولهم بالفتحة قبل الألف منجياً من التقاء حرفين ساكنين ، ولو قالوا ان الألف ليست حرفاً وانما هي حركة القاف وهي حركة طويلة لكان ذلك المخلص الصوتي الصحيح لهم .

فخروج المصوتات الطويلة من مفهوم الحرف الذي يمكن أن يتحرك ويسكن خطوة مهمة في تحويلها من مفهوم الحروف الى مفهوم الحركات ، وقد كان الفارابي قريباً من التصريح بهذه الحقيقة ، فلفظ الحرف عنده له استعمالان : الأول : ما يقابل عندنا مصطلح الصويتة (الفونيم) وبهذا المعنى جعل المصوتات القصيرة (الحركات) حروفاً .

قال : (والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت ، والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة ... والحروف غير المصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم ومنها ما لا يمتد ...) ولو أردنا أن نضع تشجيراً للنص وقد تقدم مفصلاً من قبل لكان هكذا :



فمثلًا :

الكاف توصف بأنها : حرف + غير مصوت + غير ممتد

والحاء توصف بأنها : حرف + غير مصوت + ممتد + مبشِع

والنون توصف بأنها : حرف + غير مصوت + ممتد + غير مبشِع

والالف توصف بأنها : حرف + مصوّت + طويل + ممتد

والفتحة توصف بأنها : حرف + مصوت + قصير + غير ممتد .

وفي موضع آخر قال : (فمتى اتفق في الالحان الفارغة النغم فبدىء بحروف غير مصوتة أردفت بمصوتات طويلة ، فإن النغمة الفارغة التي تبتدىء مع غير المصوّت تمتد مقترنة بالمصوت الطويل الذي هو رديف غير المصوت ، ومتى كان الذي ردفه مصوتاً قصيراً فإن النغمة التي تبتدىء من غير المصوت إذا أردنا أن نمدها فلا بد من تطويل الحرف القصير ، فيصير ذلك الحرف القصير كأنه طويل . ومتى كان غير المصوت ساكناً وكان غير الثلاثة[٦٢] ، فجعلناه بداية نغمة فلا بد من تحريك ذلك الساكن وتطويل المصوت القصير ...)[٦٣] فأنت تجده في هذا النص قد استعمل كلمة الحرف القصير وكلمة الصوت القصير بمعنى واحد . فالمصوتات القصيرة اذن بهذا الاستعمال حروف .

الاستعمال الثاني : ما يقابل غير المصوت الذي يمكن أن يليه مصوت قصير أو طويل ، وهو كما ذكرنا من قبل كل حروف الالف باء العربية وفيها الياء غير المدية والواو غير المدية ، بجعل الألف همزة في الف باء تاء ، واخراج الألف لأنها مصوت في لام ألف لا . (وكل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير ، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ، وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلًا وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل) .

فالحرف اذن إما أن يكون بمعنى الصويتة وتدخل تحته عندئذ المصوتات

---

٦٢ ـ يعني بالثلاثة : اللام والميم والنون .

٦٣ ـ كتاب الموسيقى الكبير ، ص ١٠٩٨ .

القصيرة والطويلة ، وإما أن يكون بمعنى غير المصوت الذي يمكن أن يقرن به مصوت ، وتخرج منه عندئذ المصوتات القصيرة والطويلة على حد سواء . وانظر الى قوله : (وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلًا وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن) . فالألف في قال مثلًا على هذا ليس حرفاً ساكناً من قبل انه لم يتبع بمصوت أصلًا ولا يمكن أن يقرن به مصوت ، وقل مثل ذلك عن الياء في نحو نسير والواو في نحو نقول . فكل منهما ليس حرفاً ساكناً من قبل انه لم يتبع بمصوت أصلًا ولا يمكن أن يقرن به مصوت .

وكما جعل علماء العربية الحركات قرينة للحروف جعل الفارابي المصوتات القصيرة والطويلة قرينة للحروف ، فأخرج بهذا حروف المدّ من الحرفية وجعلها في الحركات وإن لم يسمها حركات طويلة . فالحرف الساكن عنده إما أن يقرن به مصوت قصير وإما أن يقرن به مصوت طويل ، ولم نر في مذهبه اقتران الحرف الساكن بمصوت قصير يليه مصوت طويل كما كان عليه تصور علماء العربية حين جعلوا المصوتات الطويلة حروفاً ساكنة فأشكل عليهم القاف في مثل قال ونحوه أهو متحرك أم ساكن كما تقدم آنفاً لأن الحرف لا يخلو من احدى هاتين الصفتين ، فإن قالوا ساكن فقد وقعوا في القول بالتقاء الساكنين لأن الألف عندهم حرف ساكن . فلم يملكوا إلا أن يقولوا انه متحرك بالفتحة . وعلى هذا يكون القاف قد قرن به مصوت قصير يتبعه مصوت طويل . وهذا لا يكون في الدرس الصوتي وقد تحاماه الفارابي حين جعل الحرف منحصراً في ثلاث صور فهو إما أن يقرن به مصوت قصير ، وإما أن يقرن به مصوت طويل ، وإما ألا يقرن به مصوت وهو يمكن أن يقرن به .

فالكاف من كتب حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به هو الفتحة فصار كَ ، أو قل : ك + ـَـ ، ومثل ذلك في الاقتران : ت + ـَـ ، وكذلك : ب + ـَـ ، وهي هكذا في التقسيم المقطعي وتأكيده الاقتران نص واضح على العلاقة المقطعية .

والكاف في كاتب حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل هو الالف ، فالمقطع الطويل مكون من كاف وألف ، أو قل : ك + ـًـ . وهذا معناه انه ليس عنده بين الالف والكاف فتحة . وهذا المذهب أيدته الدراسة الصوتية الحديثة ووقفت عنده . لأن المصوت يمثل قمة المقطع (أو نواته) ولا يمكن أن يكون في المقطع أكثر من قمة

واحدة ولذلك كان عدد المقاطع في أي لفظ مطابقاً لعدد المصوتات التي فيه[٦٤] .

ولا شك في أن الفارابي قد أدرك بحسه الموسيقي أنه لا يمكن أن يتوالى مصوتان في المقطع الصوتي ، بل لا يمكن أن يتوالى مصوّتان في السلسلة الكلامية باطلاق لأن المصوتات القصيرة والطويلة تمثل القمم في السلسلة الكلامية ، وغير المصوتات تمثل القواعد ولا يمكن أن تتجاور قمتان من غير أن تفصل بينهما قاعدة ، فكل قمة في مقطع يلزم (أن تكون صوتاً واحداً)[٦٥] .

وهذا الذي انتهينا اليه من كون المقطع الطويل عنده مؤلفاً من حرف غير مصوت يقرن به مصوت طويل وليس بينهما مصوت قصير من جنس المصوت الطويل يوضح قوله : (واما المصوتات القصيرة فانها لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها فإذا ساوقت النغمة امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة) . وتأمل قوله : امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة ، ولم يقل امتدت فنشأ من بعدها حرف حركتها كما قال ابن جني في النص الذي أوردناه آنفاً ، وتأمل قوله أيضاً : (والحروف المتحركة اذا مدت حركاتها أدنى مد .. كانت قريبة من سبب خفيف ...)[٦٦] ويفهم هذا في ضوء قوله المتقدم (وكل مقطع طويل فإن قوته قوة سبب خفيف) . فهذا المد الداخل على المصوت القصير الذي كان يشكل قمة المقطع القصير يؤدي الى جعله مصوتاً طويلًا يمثل قمة المقطع الطويل .

وفي موضع آخر قال : (وحروف القول غير المصوتة إما أن تردف بمصوتات قصيرة ، وإما أن تكون ساكنة وإما أن تردف بمصوتات طويلة)[٦٧] . فهذه قسمة حاصرة ليس فيها أن تردف بمصوت قصير يليه مصوت طويل .

وفي موضع آخر قال : (... وإن لم يردفه مصوت طويل وردفته حركة فينبغي أن تمتد الحركة حتى تصير مصوتاً طويلًا ثم تُمدّ مع النغمة ...)[٦٨] .

وفي موضع آخر قال : (ومتى حركنا الحرف احتجنا الى أن نجعل الحرف

---

٦٤ ـ انظر التشكيل الصوتي ، ص ١٣١ .

٦٥ ـ دراسة الصوت اللغوي ، ص ٢٤٧ .

٦٦ ـ كتاب الموسيقى الكبير ، ص ١٠٨٥ .

٦٧ ـ م . ن ، ص ١٠٩٧ .

٦٨ ـ م . ن ، ص ١١١٤ .

الممتد مع النغمة ممدود الحركة فيصير أحد المصوتات الطويلة)[٦٩] . وقال : (.. وتمتد حركته حتى يصير مصوتاً طويلًا يمتد مع النغمة)[٧٠] .

فهذه النصوص جميعاً تقرر أمراً واحداً هو ان المصوت القصير اذا مدّ به الصوت صار هو مصوتاً طويلًا وهذا ينفي وجود مصوت قصير قبل المصوت الطويل ، وبه يتقدم الفارابي على الدرس الصوتي الحديث بما بينهما من قرون .

صورتا المقطع عنده :

ان تقرير ما تقدم أعني نفي المصوت القصير قبل الطويل يمهد السبيل أمام استئناف الكلام على المقطع الصوتي عنده ونوعي المقاطع التي ذكرها ، فقد كنا ذكرنا في أول كلامنا على المقطع عنده انه أول من رأيناه يستعمل كلمة مقطع بمعناها الاصطلاحي ، مع ان استاذه متّى بن يونس كان قد استعمل كلمة (الاقتضاب) في التعبير عما تعنيه هذه اللفظة حيث قال : (... وأما الاقتضاب فصوت مركب غير مدلول ، مركب من أسطقس مصوّت ولا مصوت ، وذلك ان الـ(ج) والـ(ر) بلا (ا) ليسا اقتضاباً ، إذ كان انما يكون اقتضاباً مع (ا) لكن الـ(ج) والـ(ر) و(ا) هي اقتضاب ...)[٧١] .

ولا شك في أن حداثة المصطلح تؤدي الى تساهل الواضع في استعمال اللفظ بمعناه اللغوي الى جانب استعمال المعنى الاصطلاحي ، وهذا ما وجدناه عند الفارابي ، فنحن نقرأ له في مواضع مما كتب كلاماً في ذكر المقطع بالمعنى الاصطلاحي كما ورد في النصوص المذكورة آنفاً ، ونقرأ له أيضاً كلاماً يستعمل فيه اللفظة على ارادة المعنى اللغوي لا الاصطلاحي ، فمن ذلك مثلًا : (والالحان المسموعة من الآلات منها ما صيغت ليحاكى بها ما يمكن محاكاته من الالحان الكاملة ، أو لتجعل تكثيرات لها وافتتاحات ومقاطع واستراحات اليها في خلال المحاكاة ...)[٧٢] فالمقاطع في هذا النص جمع مقطع ولا يراد به المعنى

---

٦٩ - م . ن ، ص ١١٢٠ .

٧٠ - م . ن ، ص ١١٢١ .

٧١ - كتاب ارسطوطاليس في الشعر ، ص ١١١ .

٧٢ - كتاب الموسيقى الكبير ، ص ٦٨ - ٦٩ .

الاصطلاحي له ، لأن الكلام ليس بسبيله ، بل الكلام على مواضع التصرف بالالحان المسموعة ، والبدايات ، ومواضع القطع والوقف للاستراحة ، فالمقطع هنا اذن يراد به موضع القطع أو الوقف ، وليس الحرف غير المصوّت الذي قرن به مصوت طويل أو قصير ، وهو موافق لما أورده في اللسان إذ قال : (ومقطع كل شيء ومنقطعه : آخره حيث ينقطع ... ومقاطع القرآن : مواضع الوقوف ، ومبادئه : مواضع الابتداء ...)[٧٣] .

ومثل هذا يقال عن قوله : (وما كان من الالحان غير خارج عن العادة فينبغي أن تكون نهاياتها كذلك ، وما كان خارجاً عن العادة وكانت نغمها ممدودة فنهاياتها ومقاطعها ينبغي أن تكون كذلك ، وما كان نغمها قصيرة أو كانت متوسطة فمقاطعها أيضاً كذلك .. وهذه الزيادات قد تزاد في نهايات الالحان اعتماداتٍ ليسهل بها قطع اللحن ...)[٧٤] .

فهذا الاستعمال المشترك للكلمة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي يشير الى ان المصطلح ما زال غضاً طرياً .

وقد ذكر الفارابي نوعين من انواع المقاطع في العربية هما : المقطع القصير ، وهكذا سماه ، والمقطع الطويل المفتوح ، وقد سماه المقطع الطويل ، وأغفل ذكر المقطع الطويل المغلق ، وسائر مقاطع العربية الاخرى . (وكل حرف غير مصوت اتبع بمصوّت قصير قرن به ، فأنه يسمى المقطع القصير ... وكل حرف غير مصوت قرن به مصوّت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل) .

ويبدو انه قد وجه كل همه للعناية بالعلاقة بين المصوّت وُغير المصوّت في بناء المقطع القصير أو الطويل وانحصر في هذه الثنائية ولما وجد السبب الخفيف يشكل نغمة لا تختلف عن نغمة المقطع الطويل ربط بينهما بقوله : (وكل مقطع طويل فإن قوّته قوة السبب الخفيف ...) وبسبب الثنائية التي نظر من خلالها الى المقطع الصوتي لم يخرج على تسمية العروضيين ، وخرج من مصطلحه الجديد الى مصطلحهم بل الى سائر مصطلحاتهم وكأنه نسي فكرة المقطعية ، وصار يتكلم على الأسباب والاوتاد . ولو بقي فيما كان فيه من نظر للألفاظ وفقاً لمقاطعها لقدّم لنا

---

٧٣ ـ اللسان مادة (قطع) ، ١٠ : ١٥١ .

٧٤ ـ كتاب الموسيقى الكبير ، ص ١١٦٦ ـ ١١٦٧ .

دراسة عروضية لأوزان الشعر العربي كان يمكن أن تزاحم ما قدّمه الدرس العروضي الموروث وتجعله في غير الصورة التي هو عليها الى اليوم . هذا على انه كما قدمنا كان قد أدرك العلاقة الثابتة بين المقطع الطويل والسبب الخفيف ونص على ذلك بقوله : (وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن ، فإن العرب يسمونه السبب الخفيف ... وكل مقطع طويل فإن قوّته قوة السبب الخفيف فلذلك يُعدّ في الاسباب الخفيفة ، وكل ما لحق الاسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة) .

فالسبب الخفيف يعرض له في الشعر تغييرات وصفها علماء العروض[٧٥] الذين لم يفرقوا بين السبب الخفيف والمقطع الطويل ، حيث جعلوا سبباً خفيفاً أيضاً ما سماه الفارابي مقطعاً طويلًا ، وبهذا يتبيين لنا ان ما قاله الفارابي من أن كل ما لحق الاسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة لم يكن غائباً عمن كتب في علم العروض . وقوله : (وكل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة ، وكذلك كل مقطع طويل) . يتفق أيضاً مع ما ذهبوا اليه من دمج المكوّنين الصوتيين في مصطلح واحد هو السبب الخفيف .

قد يسأل سائل : فيم اذن فصل الفارابي بينهما ولِمَ لم يستغن بأحدهما عن الآخر فإما أن يسمي كلًا منهما مقطعاً طويلًا كما صنع دارسو الأصوات اليوم ، وإما أن يسمي كلًا منهما سبباً خفيفاً كما صنع علماء العروض قديماً ، ولم استعمل مصطلحين فلم يوافق القدماء ، ولم يتفق معه المحدثون ؟

والجواب عن ذلك فيما نراه ما وجده الفارابي من القيمة النغمية للمكوّنين الصوتيين حيث يقوم كل منهما (مقام نقرة تامة تعقبها وقفة) فربط بينهما ونص على أن (كل مقطع طويل فإن قوّته قوة السبب الخفيف) .

ولكن التكوين الصويتي (الفونيمي) للسبب الخفيف لا يتفق مع التكوين الصويتي لما خصّه بمصطلح المقطع الطويل . فالسبب الخفيف مكون من حرف غير مصوت يتبعه مصوت قصير يتبعه حرف غير مصوت ، أو بعبارة اخرى هو مقطع قصير متبوع بحرف غير مصوت ، فالحرف المتحرك مقطع قصير كما قال : (وكل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به فانه يسمى : المقطع القصير . والعرب يسمونه

---

٧٥ ـ انظر مثلًا : العقد الفريد ، ٥ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

الحرف المتحرك ، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات) . والحرف الساكن هو غير مصوت لم يتبع بمصوت (وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلًا وهو يمكن أن يقرن به ، فإنهم يسمونه الحرف الساكن) . وفي ضوء هذين النصين يفهم قوله : (وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن فإن العرب يسمونه السبب الخفيف) .

أي ان السبب الخفيف = حرف متحرك + حرف ساكن . أو إن شئت قلت : السبب الخفيف = حرف + حركة + حرف . ولما كان علماء العربية يذهبون الى أن أصوات المد حروف وأن قبلها حركات من أجناسها كانت تسمية المقطع الطويل سبباً خفيفاً منسجمة مع مذهبهم هذا ، فالألف في (ما) حرف قبلها فتحة . أي ان المقطع مكون من : ميم + فتحة + ألف ، وهذا يعني انهم أمام : حرف + حركة + حرف ، فهو اذن سبب خفيف مثل (مَنْ) المكون من : ميم + فتحة + نون ، وقل مثل ذلك عن المقطع الأول من (ميزان) : ميم + كسرة + ياء مدّيّة ، وعن المقطع الثاني من (نقول) : قاف + ضمة + واو مدّيّة .

بيد ان صورة المقطع الطويل عند الفارابي تختلف عن صورتها عند علماء العربية ، ذلك انه قرر كما تقدم آنفاً ان المصوّتات الطويلة ليس قبلها حركات من أجناسها ، وهذا معناه أن التكوين الصويتي ليس واحداً في كل من (ما) و (من) مثلًا ، فهو في (ما) : ميم + مصوت طويل . أي ان (ما) مكونة من صويتتين . أما (مَنْ) فمكونة من ثلاث صويتات هي : ميم + مصوت قصير + نون . وكذلك المقطع الأول من (ميزان) والثاني من (نقول) .

فاذا استعنا بلغة المعادلات والكتابة الصوتية الحديثة ظهرت لنا صور التكوين الصويتي للسبب الخفيف وللمقطع الطويل بمصطلح الفارابي على الوجه الآتي :

م + ـَـ + ن = سبب خفيف

م + ـًـ = مقطع طويل

م + ـٍـ = مقطع طويل

ق + ـٌـ = مقطع طويل

فالحرف غير المصوت في السبب الخفيف تبعه مصوت قصير فحرف غير مصوت . أما في المقطع الطويل فقد جاء الحرف غير المصوت متبوعاً بمصوت طويل وليس وراءه شيء لأن الزاي من كلمة (ميزان) تشكل قاعدة لمقطع جديد . وكذلك

اللام من (نقول) .

وأمام هذا الاختلاف في التكوين الصويتي وجد الفارابي ان عليه أن يفرق في المصطلح بين المكوَّنين . وأمام الاتفاق في القيمة النغمية والتغيرات التي يقبلها كلا المكوَّنين في التشكيل الصوتي في الشعر وجد ان عليه أن يشير الى اتفاقهما في القيمة النغمية والى اتفاقهما فيما يعرض لهما من تغيير : (وكل مقطع طويل فإن قوّته قوة السبب الخفيف فلذلك يعد في الاسباب الخفيفة ، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة) .

أما المحدثون فقد عالجوا الأمر من زاوية اخرى وذلك بأن تحدثوا عن مسألة تتعلق بمخارج الأصوات ، فالمصوتات (الطويلة والقصيرة) تكون بانفتاح جهاز النطق ، وغير المصوتات (الصوامت) تكون بانغلاق في نقطة ما من جهاز النطق أو تقارب في نقطة ما من الجهاز . ولذلك اطلق على المقطع المنتهي بغير مصوت (صامت) المقطع المغلق ، وعلى المقطع المنتهي بمصوت (طويل أو قصير) المقطع المفتوح ، وبهذا تكون (ما) مثلًا مقطعاً طويلًا مفتوحاً ، أما (مَنْ) فهي مقطع طويل مغلق ، وهكذا جُمع المكوَّنان تحت اسم واحد هو المقطع الطويل ، وفرّق بينهما بصفة الغلق أو الفتح .

ويبدو أن الذي وحّد القيمة النغمية للمكوَّنين أن المصوت الطويل بما خص به من طول وتصويت صار يعدل مصوّتاً قصيراً ونصف مصوت (صامت) . وهذا ما نراه عند انشطار الياء المدية أو الواو المدية الى مصوت قصير ، ونصف مصوت له قيمة صامت . أما الألف فلا تتعرض للانشطار إذ ليس لها نصف مصوت .

فتخفيف همزة (أبيك) مثلًا في نحو : هؤلاء مسلمو أبيك ، ومررت بمسلمي أبيك . على لغة أهل التخفيف[٧٦] يكون بتغيّر في المقاطع ليقال : هؤلاء مسلمُ وَبيك ، ومررت بمسلمِ يَبيك ، حيث ينشطر المصوّت الطويل على الوجه الآتي :

/ م ـــُ س / ل ـــِ / م ـــُـُ / ء ـــَ / ب ـــِ / ك ـــَ /

١ ـ تحذف الهمزة للتخفيف ، أي ان قاعدة المقطع الرابع تذهب وتبقى القمة لا تشكل مقطعاً .

---

٧٦ ـ انظر شرح الشافية ، ٣ : ٣٣ .

٢ ـ ينشطر المصوت الطويل في المقطع الثالث الى مصوت قصير وصامت ، ليكون الصامت قاعدة المقطع الرابع ويبقى المصوت قمة المقطع الثالث ، أي :

/ م ــُـ س / ل ــِـ / م ــُـُـ / ء ــَـ / ب ــٍـ / ك ــَـ / ، / ــُـُـ / ← / ــُـ و / ، / ء / ×

فيكون :

/ م ــُـ س / ل ــِـ / م ــُـ / و ــَـ / ب ــٍـ / ك ــَـ /

ويمثل هذا تتحول الياء المدّية بالانشطار الى مصوت قصير وصامت

/ م ــُـ س / ل ــِـ / م ــِـ / ء ــَـ / ب ــٍـ / ك ــَـ / ، / ــِـ / ← / ــِـ ي / ، / ء / ×

فيكون :

/ م ــُـ س / ل ــِـ / م ــِـ / ي ــَـ / ب ــٍـ / ك ــَـ /

أما كلام الفارابي على السبب الثقيل والاوتاد فهو صورة من صور التأثر بكلام علماء العربية والعروض ، وتخلٍّ منه عما قدمه من كلام على المقطع الصوتي ، ذلك أن ما سمي بالسبب الثقيل وقال عنه الفارابي موافقاً علماء العروض : (وكل حروف متحرك اتبع بحرف متحرك فإنهم يسمونه السبب الثقيل) . ليس سوى مقطعين قصيرين . فالسبب الخفيف مقطع طويل اما أن يكون مفتوحاً مثل (ما) وإما أن يكون مغلقاً مثل (من) ، وأما السبب الثقيل فهو مقطعان قصيران كما في ك ــَـ / ت ــَـ / ب ــً ، فالمقطعان الأول والثاني من (كتبا) سبب ثقيل . ويلاحظ ان المقطع القصير لا يكون إلا مفتوحاً .

أما الوتد فهو تشكيل من مقطع طويل ومقطع قصير ، فإذا تقدم المقطع القصير سمي الوتدُ الوتدَ المجموع (والسبب الثقيل متى اتبع بحرف ساكن سموه الوتد المجموع لاجتماع المتحركين فيه) . ومجيء الساكن بعد السبب الثقيل يؤدي الى اتصال المتحرك الثاني من السبب الثقيل به مكوناً مقطعاً طويلًا وذلك مثل (أَلَمْ) فالهمزة والفتحة مقطع قصير ، واللام والفتحة لا تنطقان بمعزل عن الميم ليتشكل مع الهمزة والفتحة سبب ثقيل بل يتصل النطق بالميم لينطق المقطع الطويل المغلق المكون من اللام والفتحة والميم . واذا تقدم المقطع الطويل سمي الوتدُ الوتدَ المفروق (والسبب الخفيف متى اتبع بحرف متحرك سموه الوتد المفروق لافتراق المتحركين

فيه بالساكن المتوسط) . وذلك مثل (أَلْقِ) فالهمزة والفتحة واللام مقطع طويل مغلق (أو سبب خفيف كما سموه) والقاف والكسرة مقطع قصير .

أما الوتد المفرد الذي ذكره بقوله : (والسبب الخفيف متى اتبع بحرف ساكن سمي الوتد المفرد لانفراد المتحرك فيه) . فلا يعدو أن يكون المقطع الطويل المغلق المتبوع بصامت ، وهو ما نسميه المقطع المزيد تمييزاً له عن المقطع المديد الذي يكون من مقطع طويل أيضاً ولكنه مفتوح ، متبوع بصامت ، وبين المقطعين اختلاف يسير في الاستعمال ، واتفاق . فمن اتفاقهما أنهما يكونان في العام الغالب في الوقف ، نحو (خُسْرْ) في ﴿ إنّ الانسان لفي خُسْرْ ﴾ و (بانْ) في ﴿ فبأي آلاء ربّكما تكذّبانْ ﴾ أما في الدرج فقد تحامى اللسان العربي المقطع المزيد ، ولكنه ساغ المقطع المديد بشرط ادغام قاعدته الثانية في مثلها التي تشكل قاعدة المقطع التالي له مثل (عانْ) في ﴿ ولا تتّبعانِّ سبيل المجرمين ﴾ و (ضالْ) في ﴿ ولا الضالّين ﴾ . وقد يأتي المديد في الشعر على قلّة وذلك في عروض المتقارب ، كما قال :

فـــــذاك القصـــــاصُ وكـــــان التقـــــاصُ
صُ فـــــرضـــــاً وحتمـــــاً على المسلمينـــــا

فقوله : (قاصْ) مقطع مديد وقد أجيز في عروض المتقارب (ولا نظير له في غيرها من الأعاريض)[77] .

لقد كان الفارابي يشير الى المقطع المزيد وإن لم يقيده بالوقف ، ولم يكن يشير الى المقطع المديد لأن مصطلح السبب الخفيف لا يدخل فيه عنده الصامت المتبوع بمصوت طويل ، فذلك سماه المقطع الطويل ، وإن قال إن حكمه حكم السبب الخفيف ، ثم هو عنده على التحقيق الذي تقدم آنفاً لا يتكون من حرف متحرك بعده مصوت طويل لأن هذا يؤدي الى القول بتتابع مصوّتين قصير وطويل وهذا لا يكون .

أما ما سماه هو السبب المتوالي : (والسبب الثقيل متى اتبع بمتحرك فلنسمّه نحن السبب المتوالي ، لتوالي المتحركات الثلاثة فيه) . فحقيقته أنه ثلاثة مقاطع قصيرة متوالية ، مثل (كَتَبَ) في ﴿ كَتَبَ ربّكم على نفسه الرحمة ﴾ .

---

٧٧ ـ الكامل ، ١ : ١٩ ـ ٢٠ ، وانظر الدراسات اللهجية والصوتية ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

لقد كنا نرجو أن يبقى الفارابي مع الروح الموسيقي للمقطع ، وهو يتناول بالدرس تحليل العروضيين الالفاظ في موسيقى الشعر ، ولو أنه أرجع كل ما رُكّب الى المقاطع لا الى الاسباب والأوتاد إذ قال : (وسائر ما يركب تركيباً أزيد مما عدّدناها فإن جميعها مركبة إما عن أسباب وإما عن أوتاد وإما عنهما جميعاً) ، أقول : لو فعل هذا لكان قدم لنا دراسة صوتية نفيسة في هذا الباب ، كان يمكن أن تحدث تغييراً جوهرياً في دراسة موسيقى الشعر واوزانه . فضلًا عما تقدم ذكره من درس أصيل للصوت اللغوي ومن آراء قيّمة في المصوتات وغير المصوتات وفي دراسة المقطع الصوتي بنوعيه في العربية .

مصادر البحث

* أصوات العربية بين التحول والثبات ـ د. حسام النعيمي، بغداد ١٩٨٩ م.
* الأصوات اللغوية ـ د. ابراهيم أنيس، ط ٥، القاهرة ١٩٧٩ م.
* الأعلام ـ خيرالدين الزركلي، ط ٤، بيروت ١٩٧٩ م.
* تاج العروس ـ الزبيدي ـ ج ٣، تحقيق عبدالكريم العزباوي، الكويت ١٩٦٧ م.
* التشكيل الصوتي ـ د. سلمان حسن العاني، ترجمة د. ياسر الملاح، جدّة ١٩٨٣ م.
* التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ـ للداني، تحقيق د. التهامي الراجي الهاشمي، المغرب ١٩٨٢ م.
* التمهيد في علم التجويد ـ لابن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري حمد، بيروت، ١٩٨٦ م.
* الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ـ آدم متز، ترجمة محمد عبدالهادي ابي ريده، بيروت، ط ٤، ١٩٦٧ م.
* دراسة الصوت اللغوي ـ د. أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٧٦ م.
* الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ـ د. حسام النعيمي، بغداد ١٩٨٠ م.
* الرعاية لتجويد القراءة ـ مكي بن أبي طالب، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، ط ٢، الاردن ١٩٨٤ م.
* سر صناعة الاعراب ـ ابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دمشق ١٩٨٥ م.
* شرح شافية ابن الحاجب ـ الرضي الاستربادي، تحقيق محيي الدين عبدالحميد وآخرين، بيروت ١٩٧٥ م.
* شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، ط ٥، بيروت ١٣٩٩ هـ.
* شرح كتاب ارسطو طاليس في العبارة ـ الفارابي، تحقيق كوتش ومارو، ط ٢، بيروت ١٩٧١ م.
* شرح المفصل ـ ابن يعيش، نسخة مصورة عن ط مصر (د. ت).
* العقد الفريد ـ ابن عبد ربه، نسخة مصورة عن ط مصر (١٩٦٧ م).
* علم اللغة ـ د. محمود السعران، ط بيروت (د. ت).
* عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ ابن أبي اصيبعة، تحقيق د. نزار رضا، بيروت ١٩٦٥ م.
* القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي، ط القاهرة (د. ت).
* قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ـ الشيخ نديم الجسر، ط ٣، بيروت ١٩٦٩ م.

* الكامل ـ المبرد ، طبعة المطبعة الأزهرية بمصر (د . ت) .
* الكتاب ـ سيبويه ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق بمصر ١٣١٦ هـ .
* كتاب ارسطو طاليس في الشعر ـ متّى بن يونس ، تحقيق د . شكري عياد ، القاهرة ١٩٦٧ م .
* كتاب الحروف ـ الفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، بيروت ١٩٧٠ م .
* كتاب الموسيقى الكبير ـ الفارابي ، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة ، القاهرة (د . ت) .
* لسان العرب ـ ابن منظور . نسخة مصورة عن طبعة بولاق بمصر .
* معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ، ط دار صادر ـ بيروت (د . ت) .
* المعرّب للجواليقي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٩ م .
* مناهج البحث في اللغة ـ د . تمام حسان ، المغرب ١٩٧٩ م .
* وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ١٩٧٧ م .
* Longman Dictionary - England , 1981 .
* Standard French Grammar - by Fraser and athers , Boston 1931 .

جوانب من الدرس الصوتي عند جلال الدين السيوطي

وجّه علماء العربية القدماء عنايتهم الى دراسة الصوت اللغوي منذ البدايات الاولى للتأليف الموسع في اللغة والنحو ، سواء في دراسة الصوت المفرد من حيث موضع ولادته من جهاز النطق ، ومن حيث صفاته التي جعلت لكل صوت من الاصوات اللغوية ماهيته التي يمتاز بها من غيره ، أم في دراسته في التشكيل الصوتي وما يصيب هذه الاصوات المفردة من تغيّر عند ورودها في السلسلة الكلامية المنطوقة وعند تحول اللفظة من صيغة الى صيغة .

فقد وجدنا الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) يبني معجمه (العين) على وفق المدرج الصوتي ، مقدماً للكتاب بدراسة الصوت اللغوي المفرد[١] من حيث المخرج والصفة ، ووردت في أثنائه ـ على ما قيل في نسبة تحشيته[٢] ـ اشارات تندرج في باب التشكيل الصوتي[٣] . ونُسج على منوال العين عدد من المعجمات من بعده[٤] ، منها البارع للقالي (٣٥٦ هـ) والتهذيب للأزهري (٣٧٠ هـ) والمحيط للصاحب (٣٨٥ هـ) والمحكم لابن سيده (٤٥٨ هـ) .

ومن كتب النحو كان كتاب سيبويه (١٨٠ هـ) وفيه دراسة محكمة[٥] في بيان مخارج الأصوات اللغوية وفي بيان صفاتها وفي الكلام على الاصوات الأدبية العامة ، والاصوات اللهجية المستحسنة منها وغير المستحسنة ، وما يصيب الصوت المفرد في السلسلة المنطوقة من الادغام والابدال والحذف والامالة والاختلاس والاشباع ، وغير ذلك من صور تأثر الاصوات بعضها ببعض في التشكيل الصوتي .

---

١ ـ انظر : العين ، ١ : ٥١ ـ ٥٩ .

٢ ـ انظر : المعجم العربي ، ١ : ٢٨٠ .

٣ ـ انظر ، مثلًا : ١ : ٦٠ ، ٧٨ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ....

٤ ـ انظر : المعجم العربي ، ١ : ٢١٧ وما بعدها .

٥ ـ انظر : الكتاب ، ٢ : ١٦٣ ، ٢٥٩ ، ٣٥٨ ، ٤٠٤ ـ ٤٣٠ .

وتبعه في ذلك من جاء بعده من علماء العربية[٦] كالمبرد (٢٨٥ هـ) وابن السراج (٣١٦ هـ) ، وابن جني (٣٩٢ هـ) ومن جاء بعدهم .

ثم جاء علماء التجويد والقراءات فأفادوا مما ورد عند علماء العربية ولا سيما ما ورد عند سيبويه ، وزادوا عليه زيادات جوهرية في التطبيق والتفصيلات ، ولا سيما فيما يخص المدود وانواعها ومواضع كل منها ، ومن أوائل ما وصل الينا من هذه الدراسات ما كتبه مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) في (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) ، وأبو عمرو الداني (٤٤٤ هـ) في (التحديد في الاتقان والتجويد) ، ثم ما كتبه ابن الجزري (٨٣٣ هـ) في (التمهيد في علم التجويد) وفي (النشر في القراءات العشر) . فمكّي مثلًا تكلم بتفصيل على صفات الحروف ومخارجها ، والتحفظ في بيان ما يمكن أن يؤثر عليه الصوت الذي يليه ، والادغام ، واحكام النون وغير ذلك ، والداني بحث بصورة مفصلة أيضاً فيما بحث فيه مكي ، وتكلم على الامالة والتفخيم والترقيق والمد وغيرها . وعندما جاء ابن الجزري فصّل في الجزئيات والمواضع فهو إذ يتكلم مثلًا على الادغام الكبير من قراءة أبي عمرو يفصل هذه المواضع تفصيلًا ولا يكتفي بايراد القاعدة ، بل يبين العلة في عدم الادغام في المواضع التي كان ينبغي في الظاهر أن تكون منه[٧] .

وبعد كل ما تقدم من دراسة للصوت اللغوي المفرد من حيث المخرج والصفة ، ودراسته في السلسلة المنطوقة ، جاء أبو عبدالرحمن السيوطي (٩١١ هـ) فورث نتاج العلماء في هذا المجال في أكثر من ستة قرون فنبّه على جهد من تقدمه واجتهد في التقسيم ، والتبويب ، والاختيار ، والاختصار ، والتوسع في ايراد الأمثلة والشواهد ، فاجتمع لديه من الدراسة الصوتية التي تندرج في دراسة الصوت المفرد ، والتي تندرج في دراسة التشكيل الصوتي ما يمكن أن نشير الى شيء منه فيما يأتي :

ففي الصوت المفرد بحث السيوطي في مخارج الحروف وصفاتها والحروف الفرعية المستحسنة والفرعية غير المستحسنة ، ومما قاله في هذا : (القسم الثاني من الادغام ادغام المتقاربين ، وذلك يتوقف على بيان مخارج الحروف ، ومخرج الحرف هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف ، وتقريب معرفته أن يسكن الحرف ويدخل

---

٦ ـ انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٧ ـ انظر : النشر ، ١ : ٢٨٨ وما بعدها .

عليه همزة الوصل ليتوصل الى النطق به ، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه ، وهذه المخارج هي من آخر الصدر وما يليه من الحلق والفم الى الشفتين والى الخيشوم ، والحروف تسعة وعشرون ... والمخارج ستة عشر مخرجاً عند الخليل وسيبويه والاكثرين ، وذهب الجرمي وقطرب والفراء وابن دريد وابن كيسان على خلاف عنه الى أنها أربعة عشر مخرجاً وموضع الخلاف بينهم مخرج اللام والنون والراء فهو عند هؤلاء مخرج واحد وعند الخليل ومن وافقه ثلاثة مخارج ، وعلى القولين فذلك على سبيل التقريب وإلا فالتحقيق ان لكل حرف مخرجاً على حدة)[٨] .

وقال : (والذي رجّحه أبو حيان ان رتبة العين بعد الحاء ورتبة الغين قبل الخاء ،... والضاد لا يخرج من موضعها غيرها من الحروف عندهم ، وذهب الخليل الى أن الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين ، فعلى هذا يشركها غيرها فيه ، ومعنى شجرية : خارجة من شجْر الحنك وهو ما يقابل طرف اللسان ، وقال الخليل : الشجْر مفرج الفم ، أي : منفتحه ، وقال غيره : هو مجتمع اللحيين عند العنفقة ، وعلى رأي الأولين قال أبو حيان خروج الضاد من الجانب الأيسر عند الأكثرين والايمن عند الأقل ، ويحكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يخرجها من الجانبين معاً ، وقال الصيمري : بعض الناس يخرجها من اليسرى ، وبعض الناس يسهل عليه اخراجها من الجهتين معاً ، وكلام سيبويه يدل أيضاً على ان الضاد تكون من الجانبين . وقد ذهب بعض من لا ضبط له ولا معرفة الى أن الجهة اليمنى تختص بها ، وقال أبو علي بن أبي الأحوص : يتأتّى اخراج اللام من كلتا حافتي اللسان اليمنى واليسرى إلا ان اخراجها من حافته اليمنى أمكن ، بخلاف الضاد فإنها من اليسرى أمكن)[٩] .

وقال : (قال [يعني أبا حيان] والحاء مما انفردت بها العرب في كلامها ولا توجد في كلام غيرها ، والعين مما انفردت بكثرة استعمالها فإنها قليلة في كلام بعض الامم ومفقودة في كلام كثير منهم ، قال : والضاد أصعب الحروف في النطق ، ومن الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها وهي قليلة في لغة بعض الامم ،

---

٨ ـ همع الهوامع ، ٢ : ٢٢٨ .

٩ ـ م . ن ، ٢ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ومفقودة في لغة الكثير منهم)[١٠].

وقال : (وألفا الامالة والتفخيم فرع عن الألف المنتصبة التي ليس فيها ترقيق ولا تفخيم ، والشين التي كالجيم فرع عن الجيم الخالصة ، والصاد التي كالزاي فرع من الزاي الخالصة ...)[١١]

وقال : (وأما الفروع التي تستقبح وهي لا توجد في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة ولا شعر فهي ...)[١١]

وقال : (وأما ألقاب الحروف فذكرها النحويون لفائدتين : احداهما لأجل الادغام ، ليعرف ما يدغم في غيره لقربه منه في المخرج والصفة أو في أحدهما وما لا يدغم لبعده منه في ذلك ، والثانية بيان الحروف العربية حتى ينطق بها من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي ، فهو كبيان رفع الفاعل ونصب المفعول ، فكما ان نصب الفاعل ورفع المفعول لحن في اللغة العربية ، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها . وسمّيت المهموسة لضعف الاعتماد عليها في مواضعها وجري النفس معها حتى ضعفت فخفي النطق بها ، والهمس لغة هو الصوت الخفي ، وضدها المجهورة وهي ما اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت ، والشدة امتناع الصوت أن يجري في الحرف ، والفرق بين المجهور والشديد ان المجهور يقوى الاعتماد فيه ، والشديد يقوى لزومه في موضعه ، والرخاوة جري الصوت في الحرف ، والتوسط : بين الشدة والرخاء ، وسميت المطبقة لاطباق اللسان فيها على الحنك عند اللفظ بها ، وضدها المنفتحة لأنك لا تطبق اللسان بشيء منها على الحنك ، والانفتاح ضد الانطباق ، وسميت المستعلية لأن اللسان يعلو الى الحنك عند النطق بها فينطبق الصوت مستعلياً بالريح وضدها المنخفضة ويقال المتسفلة لأن اللسان لا يستعلي عند النطق بها الى الحنك بل يتسفل بها الى قاع الفم عند النطق ، وسميت المذلقة لأنها من طرف اللسان والفم ، وطرف كل شيء ذلقه ، وضدها المصمتة لأنها اصمتت فلم تدخل في الابنية كلها ، قال الأخفش : اصمتت أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب

---

١٠ ـ م.ن ، ٢ : ٢٢٨.

١١ ـ م.ن ، ٢ : ٢٢٩.

اذا كانت خماسية فما فوق ، فلا تجد كلمة خماسية فما فوق في كلام العرب إلا وفيها من الحروف المذلقة ، أو الألف ، ولا تنفرد المصمتة بكلمة خماسية ، وسميت أحرف القلقلة لأن الصوت يشتد عند الوقف عليها ، والقلقلة : شدة الصوت)[١٢] .

الى غير ذلك مما يندرج في دراسة الصوت اللغوي المفرد .

أما في التشكيل الصوتي فقد بحث في جملة أمور منها : ما يصيب الصوت اللغوي عند الوقف من فقد الحركة أو الروم أو الاشمام أو الابدال أو النقل أو الادغام أو الحذف أو الاثبات أو الالحاق[١٣] . وبحث في الامالة والفتح وما بينهما متكلماً على أسبابها ووجوهها وفائدتها ومن يميل وما يمال[١٤] . وتكلم على الادغام الكبير وتفصيل مواضعه ، وبيان ضوابطه ومواطن تجنبه[١٥] . وتكلم على الادغام الصغير ومواضع الاتفاق عليه والاختلاف فيه ، والقاعدة العامة في الادغام الصغير[١٦] ، وتكلم على احكام النون الساكنة والتنوين من اظهار وادغام واقلاب واخفاء[١٧] ، وتكلم على المد والقصر[١٨] ، وتخفيف الهمزة بالحذف بعد نقل الحركة ، وبالابدال ، وبالتسهيل وبالاسقاط بلا نقل[١٩] ، وتكلم على مصطلحات القراءة من التحقيق والحدر والتدوير[٢٠] ، وتكلم على تلاؤم الحروف[٢١] ، والفاصلة القرآنية[٢٢] ، والابدال

---

١٢ - م . ن ، ٢ : ٢٣٠ .
١٣ - انظر : الاتقان ، ١ : ٢٤٨ .
١٤ - م . ن ، ١ : ٢٥٥ .
١٥ - م . ن ، ١ : ٢٦٣ .
١٦ - م . ن ، ١ : ٢٦٧ .
١٧ - م . ن ، ١ : ٢٦٩ .
١٨ - م . ن ، ١ : ٢٧١ .
١٩ - م . ن ، ١ : ٢٧٧ .
٢٠ - م . ن ، ١ : ٢٨٠ .
٢١ - م . ن ، ٣ : ١٦٨ .
٢٢ - م . ن ، ٣ : ١٩٢ .

والاعلال[٢٣] ، ومدّ الصوت والترنم[٢٤] وتكلم على موقع الحركة من الحرف[٢٥] ، وأنواع الحركات[٢٦] ، وحروف المدّ واللين[٢٧] .

وغير ذلك من مباحث التشكيل الصوتي المبثوثة في تضاعيف ما كتب ، وسأحاول أن أقف عند عدد من المسائل الصوتية مما يكون في تأمله ودراسته فائدة مضافة ان شاء الله تعالى .

في كلامه على أنواع الحركات قال : (الحركات سبع : حركة اعراب ، وحركة بناء ، وحركة حكاية ، وحركة اتباع ، وحركة نقل ، وحركة تخلص من سكونين ، والسابعة واستدركها ابو حيان وغيره على التسهيل : حركة المضاف الى ياء المتكلم نحو : غلامي ، فإنها ليست عندهم اعراباً ولا بناءً ولا هي من الحركات الست ، وعندي أن يقال بدلها : حركة مناسبة فتشملها وما يجري مجراها)[٢٨] .

والنص كما هو ظاهر يختلط فيه الجانب الصوتي بالجانب الصناعي ، فالصوت قد يكون واحداً ولكنه في تقدير الصناعة مختلف ، ألا يُرى ان الصوت الذي يلي الباء في قولنا : ذهبَ ، والصوت الذي يلي الباء في : لن يذهبَ ، واحد ، ولكن في الاولى حركة بناء وفي الثانية حركة اعراب ، ومن ذلك قولهم : لم يردّ ولن يردّ بفتح الدال في الموضعين ، والاولى فتحة تخفيف تخلصاً من سكونين ، والثانية فتحة اعراب . فالصوت وإن كان واحداً في النطق ، إلا انه في تقدير صناعة الاعراب مختلف .

أما كلامه على حركة المضاف الى ياء المتكلم فلا شك في أن تسميتها حركة مناسبة أولى من تقييدها بالاضافة الى ياء المتكلم لتشملها وما يجري مجراها كحركة الباء قبل الواو في نحو كتبوا ، على مذهبهم ، ويمكن أن يدخل فيها الحركة قبل الالف في نحو تكتبان وقبل الياء في نحو تكتبين وقبل الواو في نحو تكتبون .

وحديث المناسبة هنا لنا فيه كلام من وجهين : الأول : قوله : (وعندي أن يقال

---

٢٣ - م . ن ، ٣ : ٢٦٥ .

٢٤ - م . ن ، ٣ : ٣١٤ .

٢٥ - انظر : الهمع ، ١ : ١٩ .

٢٦ - م . ن ، ١ : ٢٠ .

٢٧ - م . ن ، ٢ : ٢٠١ .

٢٨ - الهمع ، ١ : ٢٠ .

بدلها ..) قد يفهم منه ان المصطلح من وضعه رحمه الله ، ولا يبعد أن يكون اختياراً فقد ورد حديث المناسبة مثلًا عند معاصره خالد الازهري (٩٠٥ هـ) : (المضاف للياء الدالة على المتكلم يجب كسر آخره ، أي المضاف ، لمناسبة الياء)[٢٩] ، وتأصيل نسبة المصطلح بها حاجة الى فضل بحث . الثاني : ما سمي بكسرة المناسبة في نحو قولهم : هذا قلمي لا وجود له على التحقيق[٣٠] ، فحرف المدّ ليس قبله حركة من جنسه بل هو حركة طويلة ، وياء المتكلم من حيث الصوت لا تختلف عن ياء نميزُ أو ياء نرمي أو ياء ترمين أو ياء المحامي ، فكل من هذه الياءات مصوت طويل أو كسرة طويلة ، وكل منها تشكل مع الميم قبلها مقطعاً طويلًا مفتوحاً ، الميم فيه القاعدة والياء القمة ، ومعلوم ان المقطع الصوتي لا تكون فيه قمتان[٣١] . والذي يلفت النظر ان علماء العربية والتجويد ، ومنهم السيوطي لم يفيدوا مما كتبه الفلاسفة المسلمون في الجانب الصوتي ، نعم كان لدى علماء العربية احساس بالاختلاف بين صوت المصوت الطويل (حرف المدّ) وصوت نصف المصوت (حرف اللين) ولكن الخلط في الرسم أضاع عليهم فرصة التنبه الى ما تنبه اليه بعض الفلاسفة ، يقول السيوطي : (وفي اللباب لأبي البقاء : ذهب قوم الى ان الحرف مجتمع من حركتين لأن الحركة اذا اشبعت نشأ الحرف المجانس لها ، والمحققون على خلافه لأن الحرف له مخرج مخصوص والحركة لا تختص بمخرج ، ولأنها اذا اشبعت نشأ منها حرف تام وبقيت الحركة قبله بكمالها ، فلو كان الحرف حركتين لم تبق الحركة قبل الحرف)[٣٢] . وتأمل قوله : (والحركة لا تختص بمخرج) وهو وصف دقيق للمصوتات لأن المخرج يراد به الموضع من جهاز النطق الذي يحدث فيه تضيّق أو انطباق يولد الحرف بسببه[٣٣] ، والمصوتات تولد بتكيّف في اللسان لا يؤدي الى تضيّق يسمع له احتكاك ، فإذا سمع الاحتكاك كان نصف المصوت الاحتكاكي

---

٢٩ ـ شرح التصريح ، ٢ : ٦٠ .

٣٠ ـ انظر : التشكيل الصوتي ص ٤٠ ـ ٤١ ، وانظر : التصريف العربي ص ٤٨ .

٣١ ـ م . ن ص ١٣١ ، وانظر ايضاً : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٣٢ ـ الهمع ، ١ : ٢٠ .

٣٣ ـ انظر : اصوات العربية بين التحول والثبات ، ص ١٦ .

وقيمته قيمة صامت[٣٤] . ولكن ومضة البرق هذه لم تلبث أن اختفت في أجواء التأثر بفكرة المتحرك والساكن ، والحركات قبل حروف المدّ ، كما هو ظاهر من قوله : (وبقيت الحركة قبله بكمالها) .

أما الفلاسفة المسلمون فقد كانت عباراتهم أكثر دقة في هذا الشأن ، يقول أبو نصر الفارابي (٣٣٩ هـ) وهو يتكلم على المقطع الصوتي في العربية : (وأما المصوتات القصيرة فإنها لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها فإذا ساوقت النغمة امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة . وكل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمّى المقطع القصير ، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ، وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلًا وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن . وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل ، وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن فإن العرب يسمونه السبب الخفيف .. وكل مقطع طويل فإن قوّته قوة السبب الخفيف فلذلك يعدّ في الاسباب الخفية وكل ما لحق الاسباب الخفية لحق المقاطع الطويلة ... وحروف القول غير المصوتة إما أن تردف بمصوتات قصيرة ، وإما أن تكون ساكنة ، وإما أن تردف بمصوتات طويلة ...)[٣٥] ، فهذه العبارات تؤكد انعدام المصوت القصير قبل المصوت الطويل ، وهذا ما عليه الدرس الصوتي الحديث الذي يرى أنه ليس بين المصوت الطويل والصامت الذي قبله مصوت قصير (حركة) لأن القول بهذا معناه القول بوجود قمتين للمقطع الصوتي وهذا لا يكون[٣٦] . فإن قيل وكيف سيكون الاعراب في هذه المثل التي أوردها السيوطي وما أشبهها ؟ قلنا : اذا تمسكنا بفكرة المتحرك والساكن فالحركة كما قال علماؤنا في الرأي الراجح بعد الحرف وليست قبله أو معه[٣٧] ، وهذا يوافق الحديث عن السلسلة المنطوقة ، فصوت الضمة بعد الكاف ، والكسرة بعد التاء ، والفتحة بعد الباء في قولنا : كُتِبَ وإن كتبت الحركات اختصاراً فوق الحرف أو تحته ولكنها في حقيقة النطق تأتي بعده . فالحرف المتحرك

---

٣٤ ـ انظر : الاصوات اللغوية ، ص ٤٢ .

٣٥ ـ الموسيقى الكبير ، ١٠٧٤ ـ ١٠٧٩ .

٣٦ ـ انظر : التشكيل الصوتي ص ١٣٣ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٤٧ .

٣٧ ـ انظر : سر الصناعة ١ : ٣٧ ، والدراسات اللهجية والصوتية ص ٣٣٢ ـ ٣٣٥ .

على هذا هو الحرف الذي يأتي بعده مصوت قصير (حركة) ، فإذا لم يكن بعده مصوت قصير سمي ساكناً ، لذا يمكن أن نجعل هذه الحروف التي قبل أصوات المدّ ساكنة من حيث الاصطلاح الصناعي وإلا فهي محركة بمصوت طويل ، فنقول في نحو : هذا كتابي ، إن علامة الرفع ضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر ، إذ يتعذر نطق مصوتين متتابعين في السلسلة الكلامية سواء كانا من جنس واحد أم كانا مختلفين .

وكذا يقال في نحو : كتبوا ، انه مبني على فتح مقدر للتعذر ، ومثل ذلك يقال عن جاء المحامي ومررت بالمحامي ، فالحركة مقدرة للتعذر لا للثقل لأن اظهارها لا يكون على هذه الياء المدية بل على ياء اخرى هي نصف مصوت قيمتها قيمة صامت تأتي من انشطار المصوت الطويل الى مصوت قصير ونصف مصوت وذلك ظاهر في حالة النصب وفيما يأتي ايضاح هذا[٣٨] : وزن كلمة المحامي في الأصل المفاعل من ح م ي ، أي :

/ ءــَـل / مــُـ / حــًـ / م ــِـ / ي ــُـ / ، / ي ــُـ / × ، / ــِـ / ← / ــٍـ /

حذف مقطع المزدوج الصاعد من الآخر ومدّ الصوت بالمصوت القصير في المقطع الذي قبله فصار المحامي بزنة المفاعي ، فإذا تحركت الياء بالفتح فسر ذلك بأحد أمرين : إما أن يقال : رجع اللفظ الى أصله فوزنه المفاعل ، وإما أن يفسر بانشطار المصوت الطويل ، أي : / ءــَـل / مــُـ / حــًـ / م ــٍـ + ــَـ /

انشطار / ــٍـ / ← / ــِـ ي / ← ... / م ــِـ / ي ــَـ /

حيث يراد للمصوت الطويل أن يتصل بمصوت قصير يكون علماً على نصب الاسم (الفتحة) وتوالي مصوتين متعذر ، لذا انشطر المصوت الطويل (الياء المدية) ليكون مصوتاً قصيراً (الكسرة) ونصف مصوت قيمته المقطعية قيمة صامت يكون قاعدة للمقطع الجديد الذي قمته الفتحة ، هذه القاعدة (الياء غير

---

٣٨ - في الكتابة الصوتية نرمز للمصوتات القصيرة بصورة الفتحة والكسرة والضمة ، بخطيط / ــَـ ، ــِـ ، ــُـ / وللمصوتات الطويلة بصورة فتحتين للألف ، وكسرتين للياء المدية ، وضمتين للواو المدية ، بخطيط أيضاً / ــً ، ــٍـ ، ــٌـ / ، ولنصف المصوت (الياء والواو غير المديتين) بصورة الحرف ، فالياء رمزها : / ي / والواو رمزها : / و / ، انظر : اصوات العربية بين التحول والثبات ، فصل : الكتابة الصوتية .

المدّية) صوت احتكاكي فهي على الحقيقة صامت ولكن جرى الاصطلاح على تسميتها نصف مصوت وهو من مصطلحات الترجمة ، فهي غير الياء التي كانت في لفظ المحامي قبل النصب لأن احداهما مصوت طويل والاخرى صامت وان سميت نصف مصوت ، وهذا الانشطار في المصوت الطويل هو عكس الاتحاد[٣٩] الذي يحدث بين المصوت القصير ونصف المصوت مشكلًا مصوتاً طويلًا كما في نحو فِعْلة من س ي ر ، إذ الأصل : سيرة بياء احتكاكية صامتة تقابل العين من فعْلة وقبلها كسرة تقابل الكسرة التي بين الفاء والعين ، ثم صارت : سيرة بياء مدية هي مصوت طويل كان من اتحاد المصوت القصير (الكسرة) ونصف المصوت (الياء غير المدية) ، أي :

/ س ــِـ ي / ر ــَــ هـ / ← / س ــِـ / ر ــَــ هـ /

فصارت اللفظة بزنة فيلة بعد الاتحاد .

ومن حديث المناسبة كلامه على الاعلال بالنقل أو الاسكان ، قال وهو يتكلم على المعتل العين : (تنقل حركة العين للساكن الصحيح قبلها إن كانت من فعل أو اسم بالشروط المذكورة ، نحو : يبيع ويقول ، الأصل : يبْيِع ويَقْوُل ، ونحو : مقام ومقال ، الأصل : مَقْوَم ، ومَقْوَل ... وإذا نقل ابدلت العين لمجانس الحركة المنقولة ، كقولك في أقْوَم ، وأطْيَب : أقام وأطاب ، فإن جانست الحركة العين فليس فيه سوى النقل كيقول ويبيع ، وتنقل الحركة أيضاً الى الساكن الصحيح قبلها من عين مصدر على إفعال أو استفعال وتبدل العين حينئذ بمجانس الحركة المنقولة وتحذف الفهما ويعوض منها التاء غالباً ، مثال ذلك : إقامة ، واستقامة ، الأصل : إقوام واستقوام ، نقل وابدلت الواو ألفاً ، فالتقى ألفان فحذفت ألف المصدر وعوض منها التاء ...)[٤٠] .

والاعلال بالنقل أو الاسكان كما هو معلوم يقع - إلا ما شذ أو استثني - عندما تتحقق ظاهرة صوتية يمكن أن نرمز لها بـ (خْ غَ) ، أي أن يكون الحرف الصحيح ساكناً يليه معتل متحرك إذ الصحيح كما قالوا أولى بالحركة من المعتل . فإذا أخذنا

---

٣٩ - انظر : التطور النحوي للغة العربية ص ٤٧ ، ودروس في علم أصوات العربية ص ١٣٨ .

٤٠ - الهمع ، ٢ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

من الخوف فعلًا بزنة أفعل يفعل ينبغي أن نقول : أخوف يخوف مثل اكرم يكرم ، ولكن العرب لم تقل هذا ، بل قالت أخاف يخيف ، ومهمة دارس اللغة أن يصف ما قيل مقدماً ما يراه من تصور في تفسيره لا أن يفرض على أهل اللغة كيف ينبغي أن يقولوا ، والظاهرة التي أشرنا اليها متحققة في الخاء والواو من أخوف ، ويخوف ، لذا ينبغي أن يقع اعلال بالنقل كما سماه علماؤنا ، أي أن تنقل الحركة من المعتل الى الصحيح ، وبانتقالها يكون المعتل قد أسكن لانعدام الحركة بعده ، إذ نقلت الى ما قبله ، ومن هنا جاءت كلمة الاعلال بالاسكان ، وهذا النقل هو الجزء الأول من الاعلال ، أما الجزء الثاني فيتعلق بما يقع للمعتل بعد نقل الحركة منه ، وقد أوجز السيوطي الأمر بقوله : (وإذا نقل ابدلت العين لمجانس الحركة المنقولة) . أي اذا نقلنا من الواو كسرة ابدلت الواو ياء لأن الياء هي مجانس الكسرة ، فتقول في يخْوِف بعد نقل الكسرة الى الخاء : يخِيْف ، واذا نقلنا فتحة قلبنا الواو ألفاً فنقول في أخْوَف بعد نقل الفتحة الى الخاء : أخاف ، ومثل هذا يقال عن مثاليه : أقْوَم وأطْيَبَ ، حيث نقلنا من واو أقوم فتحة وقلبناها ألفاً فصار أقام ، ونقلنا من ياء أطيب فتحة وقلبناها ألفاً فصار أطاب ، فالمجانسة عنده هي التي جعلت المنقول منه يقلب الى معتل آخر من جنس الحركة المنقولة ، وهذا من غير شك أكثر قبولًا من قول بعضهم ان الواو مثلًا في أقْوَم قلبت ألفاً لتحركها في الأصل ، أي قبل النقل وانفتاح ما قبلها الآن أي بعد النقل(٤١) ، والحركة واحدة هي الفتحة رتّب لها وجودين في التأثير الاعلالي في مكانين وزمانين ، في حين لم ينظر الى تحركها من قبلُ عند الكلام على نحو يخْوِف ، فقيل قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، إذ لو نُظر الى حركتها ما استقامت قاعِدة قلبها ياء لأن التي تقلب في مثل هذا الموضع الساكنة لا المتحركة . من أجل ذلك نقول إن عبارة السيوطي تخلصت من هذا المشكل ، وعرضت الاعلال بالنقل معتنية بالمناسبة ، وتكون القاعدة في ضوء ذلك : تنقل الحركة من المعتل الى الصحيح الذي قبله ويقلب المعتل الى مجانس للحركة المنقولة . وقد تفرع من هذا أن يكونَ المعتل في الكلمة مجانساً للحركة المنقولة منه كنقل الضمة من الواو في نحو : يقْوُل بزنة ينصر ، أو الكسرة من الياء في نحو يبْيِع بزنة يضرب : قال : (فإن جانست

---

٤١ ـ انظر كلام الاشموني في حاشية الصبان على الاشموني ، ٤ : ٣٢٠ .

الحركة العين فليس فيه سوى النقل كيقول ويبيع) إذ لا معنى لأن يقال على القاعدة العامة : نقلنا ضمة من واو يقْوُل وقلبنا الواو واواً للمجانسة ، بل الواو باقية بعد النقل على ما كانت عليه قبل النقل لأن الحركة المنقولة منها مجانسة لها ، فليس في نحو : يقْوُل سوى النقل .

وهذا الذي عليه السيوطي وعلماؤنا القدماء في مسألة الاعلال بالنقل يثير أكثر من اشكال صوتي ، من ذلك أن القول بنقل فتحة الواو الى الخاء وانقلاب الواو ألفاً في تحول أخْوَف الى أخاف يؤدي الى القول بوجود مصوت قصير يتبعه مصوت طويل في مقطع واحد ، وهذا مخالف لما تنص عليه الدراسة الصوتية الحديثة التي تؤكد ان المصوتات تشكل قمم المقاطع أو نواها وأن عدد المصوتات في كلمة ما يمثل عدد مقاطعها[٤٢] ، والقول بأن الواو في يقُوْل هي الواو في يقْوُل بعد نقل حركتها متأتٍ من وحدة الرسم لصوتين مختلفين ، فالواو المفترضة في يقْوُل بزنة ينصر تقابل الصاد وهي احتكاكية (نصف مصوت) أما واو يقول فمصوت طويل . ومن أجل ذلك لا بد من تقديم تفسير مقبول من حيث الصوت لهذه الظاهرة ، والتفسير الذي نراه مقبولًا[٤٣] أن يقال : إن ما سمي اعلالًا بالنقل أو الاسكان حقيقته اعلال بالحذف ، حيث تكون قاعدة المزدوج الصاعد عرضة للحذف وهي نصف مصوت ، ويمد الصوت بالمصوت القصير الذي كان يشكل القمة تعويضاً عن هذا الحذف ويعاد ترتيب البنية المقطعية للكلمة ، أي ان الأصل : أقْوَم ، حذفت الواو وهي قاعدة المقطع الثاني وهو مزدوج صاعد ، ومدّ الصوت بالفتحة ، فصارت البنية المقطعية مشكلة من مقطع قصير يليه مقطع طويل مفتوح فمقطع قصير ، بعد أن كانت تتشكل من مقطع طويل مغلق يليه مقطعان قصيران ، أي :

/ ء ـَـ ق / و ـَـ / م ـُـ / ← / ء ـَـ / ق ـَـ / م ـُـ / ، / و / × ، / ـَـ / ←
/ ـًـ /

ويبدو أن العرب اذا وجدت التعويض عن حذف قاعدة المزدوج باطالة الصوت بمصوته القصير أطالته ، ولم تزد شيئاً ، فإذا كانت قمة المزدوج مصوتاً طويلًا ،

---

٤٢ ـ انظر : التشكيل الصوتي ، ص ١٣١ .

٤٣ ـ انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١٩٨ .

والمصوت الطويل لا قيمة لامتداد الصوت به في البنية فلو مددت الالف الى العصر كما قيل لما كانت إلا ألفاً واحدة[٤] ، اختارت غالباً التعويض بالتاء في آخر اللفظة كما فعلوا في الإفعال والاستفعال من نحو : ق و م ، فيقال : إقامة واستقامة ، وذكره السيوطي بقوله : (وتنقل الحركة أيضاً الى الساكن الصحيح قبلها من عين مصدر على إفعال أو استفعال وتبدل العين حينئذ بمجانس الحركة المنقولة وتحذف ألفهما ويعوض منها التاء غالباً ، مثال ذلك إقامة واستقامة ، الأصل إقوام واستقوام ، نقل وابدلت الواو ألفاً فالتقى ألفان فحذفت الف المصدر وعوض منها التاء) . وقد تقدم .

فالأفعال من : ق و م ، إقوام ، قالوا : نقلت فتحة الواو الى القاف وقلبت الواو ألفاً مجانسة للحركة المنقولة فصار : إقاام ، بألفين الاولى المنقلبة عن الواو وهي عين الكلمة ، والثانية ألف صيغة المصدر ، فحذفت الثانية على ما ذهب اليه السيوطي إذ لا يلتقي ألفان ، وعوض منها التاء ، فوزنها (إفْعَلَة) على هذا ، أو (إفَعْلَة) بعد النقل ، ومثل ذلك يقال في تحول استقوام الى استقامة . وعلى التوجيه الذي أوردناه آنفاً يقال : حذفت قاعدة المزدوج الصاعد وعوض عنها بالتاء في الآخر إذ كانت قمة المزدوج مصوتاً طويلًا واعيد تشكيل البنية المقطعية للكلمة ، فالأصل : أقْوَم إقواما بزنة اكرم اكراما تحولت أقوم الى أقام بحذف قاعدة المزدوج ومد الصوت بالمصوت القصير كما تقدم ، وتحولت (اقواماً) الى (اقامة) بحذف قاعدة المزدوج والتعويض بتاء في الآخر لأن القمة مصوت طويل ، ـ ويلاحظ ان هذه التاء التي يوقف عليها بالهاء يكون المصوت الذي قبلها فتحة ، ولهذا حديث آخر ـ ، أي :

/ ء ـِـ ق / و ـًـ / م ـَـ ن/ ← / ء ـِـ / ق ـًـ / م ـَـ / ت ـَـ ن / ،

/ و / × ، / م ـَـ ت ـَـ ن /

أو : ت ـُـ ن ، أو : ت ـِـ ن (بحسب الاعراب)

وأما قوله : (فإن جانست الحركة العين فليس فيها سوى النقل كيقول ويبيع) فلا شك في أنه من التأثر بوحدة الرسم للمصوت الطويل ونصف المصوت الاحتكاكي ، فيقْوُل بزنة ينصر أي ان الواو المضمومة تقابل الصاد وهي عين الكلمة وقبلها القاف ساكنة تقابل نون ينصر ، فإذا نقلت الضمة الى القاف كانت الصورة حرفاً مضموماً

---

٤ ـ انظر : الخصائص ، ٢ : ٤٩٣ .

يسبق واواً ساكنة ، والواو المدية عندهم واو ساكنة قبلها ضمة فالكلمة وفقاً للصورة فيها واو مدّية ، ولم يلتفت بسبب ذلك الى أن الاولى كانت قاعدة لمقطع ولا تكون إلا صامتاً ونصف المصوت صامت في القيمة المقطعية ، أما الثانية فمصوت طويل ولا تكون إلا قمة للمقطع ، وشتان بين صوت لا يكون إلا قاعدة وآخر لا يكون إلا قمة . والتوجيه في هذا ما أوردناه آنفاً من حذف قاعدة المزدوج الصاعد ومد الصوت بالمصوت القصير واعادة تشكيل البنية المقطعية للكلمة ، أي :

/ ي ـَـ ق / و ـُـ / ل ـُـ / ← / ي ـَـ / ق ـُـُـ / ل ـُـ / ، / و / × / ـُـ / ← / ـُـُـ /

على أننا يمكن أن نفيد هنا من فكرة الاتحاد التي ذكرها برجستراسر(٤٥) لتوجيه تحول الاحتكاكي الى مصوت طويل بعد نقل الحركة إذ يتشكل بعد النقل مزدوج هابط مكون من مصوت قصير (ضمة) ونصف مصوت من جنسه فيتم الاتحاد بينهما ويتكون مصوت طويل ، أي :

/ ي ـَـ ق / و ـُـ / ل ـُـ / ← / ي ـَـ / ق ـُـ و / ل ـُـ / ← / ي ـَـ / ق ـُـُـ / ل ـُـ /

باتحاد / ـُـ و / ← / ـُـُـ /

وما قيل عن تحول يقول وفقاً للحذف ومد الصوت أو وفقاً للاتحاد يقال عن تحول يبيع ، أي : / ي ـَـ ب / ي ـِـ / ع ـُـ / ← / ي ـَـ / ب ـِـِـ / ع ـُـ / حيث حذفت قاعدة المزدوج الصاعد ومدّ الصوت بالمصوت القصير ، أو على دعوى نقل الحركة والاتحاد :

/ ي ـَـ ب / ي ـِـ / ع ـُـ / ← / ي ـَـ / ب ـِـ ي / ع ـُـ / ← / ي ـَـ / ب ـِـِـ / ع ـُـ /

باتحاد / ـِـ ي / ← / ـِـِـ /

وبهذا يمكن أن يقدم تفسير صوتي سليم لصياغة أمثال هذه الألفاظ وما طرأ عليها من تحولات في البنية أدت بها الى أن تنطق بالوجه الذي نطقت به .

ومما رأينا الوقوف عنده كلامه على أحكام النون الساكنة والتنوين ، ومخرج النون . لتأمل ما يشيع في كتب التجويد من خلو النون المظهرة من الغنة ، فقد ورد في كتاب التمهيد لابن الجزري قوله : (اعلم أن النون الساكنة والتنوين يظهران عند

ستة أحرف من حروف الحلق وهن الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، نحو : ﴿ من إله ﴾ ، ﴿ ينأون ﴾ ، ﴿ غثاءً أحوى ﴾ ... والعلة في إظهار ذلك عند هذه الحروف ان النون والغنة بعد مخرجهما عن مخارج حروف الحلق ... وقد ذكر بعض القراء في كتبهم ان الغنة باقية فيهما ، وذكر شيخ الداني فارس بن أحمد في مصنف له ان الغنة ساقطة منهما اذا اظهرا ، وهو مذهب النحاة ، وبه صرحوا في كتبهم ، وبه قرأت على كل شيوخي ما عدا قراءة يزيد والمسيّبي)[٤٦] .

أما السيوطي فقد قال : (.. النون الساكنة والتنوين ولهما أربعة أحكام : اظهار ، وادغام ، واقلاب ، واخفاء ، فالاظهار لجميع القراء عند ستة أحرف هي حروف الحلق .. وبعضهم يخفي عند الخاء والغين .

والادغام في ستة ، حرفان بلا غنة ، وهما اللام والراء ، وأربعة بغنة وهي النون والميم والياء والواو ..

والاقلاب عند حرف واحد .. يقلب النون والتنوين عند الباء ميماً خالصة ، فتخفى بغنة .

والاخفاء عند باقي الحروف ... والاخفاء حالة بين الادغام والاظهار ولا بد من الغنة معه)[٤٧] .

واغفاله ذكر الغنة وحكمها مع الاظهار دليل على مجيء النون والتنوين على الأصل في تلك الحال ، والأصل ان الغنة للنون كالاطباق للطاء لا تنفك منه ، فإذا زالت لم يبق الصوت نوناً . ولذلك وجدناه يذكر لزومها عند الاخفاء في نحو : ﴿ من كان ﴾ إذ لا عمل للسان في نطق النون الساكنة قبل الكاف ، فلو أعملنا اللسان ههنا كان نطقنا مخالفاً لسنة العرب في نطقها ، كما لا يمكن أن ندغم النون في الكاف فنقول : (مكّان) لأن العرب لم تفعل ذلك فبقيت حالة بين الاظهار والادغام وهي الحالة التي لا يكون فيها ادغام ولا يكون فيها عمل للسان حيث حدد العلماء مخرج النون به وجعلوا صوت الخيشوم صفة ، ومع تخلي اللسان من أوله عن اخراج النون تتحول الصفة الى مخرج ، فالنون في الاخفاء تولد بالصفة وحدها ولا عمل لأول

---

٤٥ ـ انظر : التطور النحوي ، ص ٤٧ .

٤٦ ـ التمهيد ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

اللسان واللثة فيها . وعند ذكر الاقلاب اشار الى بقاء الغنة مع انطباق الشفتين بالميم وعبر عنه بأنها تخفى بغنة وهو أمر تكلم فيه العلماء لأن الميم أغن أيضاً ، فهل هذه غنة الميم ؟ أمل هل هي غنة النون التي انقلبت ميماً ؟[48]. وعندما ذكر الادغام تكلم على ما يدغم بغنة وما يدغم بلا غنة . أما عندما تكلم على الاظهار فلم يشر الى ذهاب الغنة ، وسكوته عن ذلك يدل على بقاء الصوت على الأصل ، إذ الأصل بقاء الغنة في النون ، وذهابها استثناء ، فلو وجد الاستثناء لأشار اليه ، وبهذا يكون قد ابتعد من الوهم الذي أوقع فيه ابن الجزري من جاء بعده ، ويقوي ذلك ما ذكره في مخارج الحروف عند كلامه على الغنة حيث قال : (والخيشوم الذي تخرج منه هذه الغنة هو المركب فوق غار الحلق الأعلى ، فهي صوت يخرج من ذلك الموضع تابع لكل نون ساكنة ، ولكل ميم ساكنة ، فإنك لو أمسكت بأنفك لم تتمكن من خروج الغنة ، وقال ابو عمرو الصيرفي : الغنة صوت مركب في جسم النون ، ومخرجه من الخيشوم)[49] .

ولعل ابن الجزري من بين علماء التجويد أول من قال بخلو النون المظهرة من الغنة فأوهم من جاء بعده[50] ، فعبارات مكي (٤٣٧ هـ) في الرعاية تؤكد ان النون والتنوين فيهما غنة ، وان الاظهار يأتي بهما على الأصل ، قال : (النون تخرج من المخرج السادس من مخارج الفم فوق اللام قليلًا أو تحتها قليلًا على الاختلاف في ذلك ، قال سيبويه مخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا ، وهي متوسطة القوّة ، وفيها اذا سكنت غنة تخرج من الخياشيم فذلك مما يزيد في قوتها ، والخفيفة منها مخرجها من الخياشيم من غير مخرج المتحركة ، والنون مؤاخية اللام .. لكن في النون غنة ليست في اللام)[51] . وفي موضع آخر قال : (الغنة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة ، وللتنوين لأنه نون ساكنة ، وللميم

---

٤٧ ـ الاتقان ، ١ : ٢٧٠ .

٤٨ ـ انظر : التحديد ، ١١٦ ، ١١٧ .

٤٩ ـ الهمع ، ٢ : ٢٢٩ .

٥٠ ـ انظر : حق التلاوة ص ١٦٤ ، وقواعد التجويد والالقاء الصوتي ص١٤٣ .

٥١ ـ الرعاية ، ص ١٩٣ .

الساكنة)[٥٢] . وفي موضع آخر قال : (... والعلة في اظهار ذلك عند هذه الحروف ان الغنة والنون بعد مخرجهما من مخرج حروف الحلق .. وجب الاظهار الذي هو الأصل ولم يحسن غيره)[٥٣] . أما الداني (٤٤٤ هـ) فيقول : (وحرفا الغنة الميم والنون لأنهما غنة في الخيشوم ألا ترى أنك اذا أمسكت بأنفك ثم نطقت بهما لم يجر فيهما صوت الغنة ... ولفظ النون قد يزول عنها فلا يبقى منها إلا الغنة)[٥٤] . وزوال لفظ النون وبقاء الغنة يريد به ألا يكون للسان عمل في اخراجها ، وذلك في الاخفاء ، أما انسداد طريق الغنة مع بقاء عمل اللسان فقد جعله مثالًا لاختلال الصوت ، فكيف تكون النون المظهرة من غير غنة ؟.

وفي كلامه على الاظهار قال : (وانما بينت النون والتنوين عند هذه الحروف لبعد المسافة التي بينهما وبينهن .. وخفيا عند الغين والخاء ، لأن ذلك قد يستعمل فيهن .. ورواه المسيبيّ في الغين والخاء لقربهما من حرفي أقصى اللسان)[٥٥] .

وقال وهو يتكلم على الاخفاء في النون والتنوين : (فأخفيا فصارا عندهن لا مظهرين ولا مدغمين ، وغنتهما مع ذلك باقية ، ومخرجهما من الخيشوم خاصة ولا عمل للسان فيهما ، والخيشوم خرق الأنف المنجذب الى داخل الفم ، واخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه ، والفرق بين المخفى والمدغم ان المخفى مخفف والمدغم مشدد)[٥٦] . وتأمل قوله : (وغنتهما مع ذلك باقية) فهذا صريح في أن فيهما الغنة في حال الاظهار حيث يعمل اللسان على اخراجهما ، فإذا لم يعمل اللسان بقيت الغنة ، وكان ما سمي بالاخفاء . والغريب ان ابن الجزري ينقل هذا النص عن الداني ويسقط عبارة : وغنتهما مع ذلك باقية ، قال : (قال الداني ... اخفيا عندهن فصارا لا مدغمين ولا مظهرين فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنده ، قال والفرق عند القراء والنحويين بين المخفى

---

٥٢ - م . ن ، ٢٤٠ .

٥٣ - م . ن ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٥٤ - التحديد ، ص ١١١ .

٥٥ - م . ن ، ص ١١٣ .

٥٦ - م . ن ، ص ١١٧ .

والمدغم ان المخفى مخفف والمدغم مشدد)[٥٧] .

وأما نسبته ذلك الى النحويين حيث قال : (وهو مذهب النحاة وبه صرحوا في كتبهم ...) فلعله أراد بعض المتأخرين كما سيأتي ، فعبارة سيبويه في الكتاب : (ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الانف فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون ، وكذلك الميم)[٥٨] . وفيه قوله : (وتكون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بيّنة ، موضعها من الفم)[٥٩] . وفيه في الموضع نفسه : (وتكون ساكنة مع الميم اذا كانت من نفس الحرف بيّنة . والواو والياء ، بمنزلتها مع حروف الحلق ، وذلك قولك : شاة زنْماء وغنم زُنْم ، وقَنواء وقُنْية وكُنية ومُنْية ، وانما حملهم على البيان كراهية الالتباس فيصير كأنه من المضاعف ...) ، ويلاحظ ان سيبويه يستعمل كلمة بيّنة مكان مظهرة ، وهو يشير بذلك الى أن عمل اللسان بيّن فيها ، وانظر كيف عبّر عن بيانها في مواضع اللبس ، وكيف وصفها أول مرة بالغنة التي لا يكون الصوت من غيرها مع لزوم اللسان موضع الحرف (يجري مع الصوت لأن ذلك الصوت غنة .. لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت) .

وأما المبرّد فقال : (والميم ترجع الى الخياشيم بما فيها من الغنة فلذلك تسمعها كالنون لأن النون المتحركة مشربة غنة والغنة من الخياشيم ، والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم وانما سميتا باسم واحد لاشتباه الصوتين وإلا فإنهما ليسا من مخرج)[٦٠] . وقال : (اعلم أن النون اذا وليها حرف من حروف الفم فإن مخرجها من الخياشيم .. فإن كان معها حرف من حروف الحلق أمن عليها القلب فكان مخرجها من الفم لا من الخياشيم .. وتقلب مع الباء ميماً اذا كانت ساكنة .. أما ادغامها في اللام والراء .. وادغامها فيهما على وجهين : بغنة وبغير غنة ، واظهار الغنة أحسن لئلا تبطل ، وإن شئت أذهبت الغنة كما تخلص ما تدغمه في لفظ الحرف الذي يدغم فيه ، وأما ادغامها في الميم وإن خرجت من الشفة فهي تجاورها

---

٥٧ - النشر ، ٢ : ٢٧ .

٥٨ - الكتاب ، ٢ : ٤٠٦ .

٥٩ - م . ن ، ٢ : ٤١٥ .

٦٠ - المقتضب ، ١ : ١٩٤ .

لما في الميم من الغنة وتشاركها في الخياشيم والنون تسمع كالميم وكذلك الميم كالنون .. وأما قلبها ميماً مع الباء فلأن الكلام لا يقع في شيء منه ميم ساكنة قبل باء فأمنوا الالتباس وقلبوها ميماً لشبهها الميم في الغنة ..)[٦١] .

وفي شرح الشافية قال الرضي : (.. قال السيرافي : يجب أن يقال : الخفية لأن التفسير يدل عليه ، إذ هي نون ساكنة ، غير ظاهرة مخرجها من الخيشوم فقط)[٦٢] .

وقال : (والحق أن يقال : إن للنون مخرجين : أحدهما في الفم والآخر في الخيشوم إذ لا بد فيها من الغنة ، وإذا أردت اخراجها في حالة واحدة من المخرجين فلا بد فيها من اعتماد قوي وعلاج شديد إذ الاعتماد على المخرجين في حالة واحدة أقوى من الاعتماد على مخرج واحد .. وإن لم يكن هناك قرب لا في المخرج ولا في الصفة اخفي النون بقلة الاعتماد وذلك بأن يقتصر على أحد مخرجيه ولا يمكن أن يكون ذلك إلا الخيشوم وذلك لأن الاعتماد فيها على مخرجها من الفم يستلزم الاعتماد على الخيشوم بخلاف العكس فيقتصر على مخرج الخيشوم فيحصل النون الخفية ..)[٦٣] .

وقد وجدت عبارة لابن يعيش (٦٤٣ هـ) لعلها كانت سبباً في كلام ابن الجزري ، فقد جاء في شرح المفصل : (فإذا لم يكن بعدها حرف البتة كانت من الفم ، وبطلت الغنة ، كقولك : من ، وعن ، ونحوهما مما يوقف عليه)[٦٤] وهو كلام غريب كما ترى ، ولا سيما اذا تذكرنا كلام سيبويه وغيره مما أوردناه آنفاً ، على ان ابن يعيش عاد بعد صفحات ليؤكد وجود الغنة في النون ، وهو يشرح قول الزمخشري : وهي تدغم بغنة وبغير غنة ، فقال : (فإذا ادغمت بغير غنة فلأنها اذا ادغمت في هذه الحروف صارت من جنسها فتصير مع الراء راءً ومع اللام لاماً ومع الياء ياءً ومع الواو واواً ، وهذه الحروف ليست لها غنة ، وأما اذا ادغمت بغنة فلأن

---

٦١ ـ م . ن ، ١ : ٢١٥ ـ ٢١٩ .
٦٢ ـ شرح الشافية ، ٣ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
٦٣ ـ م . ن ، ٣ : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .
٦٤ ـ شرح المفصل ، ١٠ : ١٢٧ .

النون لها غنة في نفسها ، والغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف ، واذا كان للنون غنة قبل الادغام فلا يبطلونها بالادغام حتى لا يكون أثر من صوتها)[٦٥] ، فهل يتفق قوله : لها غنة في نفسها ، و : للنون غنة قبل الادغام ، مع قوله المتقدم ؟.

وتكلم ابن مالك (٦٧٢ هـ) في شرح الكافية الشافية على النون واحكامها ، ولم يشر الى مخالفة الأصل في الاظهار[٦٦] ، وهو ما يمكن أن يؤخذ من كلام السيوطي الذي أوردناه في أول كلامنا على هذه المسألة .

ومما رأينا الوقوف عنده كلامه على الوقف ، حيث سنتناول النصّ[٦٧] مجزّءاً ، قال : (للوقف في كلام العرب أوجه متعددة ، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة : السكون ، والروم ، والاشمام ، والابدال ، والنقل ، والادغام ، والحذف ، والاثبات ، والالحاق . فأما السكون فهو الأصل في الوقف على الكلم المحركة وصلًا ، لأن معنى الوقف الترك والقطع ، ولأنه ضد الابتداء فكما لا يبتدأ بساكن لا يوقف على متحرك ، وهو اختيار كثير من القراء) .

وقوله : لا يوقف على متحرك مبني على كون أصواتُ المدّ حروفاً ، وبعض الدرس الصوتي القديم كما وجدنا عند الفارابي ، والدرس الحديث ، يريانها مصوتات طويلة ، أي انها حركات طويلة فيكون ما قبلها محركاً بها ، ولأجل الدقة الصوتية يقال : ان العرب لا تميل الى الوقف على مصوت قصير ، بل تقف على مصوت طويل نحو : رأيت زيدا ، أو صامت نحو : جاء زيدْ ، ومررت بزيدْ . وبعبارة اخرى : ان العرب لا تميل الى الوقف على مقطع قصير[٦٨] .

(وأما الروم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة . وقال بعضهم تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ، قال ابن الجزري : وكلا القولين واحد ، ويختص بالمرفوع والمجرور والمضموم والمكسور ، بخلاف المفتوح لأن الفتحة خفيفة

---

٦٥ - م . ن ، ١٠ : ١٤٤ .

٦٦ - شرح الكافية الشافية ، ٤ : ٢١٩٣ - ٢١٩٤ .

٦٧ - سنورد النص من الاتقان ، ١ : ٢٤٨ - ٢٥٠ .

٦٨ - انظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٧٨ ، وعبارته : (لا يوقف على مقطع مفتوح) وهو سهو ، لأن المقطع المنتهي بمصوت طويل ، مقطع مفتوح ، ويوقف عليه .

اذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض) .

وفي القاموس : (الروم ... حركة مختلسة مختفاة وهي أكثر من الاشمام لأنها تسمع)[٦٩]. وقد يمكن ادراك التبعيض الذي ذكره وتمييزه عن السكون باغلاق الوترين لقطع الاهتزاز بالمصوت القصير ، وحينئذ يستوي التبعيض في الفتحة والضمة والكسرة . لأنهن جميعاً ينقطع الصوت بهن اذا اغلق الوتران ، فلا تفاضل بينهن ، ولا يبعد أن يكون الذي أعان على قبول استثناء الفتحة ان حركة الشفتين ظاهرة في الضمة ، وتفاجّ الحنك ظاهر في الكسرة ، ومع الفتحة لا يكاد يظهر شيء من ذلك . هذا اذا كان المقصود بالتبعيض اغلاق الوترين ، فإن قيل : ألا يمكن أن يكون المقصود تحويل المصوت الى احتكاكي ، وهو ما اطلق عليه المحدثون (نصف المصوت) ؟ قلنا : نظرياً قد يصح ذلك وتخرج الفتحة ، ففي الدرس الصوتي[٧٠] نصف حركة (نصف مصوت) من الحركة الضيقة الامامية (الكسرة) وهو الياء غير المدّيّة في نحو ؛ يكتب ، وليت ، ونصف حركة (نصف مصوت) من الحركة الضيقة الخلفية (الضمة) وهو الواو غير المدّيّة في نحو وجد ، ولون ، وليس فيه نصف حركة (نصف مصوت) من الحركة الواسعة الوسطية (الفتحة) ، ولكن التطبيق العملي يمنع ذلك ، فالوقف على نحو ﴿ اللّه الصمدُ ﴾ بالاتيان بنصف المصوت الاحتكاكي سيجعل المقطع الأخير في الكلمة طويلًا مغلقاً بعد أن كان قصيراً في حال الوصل بـ ﴿ لم يلد ﴾ وهذا معناه أن المصوت القصير الذي كان بعد الدال باق وهو قمة المقطع ، ونكون قد زدنا نصف مصوت من جنسه جاء قاعدة النهاية للمقطع ، ووفقاً لسنن العرب في كلامها في مثل هذه الصورة يتّحد المصوت القصير ونصف المصوت ليشكلا مصوتاً طويلًا[٧١] ، وعندئذ سيكون الوقف على مصوت طويل بدل القصير ، وليس هذا ما وصفوه في هذا الموضع .

(وأما الاشمام فهو عبارة عن الاشارة الى الحركة من غير تصويت ، وقيل : أن تجعل شفتيك على صورتها ، وكلاهما واحد ، ويختص بالضمة) .

---

٦٩ ـ القاموس المحيط مادة (روم) ، ٤ : ١٢٣ .

٧٠ ـ انظر : التشكيل الصوتي ، ص ٥٩ ، وانظر : التصريف العربي ص ٥٠ .

٧١ ـ انظر : التطور النحوي ، ص ٤٧ .

وفي القاموس : (.. لا تُسمع ، ولا يُعتدّ بها ، ولا تكسر وزناً)[٧٢] ، فهي على هذا ليست مما يندرج في الصوت اللغوي بصورة مباشرة بل بصورة غير مباشرة ، إذ يفهم الصوت من الاشارة .

(وأما الابدال ففي الاسم المنصوب المنون ، يوقف عليه بالألف بدلًا من التنوين ، ومثله : إذن . وفي الاسم المؤنث بالتاء ، يوقف عليه بالهاء بدلًا منها . وفيما آخره همزة متطرفة بعد حركة أو ألف فإنه يوقف عليه عند همزة بابدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها . ثم إن كان ألفاً جاز حذفها ، نحو : اقرأ ، ونبّىء ، ويبدأ ، وإن امرُؤٌ ، ومن شاطىء ، ويشاء ، ومن السماء ، ومن ماء) .

وهذا الكلام مبني على وجود الحركة قبل حرف المد وهو ما عليه جمهور علماء العربية القدماء ، أما بعض الفلاسفة كما تقدم آنفاً ، والدرس الصوتي الحديث فلا يريان ذلك ، ومن ثمّ لا بد من ايجاد تفسير آخر لا ينبني على القول بتتابع مصوتين .

أما المنصوب المنون ففي الوقف عليه حذف النون واطالة الصوت بالفتحة ، أي :

/ ر ـَـ / ء ـَـ ي / ت ـُـ / ز ـَـ ي / د ـَـ ن / / ن / × / ـَـ / ← / ـَـ / ـً / ←
/ ز ـَـ ي / د ـً /

والقول في الوقف على إذن مثله . أما الوقف على التاء بالهاء فقد يُرى من الابدال ، إذ هكذا نطقت العرب في الوقف على الاسم المؤنث بالتاء في الوصل مثل فاطمةَ وكاتبةٍ والمدرسةِ ونحوها ، ولكن قد يقال : إن الهاء الموقوف عليها هي بهاء السكت أشبه ، بل لعلها هي ، حيث وجد العربي بعد حذف هذه التاء لفظاً منتهياً بمصوت قصير كان حقه أن يحذفه عند الوقف ، فكره كثرة الحذف إذ حذف تاء التأنيث والمصوت القصير الذي بعدها ، وفي المنصرف التنوين أيضاً ، فاختار الوقف بهاء السكت حفاظاً على المصوت القصير حتى لا يكثر الحذف . فهذا أيضاً من باب الحذف على المختار وليس من باب الابدال .

وقوله : (وفيما آخره همزة متطرفة بعد حركة أو ألف فإنه يوقف عليه ،... ثم إن كان ألفاً ...) في العبارة كما يبدو لف ونشر ، ووجه الكلام : فإنه يوقف عليه اذا كان

---

٧٢ ـ القاموس المحيط ، مادة (ش م م) ، ٤ : ١٣٧ .

آخره همزة متطرفة بعد حركة بابدالها حرف مد ».. وإن كان الآخر الذي قبل الهمزة ألفاً جاز حذف الهمزة .

أما ما كان آخره همزة قبلها ألف فقد عبّر عنه بالحذف فهو اذن ليس من باب الابدال ، وعلى مذهبه ينبغي أن تنقل الشواهد الثلاثة ﴿ يشاء ﴾ و ﴿ من السماء ﴾ و ﴿ من ماء ﴾ الى باب الحذف ، على اننا يمكن أن نتكلف الاعتذار له بالقول ان الهمزة قلبت ألفاً أولًا ثم حذفت لالتقاء الألفين فيكون من باب ابدال صوت بصوت ولكنه تكلف لا موجب له ، مع وجود باب الحذف .

وأما ما كان آخره همزة بعد حركة فالقول بابدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها يؤدي الى تتابع مصوتين ، قصير وطويل أي أن توجد في المقطع قمتان ، وهذا لا يكون . لذا نميل الى القول بالحذف ومد الصوت بالمصوت القصير ليكون طويلًا[٧٣] ، فيقال في : اقرا ، حذفت الهمزة من اقرأ تخفيفاً ومدّ الصوت بالفتحة بعد الراء ، أي :

/ ءـِـق / رـَـء / ، / ء / × ، / ـَـ / ← / ـًـ /

← / ءـِـق / رـًـ /

وبيدا مثلها ، ويقال في نبّي : حذفت الهمزة من نبّىء تخفيفاً ومدّ الصوت بالكسرة بعد الياء ، أي :

/ نـَـب / بـِـء / ، / ء / × ، / ـِـ / ← / ـٍـ /

← / نـَـب / بـٍـ /

وشاطي مثلها ، ويقال في إن امرو ، حذفت الهمزة من امرؤ تخفيفاً بعد أن حذف للوقف الحركة بعدها والتنوين ومد الصوت بضمة الراء ، أي :

/ ءـِـ / نـِـم / رـُـ / ءـُـن / ، / ءـُـن / × ، / ـُـ / ← / ـُـُـ /

← / ءـِـ / نـِـم / رـُـُـ /

وبهذا ينقل الى باب الحذف جميع ما أورده في باب الابدال .

(وأما النقل ففيما آخره همزة بعد ساكن ، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها اليه ، فتحرك بها ، ثم تحذف هي ، سواء أكان الساكن صحيحاً نحو دفء ،

---

٧٣ ـ انظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص ١٣٨ .

ملء ، ينظر المرء ، لكل باب منهم جزء بين المرء وقلبه ، بين المرء وزوجه ، يخرج الخبء ، ـ ولا ثامن لها ـ أم ياء أو واواً أصليتين ، سواء كانتا حرف مدّ نحو : المسيء ، وجيء ، ويضيء ، أن تبوء ، لتنوء ، وما عملت من سوء ، أم لين نحو : شيء ، قوم سَوْء ، مَثَل السَوْء) .

والذي نراه في كل ما ذكره انه من باب الحذف للتخفيف ، فقد حذفت الهمزة أولًا ، ثم اعيد التركيب المقطعي للكلمة التي حذفت الهمزة منها ، أي : دفءٌ ← دِفُ

/ د ـِـ ف / ء ـُـ ن / ، / ء / × ثم / ن / ×

← / د ـِـ / ف ـُـ ن / ← / د ـِـ / ف ـُـ /

حيث حذفت الهمزة من المقطع الطويل المغلق الثاني وهي قاعدة البداية له فبقي المقطع من مصوت يليه صامت وهذا لا يكون في البنية المقطعية إذ لا يبدأ المقطع في العربية بمصوت ، فاعيد تشكيل البنية المقطعية للكلمة بأن نقلت القاعدة الثانية للمقطع الأول وهو طويل مغلق لتكون قاعدة البداية للمقطع الثاني وبقي المقطع الأول قصيراً ، ثم حذف نون التنوين للوقف ، على ان هذه القراءة مشكلة ولا حل لاشكالها عندي ، إذ سيقف القارىء بها على مصوت قصير ، وهو ما تحامته العرب في كلامها عند الوقف .

وما قيل في دفء من حذف الهمزة وإعادة تشكيل البنية المقطعية يقال في الباقيات ، أي :

/ م ـِـ ل / ء ـُـ / ← / م ـِـ / ل ـُـ / ، / ء / ×

حيث حذفت قاعدة المقطع الثاني ونقلت اليه قاعدة المقطع الأول فصارت الكلمة عند الوقف من مقطعين قصيرين .

ينظر المرءُ : / م ـَـ ر / ء ـُـ / ← / م ـَـ / ر ـُـ /

وبين المرءِ مثلها : / م ـَـ ر / ء ـِـ / ← / م ـَـ / ر ـِـ /

وجزء مثل دفء ، والخبء مثل المرء . وقوله (ولا ثامن لها) يكاد يكون صحيحاً ، إذ الثامن (المرءُ) على ما أفدناه من عمل محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، فقد وردت (المرء) في أربع آيات ، ذكر السيوطي رحمه الله ثلاث آيات ، والآية الرابعة قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾ وهي الآية ٣٤ من سورة عبس ، واعجب للحافظ يحصي ألفاظاً في كل

القران الكريم ثم تغيب عنه اية مما يبدأ بحفظه الصغار فسبحان من تفرد بالكمال .
وأما (جزء) بالرفع فلم يرد سواه ، على ما ذكر ، ولكن ورد (جزءاً) بالنصب مرتين ، في قوله تعالى : ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان لكفور مبين ﴾ [الزخرف : ١٥] فهل المنصوب لم يقرأ بالنقل ؟.

وأما كلامه على النقل مع الياء والواو ففيه تفصيل ، لأن الأمر مع حرفي اللين لا يختلف عما ذكرناه مع الحروف الصحيحة ، لأن ما لم يكن مدّة ليس مصوتاً بل هو احتكاكي فحكمه حكم الصامت يكون قاعدة للمقطع ولا يكون قمة له ، لذلك يقال : حذفت الهمزة في هذه المثل واعيد تشكيل البنية المقطعية للكلمة ، أي :

/ ش ـَـ ي / ء ـُـ ن / ← ش ـَـ / ي ـُـ / ، / ء / × ثم / ن / ×

حيث حذفت الهمزة أولًا للتخفيف فاختلت بنية المقطع الثاني لبدايته بقمة وهذا لا يكون ، فنقلت القاعدة الثانية للمقطع الأول اليه ثم حذف التنوين للوقف ، ويرد على هذا ما ورد على دفء واخواتها من الوقف على مقطع قصير ، أو مصوت قصير ، ومثل ذلك يقال عن ﴿ قوم سوءٍ ﴾ وسَوِ ، و ﴿ مثل السَّوْءِ ﴾ والسَّوِ .

أما ما كان فيه الهمزة بعد مصوت طويل (حرف مد) فالقول فيه ان الهمزة حذفت أولًا للتخفيف ، فأدى ذلك الى تصوّر تتابع مصوتين فشطر المصوت الطويل الى مصوت قصير يكون قمة للمقطع الذي كان المصوت الطويل قمته ، ونصف مصوت احتكاكي يكون قاعدة للمقطع الذي كانت الهمزة قاعدته حيث بقيت فيه القمة وحدها ولا تشكل مقطعاً ، أي :

/ ء ـَـ ل / م ـُـ / س ـِـ / ء ـُـ / ، / ء / × ، / ـِـ / ← / ـِـ ي /
← / ء ـَـ ل / م ـُـ / س ـِـ / ي ـُـ /

وهذا الانشطار هو عكس الاتحاد الذي يكون من مصوت قصير ونصف مصوت مؤدياً الى مصوت طويل كما فعل في فِعْلة من السير على ما ذكرناه آنفاً ، أي :

/ س ـِـ ي / ر ـَـ / ت ـُـ ن / ← / س ـِـ / ر ـَـ / ت ـُـ ن / ، باتحاد
/ ـِـ ى / ← / ـِـ /

ومثل ذلك يقال عن الواو في ﴿ أن تبوء ﴾ أي :

/ ء ـَـ ن / ت ـَـ / بـ ـُـُ / ء ـَـ / ← / ء ـَـ ن / ت ـَـ / ب ـُـ / و ـَـ /

وما قيل عن الواو في ﴿ تبوء ﴾ يقال عنها في ﴿ لَتنوءُ ﴾ و ﴿ ما عملت من سوء ﴾ . وما قيل عن الياء في ﴿ المسيء ﴾ يقال عنها في ﴿ جيء ﴾ و ﴿ يضيء ﴾ .

(وأما الادغام ففيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة ايضاً بالادغام بعد ابدال الهمز من جنس ما قبله نحو : النسيّ ، وبريّ ، وقُرُوّ) فالهمزة في ﴿ النسيء ﴾ و ﴿ بريء ﴾ قلبت ياء ، ثم ادغمت الياء في الياء ، والهمزة في ﴿ قروء ﴾ قلبت واواً وادغمت الواو في الواو . ويشكل على هذا ان الياء في النسيء وبريء مصوت طويل وهي في النسيّ وبريّ نصف مصوت احتكاكي فهذه غير تلك ، وكذلك الواو في ﴿ قروء ﴾ مصوت طويل وهي في ﴿ قروّ ﴾ نصف مصوت احتكاكي ، لذلك لا بد من تفسير يراعي هذا التحول . والتفسير أن يقال : حذفت الهمزة للتخفيف وانشطر المصوت الطويل الى مصوت قصير ونصف مصوت ثم كرر نصف المصوت لتكون منه قاعدة للمقطع الذي سقطت منه الهمزة ، ويعوض صوت التضعيف عن صوت الهمزة المحذوفة ، واعيد تشكيل البنية المقطعية للكلمة ، أي :

/ بـَـ / رِـ / ءـُـن / ← / بـَـ / رِـي / يـُـن / ، / ـِـ / ← / ـِـي / ي

وبهذا تحول المقطع الثاني من طويل مفتوح الى طويل مغلق واتصلت بالادغام قاعدته الثانية الجديدة بعد الانشطار بالقاعدة التي من جنسها المجتلبة للمقطع الثالث .

وفي مثل هذا يقول د . عبدالصبور شاهين : (إن احساس العربي الحضري بالصيغة البدوية المهموزة ، أو بعبارة اخرى مراعاته لمستوى من الفصاحة يراه أرقى مما جرى عليه نطقه ورغبته في أن يأتي بالكلمة على وزنها جعله يضغط على المقطع الذي هو موقع النبر الهمزي وبذا تخلقت في الكلمة ياء مضعّفة أو واو مضعّفة فصارتا : خطيّة ومقروّة ، فالياء والواو الثانية لا أصل لها في بنية الكلمة ولا هي مزيدة لضرورة اشتقاقية ، وانما هي نتيجة النبر الواقع على المقطع والذي أخذ هنا صورة التوتر بالتضعيف)[٧٤] .

---

٧٤ - القراءات القرآنية ، ص ١١١ .

واذا كان ما قاله د . عبدالصبور شاهين يفسر اجتلاب الياء بالنبر فإنه لا يفسر تحول المصوت الطويل الى احتكاكي ولا يفسر وجود المصوت القصير قبل نصف المصوت ، ولذا نجد من الأوفق القول بانشطار المصوت الطويل أولًا ثم اجتلاب نصف مصوت تكراراً لنصف المصوت الحاصل من الانشطار لنخلص الى نبر التوتر بالتضعيف كما سماه .

(وأما الحذف ففي الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا) .

يريد بهذه الياءات نحو : ﴿ المنادِ ﴾ و ﴿ الداعِ ﴾ و ﴿ ربي أكرمَنِ ﴾ والياء في هذه المثل ونحوها مصوت طويل يحذف في الوقف ، ويكون الحرف الذي قبله ساكناً[٧٥] ، ومنه أيضاً ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ و ﴿ يوم التناد ﴾ و ﴿ والليل اذا يسر ﴾ فإذا روي بالتحريك برزت المشكلة التي اوردناها في دفء واخواتها .

(وأما الاثبات ففي الياءات المحذوفة وصلًا عند من يثبتها وقفاً نحو : هادٍ ، ومالٍ ، وواقٍ ، وباقٍ) .

وواضح ان الذي يقع في مثل هذا هو مدّ الصوت بالمصوت القصير ليكون طويلًا بعد حذف التنوين للوقف نحو ﴿ وما لهم من دونه من والٍ . هو الذي يريكم البرق ... ﴾ [الرعد : ١١ ، ١٢] ، أي :

/ وـــً / ل ـــِ ن / ← / وـــً / ل ـــِ / ، / ن / × ، / ـــِ / ـــِ / ← / ـــِ /

(وأما الالحاق فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها في عمّ ...) .

وهاء السكت ثابتة في الوقف عن العرب ، وقد رسمت في المصحف الشريف في مواضع[٧٦] ، منها قوله تعالى : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية ، فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم إقرأوا كتابيهْ . إني ظننت أني ملاق حسابيهْ . فهو في عيشة راضية ﴾ [الحاقة : ١٨ ـ ٢١] حيث ثبتت الهاء في ﴿ كتابيه ﴾ و ﴿ حسابيه ﴾ لذلك كان وجودها في آخر الكلمة من باب الحاق صوت بالكلمة ليس من أصلها على ما ذكره السيوطي .

---

٧٥ ـ انظر : رسم المصحف ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٩ .

٧٦ ـ م . ن ، ص ٢٧٧ .

ان هذه المثل التي وقفنا عندها غيض من فيض مما كتبه السيوطي في الاصوات اللغوية ، ولم يكن من منهج البحث الاحاطة والاستيعاب ، ومن أجل التنبيه على هذا كانت الاشارة في عنوان البحث الى جوانب من الدرس الصوتي عند جلال الدين السيوطي رحمه الله .

المصـــادر

١ـ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، ١٩٦٧ م ، القاهرة .

٢ـ أصوات العربية بين التحول والثبات ، د . حسام سعيد النعيمي ، ١٩٨٩ م ، بغداد .

٣ـ الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم أنيس ، ط ٥ ، ١٩٧٩ م ، القاهرة .

٤ ـ التحديد في الاتقان والتجويد لأبي عمرو الداني ، تحقيق د . غانم قدوري حمد ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، بغداد .

٥ ـ التشكيل الصوتي ، د . سلمان العاني ، ترجمة د .ياسر الملاح ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، جدة .

٦ ـ التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث ، الطيب البكوش ، ط ١ ، ١٩٧٣ م ، تونس .

٧ ـ التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ، نشرة د . رمضان عبدالتواب ، ١٤٠٢ هـ ، الرياض .

٨ ـ التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، تحقيق د . غانم قدوري حمد ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، بيروت .

٩ ـ حاشية الصبان على الاشموني ، ط عيسى الحلبي بمصر ، د . ت .

١٠ ـ حق التلاوة ، حسني شيخ عثمان ، ط ٨ ، ١٩٨٨ م ، بيروت .

١١ ـ الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ ، القاهرة .

١٢ ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د . حسام سعيد النعيمي ، ١٩٨٠ م ، بغداد .

١٣ ـ دراسة الصوت اللغوي ، د . احمد مختار عمر ، ١٣٩٦ هـ ، الكويت .

١٤ ـ دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، تعريب صالح القرمادي ، ١٩٦٦ م ، تونس .

١٥ ـ رسم المصحف ، د . غانم قدوري حمد ، ١٤٠٢ هـ ، بغداد .

١٦ ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لمكي بن ابي طالب ، تحقيق احمد حسن فرحات ،١٩٧٣ م ، دمشق .

١٧ ـ سر صناعة الاعراب لابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ١٣٧٤ القاهرة .

١٨ ـ شرح التصريح على التوضيح لخالد الازهري ، ط عيسى الحلبي بمصر ، د . ت .

١٩ ـ شرح الشافية للرضي الاستربادي ، تحقيق محمد نور وصاحبيه ، ١٣٩٥ هـ ، بيروت .
٢٠ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق د . عبدالمنعم احمد هريدي ، ١٩٨٢ م ، مكة المكرمة .
٢١ ـ شرح المفصل لابن يعيش ، مصورة عن طبعة مصر ، د . ت .
٢٢ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادي ، ط مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، د . ت .
٢٣ ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د . عبدالصبور شاهين ، ١٩٦٦ ، القاهرة .
٢٤ ـ قواعد التجويد والالقاء الصوتي ، الشيخ جلال الحنفي ، ١٩٨٧ م ، بغداد .
٢٥ ـ الكتاب لسيبويه ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق ، ١٣١٧ هـ ، القاهرة .
٢٦ ـ كتاب العين للخليل ، تحقيق د . مهدي المخزومي ، د . ابراهيم السامرائي ، ١٩٨٠ م ، بغداد .
٢٧ ـ كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة ، القاهرة ، د . ت .
٢٨ ـ المعجم العربي ، نشأته وتطوره ، د . حسين نطار ، ط ٢ ، ١٩٦٨ م ، القاهرة .
٢٩ ـ المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمه ، ١٣٨٥ هـ ، القاهرة .
٣٠ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ، د . عبدالصبور شاهين ، ١٤٠٠ هـ ، بيروت .
٣١ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تصحيح علي محمد الضباع ، مصورة عن طبعة مصر ، د . ت .
٣٢ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ، تصحيح السيد محمد بدر النعساني ، مصورة عن طبعة مصر ، د . ت .

من أساليب البيان
في الفاصلة في القرآن

الفاصلة في القرآن الكريم (هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع)[1] وهي جزء من موسيقا الآيات حيث تتناغم الالفاظ بعضها مع بعض في نسق غير شعري وان توافق في مواضع منه مع شيء من الاوزان التي نظم العرب عليها شعرهم كما في : ﴿ والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ﴾ .. (ان في القرآن ايقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة اساسية في البيان .. هذه الموسيقى القرآنية اشعاع للنظم الخاص في كل موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الالفاظ في الفاصلة الواحدة .. على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وتضمن في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقا الداخلية والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل ، والتقفية التي تغني عن القوافي ...)[2].

والفاصلة وإن كانت جزءاً من النغم إلا انها محكومة بالمعنى الذي يفرضه السياق أو الحالة النفسية التي يريد القرآن الكريم للسامع أن يكون عليها ، ومن أجل ذلك قد يضحي بالفاصلة والموسيقا المتناغمة من أجل نغمة اخرى تخالف ما قبلها وما بعدها طلباً لتصويرٍ فنّي يفوت مقصده لو جعلت الفاصلة متناغمة مع بقية الفواصل في السورة ، من ذلك مثلًا ما ورد في فواصل سورة الأحزاب ، فالسورة مكونة من ثلاث وسبعين آية جاءت فواصلهن بالألف وقفاً في اثنتين وسبعين آية ، ومن غير ألف في آية واحدة مع امكان اطلاق فتحتها لتكون ألفاً فتتسق وفواصل الآيات في

---

١ - الفاصلة في القرآن - محمد الحسناوي ، ص ٢٦ .

٢ - التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ، ص ٨٦ - ٨٧ .

السورة ، بل ان اللفظة نفسها في الموقع الاعرابي نفسه جاءت في موضع آخر في السورة نفسها فاصلة مطلقة بالألف متسقة مع الفواصل الاخرى . وليس في السورة آية يلزم وصلها بما بعدها وليس فيها فاصلة الوقف عليها لازم[٣] ، فهي مبنية على جواز الوقف والوصل في التلاوة .

وفيما يأتي بيان ما أوجزناه :

تبدأ السورة بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً ﴾ (الأحزاب : ١) وتتوالى الفواصل : ﴿ خبيرا ﴾ (الآية : ٢) ﴿ وكيلا ﴾ (الآية : ٣) وتقطعها الفاصلة في الآية الرابعة بقوله تعالى : ﴿ ... والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ (الآية : ٤) لتعود الفاصلة بالألف بعد ذلك في ﴿ رحيما ﴾ (الآية : ٥) و ﴿ مسطورا ﴾ (الآية : ٦) و ﴿ غليظا ﴾ (الآية : ٧) و ﴿ أليما ﴾ (الآية : ٨) و ﴿ بصيرا ﴾ (الآية : ٩) و ﴿ الظنونا ﴾ (الآية : ١٠) ، وتمضي بالألف مروراً بالآية السابعة والستين وفيها : ﴿ وقالوا ربّنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ (الآية : ٦٧) لتنتهي في الآية الثالثة والسبعين بقوله تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيما ﴾ (الآية : ٧٣) .

فما الذي جعل الآية الرابعة تضحي بموسيقى الفاصلة مع امكان الاتيان بها ؟ أيمكن أن تكون العلة في التشكيل الصوتي للسياق ؟ أم هو أمر آخر ؟

قلنا إن آيات هذه السورة ليس فيها ما يلزم وصله بما بعده أو ما يلزم الوقف عليه ، فيكون النظر على الأصل وهو الوقف على رؤوس الآي أو الفواصل كما وُصفت قراءة النبي ﷺ[٤] ، ويكون النظر في حال الوصل إذ هو سائغ في جميع فواصل هذه السورة كما قدمنا .

تظهر الألف في الوقف في اثنتين وسبعين فاصلة ، وهي ألف تأتي عوضاً من تنوين الاسم المنصوب في جميع الفواصل إلا ثلاثاً حيث تأتي الألف في كل منها للاطلاق من الفتحة وهي : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ (الآية : ١٠) و ﴿ وأطعنا

---

٣ ـ انظر : القطع والائتناف للنحاس ، ص ٥٧٢ ـ ٥٧٩ .

٤ ـ انظر : الفاصلة ، ص ١٧٩ .

الرسولا ﴾ (الآية : ٦٦) و ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (الآية : ٦٧) ولا تظهر الألف مع امكان ذلك في فاصلة واحدة ، إذ يوقف فيها على ساكن في قوله تعالى : ﴿ .. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ (الآية : ٤) .

والفواصل في السورة جميعاً إلا فاصلة الآية الرابعة على هذا النطق في الوقف تنتهي بمقطعين طويلين مفتوحين ، نحو :

/ ح ـَـ / ك ـِـ / م ـًـ / (الآية : ٢)

و / م ـَـ س / ط ـُـُ / ر ـًـ / (الآية : ٦) ،

و / ت ـَـ س / ل ـِـ / م ـًـ / (الآية : ٢٢)

و / ف ـَـ / ء ـَـ / ض ـَـ ل / ل ـُـُ / ن ـَـ س / س ـَـ / ب ـِـ / ل ـًـ / (الآية : ٦٧) .

أما في الآية الرابعة فالفاصلة تنتهي بمقطع مديد قبله قصير :

/ ى ـَـ هـ / د ـِـ س / س ـَـ / ب ـِـ ل / (الآية : ٤)

والمديد من مقاطع الوقف وأصله في الوصل هنا مقطعان : طويل مفتوح / ب ـِـ / يليه قصير : / ل ـَـ / ، فحقيقة المقابلة الصوتية تكون بينه وبين مقطعي فواصل السورة ، أي بين / ب ـِـ ل / وكلّ من / ك ـِـ / م ـًـ / من ﴿ حكيما ﴾ و / ب ـِـ / ر ـًـ / من ﴿ خبيرا ﴾ و / ك ـِـ / ل ـًـ / من ﴿ وكيلا ﴾ و / ط ـُـُ / ر ـًـ / من ﴿ مسطورا ﴾ .. الى نهاية السورة ، وترداد المقاطع يظهر خللًا في موسيقا الفاصلة في الآية الرابعة ، فهي وإن بدأت كالباقيات بصوت المقطع الطويل المفتوح وهذا ينسجم والفواصل الاخرى إلا انها لا تلبث أن تغلق المقطع بصوت صامت فينقطع به صوت الامتداد الحاصل في الباقيات من المقطع الطويل المفتوح الثاني ، وبهذا تضحي هذه الفاصلة بالجزء الثاني من التناسق والتناغم مع امكانه في الوقف هنا ، إذ يمكن أن يقال في غير القرآن ، وهو يهدي السبيلا ، باطلاق فتحة النصب كما اطلقت في قوله : ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ . وتأمل المعنى يظهر علة التضحية بموسيقا الفاصلة في تناغمها ، على انها تحولت الى موسيقا اخرى تتفق وما تريده الدلالة . فهذا الجزء من الآية يتكلم على قول الحق ، وهداية السبيل ، والحق وسبيل الهداية انما يليق بهما الثبات والاستقرار في الوقف ، ولا شك في أن الاحساس النفسي بالثبات يكون مع الصوت الصامت غير المتبوع بمصوت أظهر منه

مع الصامت المتبوع بمصوت طويل ، وهكذا نجد الدلالة تحكم اللفظ بموسيقا تنسجم معها وإن خالفت في جزء منها موسيقا فواصل السورة كلها .

وقد وردت لفظة « السبيل » فاصلة في الآية الرابعة والاربعين من سورة النساء ، وفي الآية السابعة عشرة من سورة الفرقان ، وفي الآية الرابعة من سورة الأحزاب ، وفي الآية السابعة والستين من سورة الأحزاب أيضاً ، وليس في القرآن موضع خامس ، وهي في الموضع الأخير ، أي الآية ٦٧ من الأحزاب يوقف عليها بمقطع طويل مفتوح يسبقه طويل مفتوح : / س ـَـ / ب ـِـ / ل ـًـ / ، وفي الآيات الثلاث يوقف عليها بمقطع مديد : / س ـَـ / ب ـِـ ل / ، وقد تكلمنا على علة ذلك في الآية الرابعة من سورة الأحزاب ، أما الآية الرابعة والاربعون من سورة النساء فهي قوله تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ ، وآيات سورة النساء ست وسبعون ومئة آية ، ست آيات منها تنتهي بمقطع مديد ، وسبعون ومئة آية تنتهي بمقطع طويل مفتوح يسبقه طويل مفتوح . وخمس من الآيات الست لا مجال فيهن للتحول الى مقطعين طويلين مفتوحين لأن كلماتها منونة في موضع رفع : ﴿ والله عليمٌ حليمٌ ﴾ (النساء : ١٢) ، و ﴿ وله عذابٌ مهين ﴾ (النساء : ١٤) ، و ﴿ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ (النساء : ٢٥) ، و ﴿ والله عليمٌ حكيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦) ، و ﴿ والله بكل شيء عليمٌ ﴾ (النساء : ١٧٦) ، أما الآية الرابعة والاربعون ففاصلتها في موضع نصب فيمكن أن تطلق فتحتها لتكون ألفاً ، وهي قوله تعالى : ﴿ ... ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ ، ومع هذا الامكان لم تطلق لتكون متناغمة مع فواصل السورة عامةً ، وكأن الايحاء النفسي باستقرار السبيل وثباته مطلوب هنا كما رأيناه مطلوباً في سورة الاحزاب .

أما سورة « الفرقان » فآياتها سبع وسبعون جاءت الفواصل فيها جميعاً منتهية في الوقف بمقطع طويل مفتوح يسبقه طويل مفتوح ، إلا الآية السابعة عشرة إذ يوقف على فاصلتها بمقطع مديد مع امكان تحوله الى مقطعين طويلين مفتوحين ، لأن الكلمة في موضع نصب يمكن أن تطلق الفتحة فيها لتكون ألفاً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ (الفرقان : ١٧) وعلة الايحاء بالثبات والاستقرار قائمة في

هذا الموضع أيضاً .

وإذا كان لفظ « السبيل » حيث ورد فاصلة في القرآن يراد له أن يوحي بالثبات والاطمئنان ففيم اذن تُحوّل عن المقطع المديد الى طويلين مفتوحين في الآية السابعة والستين من سورة الأحزاب ؟ أما القول بأنه جاء انسجاماً مع فواصل السورة فغير وارد لأن الآية الرابعة فيها خالفت مع امكان ذلك لعلة يفترض انها قائمة في هذه الآية : ﴿ ... فأضلونا السبيلا ﴾ فالسبيل التي ضل عنها هؤلاء ينبغي أن توحي بالثبات والاستقرار والاطمئنان ، لذلك كان لا بد من البحث عن علة اخرى . فلنعد الى الآيات نتأملها . قال تعالى : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا . خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيرا . يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربّنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾ (الاحزاب : ٦٤ ـ ٦٨) .

وصورة الكافرين ووجوههم تقلب في النار وهم يجأرون متمنين لو أنهم كانوا من أهل الطاعة تنسجم مع صوت اطلاق الألف حين يتلى حكاية قولهم ﴿ يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ وانظر كيف تخفت هذه الصورة لو قيل في غير القرآن في مثل هذا الموضع : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . ثم تأتي صورة التخضّع والاعتذار والعويل في حكاية قولهم ﴿ ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ ولو قيل في غير القرآن في هذا الموضع : فأضلونا السبيل . لما ظهر تصوير صراخهم وارتفاع أصواتهم (فجاء بالمد وهو المناسب لمد الصوت بالبكاء ورفعه)[٥] . وكأنهم يندبون حظهم لسوء أعمالهم وأعمال كبرائهم التي أدت بهم الى أن يضلوا السبيلا (فهنا نشهد منظراً آخر ، منظر الوجوه تقلّب في النار وما هي بحاجة الى التقليب فالنار تغشاها من كل جانب ولكنه مشهد مفزع فيه العناية بايصال النار الى كل جزء والى كل صفحة وجه ! ولا غرابة في أن نسمعهم يقولون في لهجة ضارعة ذليلة وفي نبرة نادمة حسيرة ﴿ يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ ثم ترتفع النبرة اليائسة النادمة فترتد حنقاً أليماً وسخطاً مريرا على اولئك الذين أصاروهم الى هذا المصير

---

٥ ـ التعبير القرآني ـ د . فاضل السامرائي ، ص ٩٧ .

﴿ وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا ﴾ ...)[٦] .

فاطلاق الفتحة لتكون ألفاً في هذا الموضع مراد ليصور حال الكافرين ، كما ان عدم الاطلاق في الآيات الثلاث كان مقصوداً ليصور الثبات والاطمئنان . وهكذا يتبين لنا ان الفاصلة القرآنية وإن كانت في ظاهرها فاصلة صوتية إلا أن لها ارتباطها الوثيق بدلالة الآية ، وان المعنى مقدم على الانسجام الصوتي العام للفواصل . فقد يضحى بالانسجام العام من أجل انسجام صوتي خاص يتلاءم مع الصورة الفنية التي يراد لألفاظ الآية أن توحي بها في نسق معيّن فضلًا عن ادراك المعنى المراد .

هذا الذي قدمناه مبني كما قلنا على صورة الوقف . فكيف يكون التوجيه على صورة الوصل ، وهو وصل جائز في هذه السورة كما تقدم ؟

قلنا إن آيات السورة ثلاث وسبعون ، اثنتان وسبعون منها يوقف عليها بالألف وواحدة بالسكون ، وان الألف الموقوف عليها تُرَدّ الى أصلين : تنوين المنصوب ، وألف الاطلاق ، ومعلوم ان الألف التي هي خلف من تنوين في الوقف تذهب في الوصل ويعود نون التنوين مسبوقاً بفتحة كما كانت الحال قبل الوقف . أما ألف الاطلاق فإن الأصل فيها أن تذهب في الوصل مخلّفة الفتحة التي كانت الألف منها بالاطلاق . وقد نص العلماء على أن الفواصل الثلاث في سورة الأحزاب جاءت كتابتها في المصحف بالألف ، وان من القراء السبعة من أقرّ الألف فيهن وقفاً ووصلًا ، قال أبو حيان : (وكتب ﴿ الظنونا ﴾ و ﴿ الرسولا ﴾ و ﴿ السبيلا ﴾ في المصحف بالألف ، فحذفها حمزة وأبو عمرو وقفاً ووصلًا ، وابن كثير والكسائي وحفص بحذفها وصلًا خاصة ، وباقي السبعة باثباتها في الحالين . واختار أبو عبيد والحذّاق أن يوقف على هذه الكلم بالألف ولا يوصل فيحذف أو يثبت ، لأن حذفها مخالف لما أجمعت عليه مصاحف الأمصار ، ولأن اثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب نظمهم ونثرهم لا في اضطرار ولا غيره . أما اثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقته لبعض مذاهب العرب لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم وفي تصاريفها ، والفواصل في الكلام كالمصارع ، وقال أبو علي : هي رؤوس الآي تشبّه بالقوافي من حيث كانت

---

٦ ـ مشاهد القيامة في القرآن ـ سيد قطب ، ص ٢٠٦ .

مقاطع كما كانت القوافي مقاطع ...)[٧] .

ومعنى هذا ان شعبة روى عن عاصم اثبات الألف وصلًا ووقفاً وان قراءة ابن عامر ، وقراءة نافع ، كانتا باثبات الألف أيضاً وصلًا ووقفاً ، فعلى قراءة هؤلاء الأئمة من القراء السبعة يكون اثبات الألف في الآية الرابعة ـ لو أثبت ـ شاذاً عن نظائره في الوصل ، ذلك أن الآيات الثلاث يسوغ فيها الاثبات صوتياً في الوصل كما ساغ في الوقف لأن الألف فيهن تلتقي بمتحرك ، أو بعبارة اخرى ان الألف في الوصل تشكل نهاية مقطع وان ما وصلت به في التشكيل الصوتي يكون بداية مقطع ، أي :

/ ظـ ـُـ / ن ـُـُـ / ن ـَـ / + / هـ ـُـ / ن ـَـ / ل ـِـ / ك ـَـ ب / ... / (الآية ١٠ و ١١) .

فاذا رفع فاصل الوقف (+) بقي المقطعان من غير تغيير : / نَ ـَـ / هـ ـُـ / فالألف ثابتة وصلًا كما ثبتت وقفاً ، وكذا :

/ ر ـَـ / س ـُـُـ / ل ـَـ / + / و ـَـ / ق ـَـ / ل ـُـُـ / (الآية ٦٦ و ٦٧) .

إذ بالوصل يتصل المقطعان : / ل ـَـ / و ـَـ / وكذا في :

/ س ـَـ / ب ـِـ / ل ـَـ / + / ر ـَـ ب / ب ـَـ / ن ـَـ / (الآية ٦٧ و ٦٨) .

إذ يتصل المقطعان : / ل ـَـ / ر ـَـ ب /

أما الآية الرابعة فإن وصلها بما بعدها يؤدي ـ لو وجدت فيها الألف ـ الى وجوب ذهابها إذ يتشكل مقطع مديد في الدرج يتحول الى طويل مغلق ولا بد فيكون الاثبات في الوقف ممكناً كالآيات الثلاث ولكنه في الوصل غير ممكن بخلاف الآيات الثلاث ، أي :

/ س ـَـ / ب ـِـ / ل ـَـ / + / ء ـُـ د / ع ـُـُـ / هـ ـُـ م / (الآية ٤ على فرض اطلاق الفتحة في غير القرآن والآية ٥ على لفظ الابتداء) .

فالوصل يؤدي الى سقوط همزة الوصل في ﴿ آدعوهم ﴾ مع حركتها ، وترجع القاعدة (الدال) لتكون قاعدة ثانية للمقطع السابق فيتشكل مقطع مديد :

/ ل ـَـ / ء ـُـ د /

/ ء / × ← / ل ـَـ د / يتحول في الدرج الى طويل مغلق بتقصير قمته :

---

٧ ـ البحر المحيط لأبي حيان ، ٧ : ٢١٧ .

/ ل ـَـ د / ← / ل ـــ د / وبهذا تذهب الألف ، ففي عدم اثبات الألف في الآية الرابعة فضلًا عما قدمناه في صورة الوقف ، اجتناب التخالف بينها وبين أخواتها على قراءة هؤلاء الأئمة في الوصل .

ومن حديث الفاصلة فاصلة سورة « القمر » حيث تنتهي بمقطع طويل مغلق قبله قصير ، قبلهما (الثالث من الأخير) إما طويل مغلق وإما قصير . وهي خمس وخمسون آية جاء المقطع الثالث من الأخير قصيراً في ست عشرة فاصلة ، وطويلًا مغلقاً في تسع وثلاثين . والآية (٣٤) فيها : ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ والباء في ﴿ بسحر ﴾ ظرفية (وعلامتها أن يحسن في موضعها « في » نحو : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ [آل عمران : ١٢٣] و ﴿ وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ﴾ [الصافات : ١٣٧] وهي كثيرة في الكلام)[٨] ولو قيل بناء على هذا في غير القرآن : نجيناهم في سحر ، لكان المقطع الوحيد الذي يأتي طويلًا مفتوحاً في هذا الموضع من فواصل هذه السورة ، فضلًا عن فوات معنى الالصاق والسببية[٩] اللذين توحي بهما الباء هنا ، فنجاتهم مرتبطة بالسحر ، وهو بظلمته كان سبباً لنجاتهم .

هذا الانسجام في فواصل سورة « القمر » يذكر بارجوزة العجّاج التي مطلعها :

يـــــا دار سلمى يـــــا اسلمي ثم اسلمي[١٠]

اذ جاء المقطع الاخير في القافية طويلًا مفتوحاً قبله قصير وقبلهما (الثالث من الأخير) طويل مغلق أو قصير . وقد جاء المقطع الثالث من الأخير في البيت السابع والثمانين طويلًا مفتوحاً :

مبارك للانبياء خاتم : / خ ـــً / ت ـــَ / م ـــِ /

وكذا في البيت الثامن والثمانين :

فخندف هامة هذا العالم : / ع ـــً / ل ـــَ / م ـــِ /

فهمز العجّاج الألف في القافيتين ليصل الى اغلاق المقطع فيكون طويلًا مغلقاً

---

٨ ـ الجنى الداني للمرادي ، ص ١٠٤ .

٩ ـ م . ن ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

١٠ ـ ديوان العجّاج ، ص ٢٨٩ ـ ٣٠٩ .

انسجاماً مع بقية أبيات الارجوزة فقال : خأتم وعألم ، أي :

/ خ ـَـ ء / ت ـَـ / م ـِـ / و / ع ـَـ ء / ل ـَـ / م ـِـ /

ولم يهمز ألف (مبارك) ولا ألف (هامة) لأنهما ليسا في القافية ، وفاته أمران : الأول : ان المقطع الطويل المفتوح جاء في البيت الثالث وفي البيت الرابع عشر بعد المئة :

وقـــل لهـــا على تنـــائيهـــا عِمِي (٣)

لِيَقْـــــذِفَنَّ خـــــابِـــرٌ الى عَمِ (١١٤)

والموضعان لا يهمزان ، أما « الى » فلم يهمزها أحد من العرب فيما نعلم ، وأما ضمير المؤنث فلم يهمز إلا في الوقف[١١] وهو هنا في الدرج فلا مجال لهمزه ، فيكون العجّاج في بناء هذين البيتين قد حمل نفسه على ما فرّ منه في لفظ العالم والخاتم .

الأمر الثاني : انه أبقى المقطع مفتوحاً بالواو في البيت الحادي عشر ، والبيت الخامس والستين ، والبيت الخامس والسبعين ، وذلك قوله :

في عَرْصة هاجت شجون المُولَم (١١) / م ـُـُـ / ل ـَـ / م ـِـ /

وربّ هذْيٍ كالحنيّ مُوذَم (٦٥) / م ـُـُـ / ذ ـَـ / م ـِـ /

أجاز منا جائز لم يُوقَمِ (٧٥) / ى ـُـُـ / ق ـَـ / م ـِـ /

أما المولَم فهو الموجَع ، واللغة العامة على همزه ، ولو همزه لأغلق المقطع . وأما الموذَم فهو الموجَب ، وقيل المُعْلم ، وأما لم يوقم فمعناه : لم يُرَدّ ، وقد نص الأخفش على جواز همز أمثالهما ، ولم يهمزهما العجّاج . قال القفطي : (... الأخفش قال : يُهمز الحرف اذا كان فيه ألف قبلها فتحة وأنشد للعجاج :

وخنـدف هامـة هـذا العألـم ...

قال : وكان ابو حية النميري ممن يهمز مثل هذا ، قال : والواو اذا كان قبلها ضمة همزوها ، مثل : يُؤْقِن ...)[١٢] .

وانظر كيف اضطرب احساس هذا الراجز الكبير وأخل بدقة الموسيقا الداخلية لقوافيه ، وكيف جاءت الفواصل في سورة القمر منسجمة متناغمة مع العناية الدقيقة بالمعاني المرادة .

---

١١ ـ سر الصناعة لابن جني ، ١ : ٨٧ .

١٢ ـ انباه الرواة للقفطي ، ٢ : ٤٠ ، ٤١ .

المحتوى

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة